* الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة *
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم-
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدّراسات الأدبيّة والنّقديّة

الشخصية في روايات محمّد مفلاح من منظور نظريّة العامل السّرديّة -رواية شبح الكليدوني أنموذجا-

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه أل أم دي
تخصص: نقد أدبي حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:
حداد خديجة

إشراف:
د/إبراهيم بلقاسم

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د محمّد حمّودي	جامعة مستغانم	رئيسا
د بلقاسم إبراهيم	جامعة مستغانم	مشرفا ومقررا.
د. عبد الرّحمن بن زورة	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
د. الحاج جغدم	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
د. سفيان بلعجين	المركز الجامعي غليزان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018

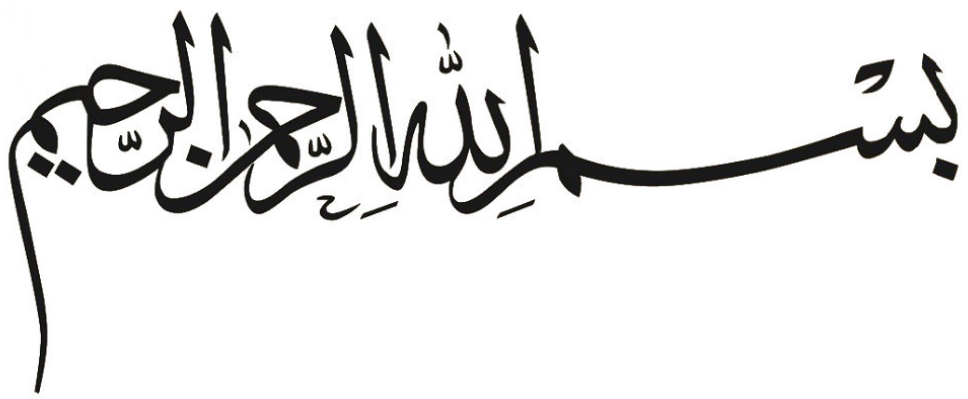
بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

صدق الله العظيم

(سورة الزمر الآية:9)

إهداء

إلى الذين يحترقون كالشموع ليضيئوا الطريق، ويقودوا إلى الحق والخير والجمال.

إلى من لهم علي فضل سأظلّ أدين لهم به أبي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، وأمي، وإخوتي.

إلى من جمعتني بهم أقدس صلة: أصدقائي الأعزاء.

إلى كل من حملتهم ذاكرتي،و لم تحملهم مذكرتي.

أهدي عملي.

خديجة

"ينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا على أنا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا كما أن من بعدنا يجد العبرة أكثر مما وجدنا".

الجاحظ أبو عثمان.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي به تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبيّنا وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد...

ليسعدني وقد منّ الله عليَ بإنجاز هذا العمل المتواضع إلا أن أتوجه بشكري الجزيل لأستاذي الفاضل المشرف الأستاذ الدكتور"بلقاسم إبراهيم "الذي كان قبس الضياء في عتمة البحث؛ إذ تعهد هذا العمل بالسّقيَا والرعاية، وأعطاه الكثير من علمه وجهده، ووقته، وصبره حتى استوى على ساقه، فله من الله عظيم الأجر والجزاء،كما أتقدّم بالشّكر أيضا إلى كل من كان عونا لي على إنجاز هذا البحث من هيئات عليا، وأساتذة كرام لم يبخلوا عليّ بالنصح والتوجيه والإرشاد، وأخص بالشكر والثناء عمادة الكلية، ورئاسة قسم اللغة العربية،كما أخص بالشكر والعرفان الأستاذ الدكتور:"مزاري عبد القادر" (جامعة عبد الحميد الحميد بن باديس–مستغانم–)، وعاملات مكتبة الباحث(اللغة العربية وآدابها)بمختلف الجامعات التي زرتها،كما أشكر إدارة القسم على كل ما قدّمته لي من تسهيلات.

كما أتوجه بالشكر للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على ما سوف يتفضّلون به من ملاحظات وما يبدونه من تصويبات.

جزى الله الجميع عني خير الجزاء، ووفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه.

خديجة

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله حمدا كثيرا طيّبا مباركا، والصّلاة والسّلام على نبيه شجرة العلم التّي أصلها ثابت وفرعها في السّماء، وعلى آله وصحبه الذّين هم فروع هذه الشجرة وأغصانها التّي دنت بهذه الأمة قطوفها المثمرة أمّا بعد:

موضوع الدراسة:

حظيت الشخصيّة بمكانة مرموقة في ما تراكم طيلة عهود من الأبحاث والدراسات فقد كانت عنصرًا جوهريا في العمل الروائي بما يقع منها من تحريكات سردية تنضد الفضاء الروائي. وبطبيعة الحال، فإنّ التحولات الكبيرة التّي عرفها النقد أوجبت على النّاقد أن يشحنها بمفاهيم جديدة، ولاشكّ أن من بين النقاد الّذين تجاوزوا المفهوم التقليدي للشخصية واستبدلوها بمفهوم آخر الباحث السيميائي ورائد مدرسة باريس السيميائية " أجيرداس جوليان غريماس"؛ إذ سمّاها بالعامل الّذي استنبطه من خلال الاستناد على دراسات سابقيه من الباحثين، صائغا بذلك نموذجه العاملي وراسما في الوقت نفسه أطوار الخطاطة السّردية.

وعليه يولي هذا البحث أهمية بالغة للترسيم الروائي بتقديم رؤية لبناء الشخصية عند محمد مفلاح من خلال جدوى النموذج العاملي السردي في محاولة إلى التوصل لقراءة تحليلية واستنباط بعض آليات تعامل الكاتب الجزائري مع الشخصية في العمل الروائي، ومدى قدرته على تنميط حضورها ضمن نصه السردي، ومن ثمة، فإننا نسعى إلى طرح إشكاليات عدة نذكر منها:

- ماهي المرتكزات الفكرية التي اتكأ عليها غريماس في بلورة نظريته العاملية السردية؟
- ومن أي منظور استنبط غريماس مفهوم العامل؟
- ماذا نقصد بالنّموذج العاملي؟
- ما جدوى التحليل النقدي للشخصية في ظل طروحات النموذج العاملي السردي ؟
-كيف كانت سيرورة النّموذج العاملي داخل رواية شبح الكليدوني لمحمّد مفلاح؟

دوافع الدراسة:

– السعي من خلال هذه الدراسة إلى وضع الباحثين أمام مشهد الشخصية المتعلق بالنص الروائي الجزائري، وهو مشهد تؤثثه تقنيات الكتابة الحداثية التي اهتمت بالمنجز السردي وفق ميكانيزمات نظرية العامل السردية التي حاولت بلورة رؤى جديدة تعزز من حضور الشخصية في العمل الروائي ؛ لذلك ارتأيت أن أقدم طرحا تطبيقيا في نقد الرواية من خلال تطبيق النموذج العاملي على رواية "شبح الكليدوني" لمحمّد مفلاح.

ولا شكّ أنّه إذا أراد الله شيئا هيّأ له أسبابهُ. فمن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع بالإضافة إلى السبب الآنف الذكر أسباب ذاتية وموضوعية هي :

– زيادة على حب الاكتشاف لإيماني الخالص بأن أي نتاج فكري لا بد أن يلقى الاهتمام من أبنائه وإلا بقي في دائرة الظل.

– نهدف إلى التعريف بنظرية العامل السردية وأهم روافدها.

– الوقوف على المفهوم الجديد للشخصّية من منظور غريماس.

– تبيّن تمثلات وتحققات التحليل العاملي لرواية محمد مفلاح "شبح الكليدوني"

وانطلاقا مما سبق فقد عزمت على خوض غمار هذا البحث الموسوم ب: "**الشخصية في روايات محمد مفلاح من منظور نظرية العامل السردية "رواية شبح الكليدوني" أنموذجا.**

منهج الدراسة:

ولاكتمال الدراسة والإجابة على هذه التساؤلات وغيرها،كان لابد من توافر آليات عدة من بينها المنهج الوصفي والسيميائي السردي؛ حيث يساعدنا الأول في وصف الكثير من المقولات النظرية أما الثّاني فسيتم الاعتماد عليه في تحليل الكثير من المقاطع السردية التي تضمّ الشّواكل والخطات التي تجسد نمط حضور الشخصية.

هيكل الدراسة:

ولكي ينتظم بنا السير في البحث ترسم هذه الدراسة إستراتيجية تبدأ بمقدمة ذات افتتاحية مضاعفة تضمنت حديثا عن موضوع الدراسة، وإشكالاتها، وعن أهميتها، وفائدتها، ومنهجها...هذا وقد فرضت مادة البحث وطبيعته تقسيمه إلى مدخل وثلاثة فصول، بحيث تضمّن المدخل حديثا عن اللّغة والسّرد والسرديّات والرّواية.

أما الفصل الأوّل فقد كان فيه حديث مفصّل عن الرّوافد الفكريّة لنظريّة العامل السّرديّة؛ حيث توزعت الإحاطة المعرفية بالرافد اللساني الذي يتبلور من تصور "ديسوسير"، ومدرسة براغ (تصور رومان جاكبسون، وتصور نعوم تشومسكي وتصور "لويس هيلمسليف"، فحين كانت الروافد المعرفية مرتكزة على أعمال "جورج دوميزال "وتصور "بروب" وأعمال "كلود ليفي ستروس"، ونموذج "سوريو"، ونموذج "تسنيير".

أما الفصل الثّاني، فقد كان دراسة حول النّموذج العاملي والتّرسيمة السّردية، وهذا بداية من الحديث عن العامل ومرورا بالحديث عن الأنموذج العاملي من حيث هو نسق، ثمّ من حيث هو إجراء.

في حين كان الفصل الثّالث مغمورا في الشق التطبيقي؛ حيث ضمّ ملخصا شاملا عن الرواية ثم حديثا عن الشّخصية في رواية **شبح الكليدوني**؛ إذ قمنا بالحديث عن تمفصلاتها بإسقاط نظرية العامل السرديّة التي أتاحت لنا كشف عدّة تمفصلات تتعلّق باستراتيجية بناء الشّخصية في العمل الروائي.

وإننا نحسب أنّ هذا البحث ما هو إلا محاولة تكاد تكون مغامرة غير محسوبة العواقب؛ لأنها إن لم تجب بشكل كاف عن تساؤلات كثيرة، فهي لا بدّ أنّها ستدفع إلى البحث والتأمل أكثر من أجل قراءات متعددة ومستفيضة للشّخصية في العمل الروائي الجزائري.

المصادر والمراجع:

أفاد البحثَ مجموعةٌ من المصادر والمراجع بعضها عـــام، وبعضـــها الآخـــر متخصـــص في"الشخصية"و"النقد الأدبي"، وهذا لكون الموضوع يستوجب كماّ معتبرا من المصادر والمراجـــع، وكان منها كتاب: "فصول في السيميائيّة السردية" لنصر الدين بن غنيسة، وكتـــاب: "مباحـــث في السيميائية السردية" لنادية بوشفرة وسعيد بنكراد في كتاب له بعنوان: "سيميولوجية الشّخصـــيات السّردية—رواية" الشّراع والعاصفة" لحنّا مينة نموذجا"، أيضا"حميد لحميـــداني"في كتابـــه الموســـوم بـــ:"بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي".

وإذا جرت العادة في مثل هذه الأبحاث أن يؤتى على ذكر الصعوبات التي اعترضت الباحث في مهمته، فإني سأحيد عن المألوف، فلا أعدّ ما صادفني صعوبة، بل هو شرف لا يحظى به إلا من وفقه الله لاستكمال الدراسات العليا، فالحمد لله من قبل ومن بعد، والشكر موصول لكل من أعانني على إنجاز هذا البحث سواء أكان من قريب أم من بعيد، وأخصّ بالذّكر أستاذي المشرف الدكتور:"بلقاسم إبراهيم"، الّذي لم يبخل عليّ بالتّوجيهات، والنّصائح والملاحظات، وإمدادي بمختلف المصادر والمراجع، فله جزيل منّي الشكر.

وبعد فإن كنت آسى على أمر في رحلة بحثي، فإنّني أتأسّف لمراجع مرّت علي، ولمستها يداي دون أن أغرف وأنهل منها.

والله من وراء القصد وهو يهدي السّبيل.

الباحثة:حداد خديجة

مستغانم في:2018/10/17

مدخل

مدخل: اللغة والسرد والرواية.

1- اللغة:

تمتد اللّغة بين حيلولتها الديناميكية والاستيتيكية في تأطير فضاء الرواية وتنضيد عوالمه المختلفة التي تتواشج فيها أطياف الواقع والخيال؛ إذ تتشكل بين هذين الأخيرين طفرات الوجود السردي، حيث تتنامى اللغة في تركيباتها بين زخم من"**علامات لسانية ، وغير لسانية تحيط بالنص.تعرض دوالا متعددة المعاني.**"[1] وهي بحضورها "**سابقة على الذّات؛ لأنّها كانت قائمة على نوع من البلاغة، وستبقى كذلك، ذلك أنّ خطابها لم يكن يوما، ولن يكون أبدا، نتاجا لمعرفة كلّية واعية تدرك سنن الألسنية وتحيط بها.**"[2]

فاللغة بالنسبة للمبدع قضيّة تذوّق ومعرفة بها وإجادة استثمار للطاقات القابعة داخل كل تركيب فقد كانت البنية اللغوية الأفق الواسع الّذي ينشده الكاتب؛ لاعتبار أنّ النص تجربة لغوية؛ حيث تفضي التّرسيمات والتركيبات اللغوية والفنية والتوقيعات الشّكلية للّغة إلى تكوين ظاهرة السرد باعتبارها"**ظاهرةٌ قديمةٌ عرفتها جميع الشعوب.**"[3] وكأنّ السرد تركيبة سحرية تمارس سحرها على الأدب الذي كاد أن يكون قاصرا دون حضوره المميز الذي مثلّ بسحره انتقالات ملونة مارست على المتلقي نوعا من الجذب نظرا لما يكون في التوقيع السّردي من وشائح أزماتية تروي الذائقة البشرية. وزيادة على ذلك فالإنسان منذ أن دب دبيبه على الأرض المنداحة بأطرافها وهو في علاقة مد وجزر مع الطبيعة؛ إذ كان السرد بوتقة الهمّ الإنساني ينفسّ فيه من أسئلته ووجوديته وهمومه النازحة من الحوار وتفاعلات الإنسان مع الطبيعة.

---

[1]-كواري مبروك: المناصية والتأويل دراسة سيميائية لمناص رواية فوضى الحواس، مجلة دراسات جزائرية (دورية محكمة يصدرها "مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر)، ع5/4، جامعة وهران،2007، ص: 72.

[2]- عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي: معرفة الآخر(مدخل إلى المناهج النّقديّة الحديثة)، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 1996، ص:19

3- عبد الجبار داود البصري: سردية الحكاية وحكاية السرد، مجلة الأقلام ، ع 6/5 ، 1993 ، ص: 92 .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نعرج على قضية التجريب اللغوي"**فقد عمد بعض الروائيين إلى محاولة تحديد اللغة وتحييدها إلى درجة قد نجد عنتا في تقبل هذه اللغة؛ ذلك أن الروائي يسعى إلى تفريغ اللغة من أبعادها النمطية الدلالية المعروفة ويحاول إعطائها أبعاد أخرى جديدة**"[1] تتشكّل من خلالها عوالم النّص التي تتضارب فيها كينونة الرّؤيا السردية الّتي تستجيب لضرورات إنسانيّة تتنازع فيما بينها لترسم الخطوط العريضة لأزمة الذات والحياة والكون ككل، حيث يكون "**الالتزام في الأدب هو الوعي باللغة.**"[2]

وعليه فإن انتقاء اللغة ينبني على افتراض تنشطر من أفقه هالات ديناميكية تحكم اختيار التركيبة الأدبية من بوتقة الفصيح أو العامي أو الدخيل بغية تجسيد منظورات تتأبط ذائقة الكاتب عبر تنضيده للخريطة اللغوية التي تؤثث فضاء الأدبية وتترل النص مترلة حسنة في رحاب الأدب.

وهكذا فـــ:"**الأدب الّذي يمثّل الجنس الروائي فيه المادّة الأدبيّة الأولى على عهدنا هذا، إذن، هو اللّغة نفسها؛ لأنّها هي التّي تميّز الإنسان عن الحيوان...**"[3]، فبفضل اللغة ارتقى الإنسان إلى مدارج السمو الفكري والمعرفي، فجعلته يتفاعل إلى حد كبير مع ذاته وكل ما حوله، فكان ذلك ما ساعده على انبجاس مهاد تنويري أضاء عتمات النفس عبر ما يقع من نتوءات إبداعية تخط فسيفساء الوقع البشري بحسّه وتفاعلاته ونمطيّته وتحوّلاته المعقدة من خلال ما يتلاحق من ومضات داخل الترسيم الأدبي .

وعليه تسهم العلاقة التجاذبية بين الإبداع واللغة في توطيد التداعيات اللغوية والأدبية من خلال تنضيد أطر متتاليات فكرية وفنية تترصع بها الكينونة النصية التي تقوم في استراتيجيات بنائها على خلفيات ومرجعيات متعددة تتمثل كلوحة للزخم اللغوي الذي يترسّس على عتبات السّيولة

---

[1]- محمد تحرشي: العامية في الخطاب السردي الجزائري عبد الملك مرتاض والسائح الحبيب كنموذجين، مجلة دراسات جزائرية (دورية محكمة يصدرها "مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر)، ع5/4، جامعة وهران، 2007، ص:81.

[2]- المرجع نفسه، ص:81.

[3]- عبد المالك مرتاض: في نظريّة الرواية-بحث في تقنيات السّرد-، سلسلة كتاب عالم المعرفة، الكويت، 1998،ص:97.

الأدبية التي تمارس تأثيرها وحتى سحرها على المتلقي بما يكون منها من تناغمات أدبية وطقوس تتوّج بها الكتابة السردية.

ومنه فإنه لا يمكن كتابة أي عمل روائي مهما كان نوعه دون لغة، فتتبوّأ بذلك قبّة العمل الروائي؛ ذلك أنّ الرواية لا تكون إلّا بها فنلحظ أنّ "**أمر الكتابة قائم على العمل البارع باللغة، والنّسج بألفاظها في دائرة نظامها.**"[1]لكن تعدّ قضيّة أمر اختيار لغة الرواية صعبا للغاية ممّا أفضى إلى التّوسل بـــ:"**لغة عالية المستوى، ولكن ليست بالمقدار الّذي تصبح فيه تقعّرا وتفقيها**"[2]في الوقت ذاته لابدّ الحيد نوعا عن اللّهجة العامّية.

وأخيرا يمكن أن نقول أنّه لابدّ للروائي أن ينتقي اللغة الّتي تلائم طبيعة موضوعه مبتعدا في ذلك قدر الإمكان عن العبارات الشّاذة التي يضطرب بها التلقي، فلا يجب على الكاتب أن يكون مكرها في توظيفها؛ بل عليه أن يطوّعها بما يناسب عمله الإبداعي ليبتعد في ذلك عن الصّنعة اللفظية الّتي قد تفضي به إلى إهمال فحوى العمل الروائي .

2-السرد:

إنّ "**علاقة الذات بغيرها من الذوات أو الفضاءات الطبيعية أو المصطنعة**"[3]أسهمت إلى حد كبير في تشكيل الذاكرة التي تتجمع فيها الفعاليات والأحداث بأبعادها المختلفة؛ حيث إن التقرب من ميكانيزم السّرد الممجد لحكي يبتغي التركيز على ديالكتيكية الأشياء"[4] التي تتمازج مع الموروث والواقع والخيال لتأطير"**عرين الذائقة**"[5]بما يحمل من مكنونات تثري المكوّنات النّصية التي لها مراميها وتنويراتها المتناثرة على مساحة البناء السردي .

---

[1] – عبد المالك مرتاض: في نظريّة الرواية-بحث في تقنيات السّرد-، ص:129.

[2]– المرجع نفسه، ص:126.

[3]– محمّد بشير بويجرة: محنة التأويل زخم المرجع وفتنة الوقع :قراءة في أوديسا الصحراء تلك المحبة،منشورات مختبر مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر – جامعة وهران،دار القدس العربي،2011،ص:13.

[4]– المرجع نفسه، ص:31.

[5]– المرجع نفسه ، ص نفسها.

إن هذا التّفاعل الّذي يحصل بين البشر والطبيعة لا يحدث بالدّرجة نفسها بينهم؛ من حيث إنّ الطبيعة بمختلف أطرها قوةٌ متسلطة ذات قدرة على التحكم في مصير البشر من دون أنْ تكون لهم القدرة على إيقاف تسلطاتها الدائبة التي تنصهر فيها التمثّلات البشرية المختلفة تلك التي تقبع في الذاكرة التراثية المكتنزة بالوشائح الوصفية والتصويرية التي تجسد التوقيعات الإنسية العديدة عبر التتابعات الزمنية التي يحذو فيها عنصر السرد حذوا تنفتق منه طفرات الحركية الجمعية وأهازيج التفاعل البشري ككل.

هذا ويعدّ السرد مصطلحا شائكا تحدوه نوع من الضبابية بسبب التباين حول ماهيته والعوالم المختلفة التي يشملها فهو"**فعل لا حدود له يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية، أبدعه الإنسان أينما وجد وحيث ما كان، يمكن أن يؤدّي الحكي بواسطة اللغة المستعملة شفهية كانت أم كتابية، وبواسطة الصور ثابتة أو متحركة، وبالحركة وبالامتزاج المنظم لكل هذه المواد فهو بين استقلالية السرد وشموليته لكل ما يبدعه الإنسان وبأيّة لغة كانت**[1]، فهو يشمل اللّغة المكتوبة، كما نجده في اللّغة الشفهيّة ونلمسه في لغة الإشارات، كما يتواجد في الرّسم والملحمة والتّاريخ، وبعبارة أدق هو موجود في كلّ ما يكتبه الإنسان أو يشاهده أو يقرؤه أو يسرده وفي هذا الصّدد يقول رولان بارث(Roland Barthes): "**إنّ القصّة لحاضرة بكلّ هذه الأشكال غير المتناهية تقريبا في كلّ الأزمنة وفي كلّ الأمكنة وفي كلّ المجتمعات وإنّما تبدأ مع التاريخ الإنساني نفسه.**"[2]

والسرد – كما أسلفنا الذكر– لصيق بالإنسان منذ الأزل، فهو ناتج عن وجود الإنسان على سطح الأرض "...**فهو حاضر في الأسطورة والخرافة والأمثولة والحكاية والقصة والملحمة والتّاريخ والماساة والدراما** .."[3] فارتباط وجوده بوجود الإنسان في كلّ مكان وفي كلّ زمان.

---

[1] – سعيد يقطين: الكلام و الخبر–مقدمة السرد العربي– ، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ص:19

[2]– رولان بارث: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصّة، تر: منذر عيّاشي، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الأولى، 1993، ص:26

[3] – سعيد يقطين: الكلام والخبر– مقدمة السرد العربي–، ص:19.

وفي خضمّ هذا العدد الكثير من السّرود كانت الحاجة ماسّة نحو وضع قواعد وأسس تؤثّث هذه الإنجازات، فكان التوّجه نحو الأنماط السّردية، رغبة في تصنيف الإنجازات السرديّة، ليسهل فيما بعد دراسة أيّ نص سردي أيّما كان نوعه وشكله.

وأوّل الجهود كانت مع الشّكلانيين الرّوس، بالضّبط مع رائدهم بروب، الّذي رمى من خلال دراسته لمرفولوجية الحكاية الشّعبية إلى ضبط دراسة الحكي، لكن "**ضمن تصوّر شكلاني مورفولوجي أو صرفي، ولم يذع صيت هذا الكتاب إلا بعد ترجمته إلى الإنجليزية من قبل "لورانس سكوت" ومركز البحث التّابع لجامعة إنديانا**"[1]

لقد حاول بروب في دراسته لمائة حكاية عجيبة من خلال تركيزه على المبنى الحكائي؛ أي التركيز على الشّكل وتجاهل المعنى ومبتغاه في ذلك هو تحديد الأنساق الهيكليّة لتلك الحكايات الجمّة وفي هذا الصدد قال: "**إننا سنعمل على مقارنة الأبنية الحكائية لهذه الخرافات فيما بينها، ولأجل ذلك سنعزل، في البدء، الأجزاء المكونة لها، متبعين المناهج المكونة. وستكون نتيجة هذا العمل مورفولوجيا.أي: وصفا للخرافات حسب أجزائها المكونة، وللعلاقات فيما بينها، وفيما بينها وبين المجموع.**"[2]

وقد فصل بروب في دراسته هاته بين الحدث والشّخصية، مؤكدا على نقطة مهمّة وهي محدودية الوظائف التي تتضمنها الحكاية العجيبة، وعليه فالشيء الغني عن الدلالة حول دراسة بروب هو ذلك "**الاحتفاء بالوظيفة وجعلها عصب النص ومحوره الرئيس. فالحكاية هي تسلسل من الوظائف المحدودة العدد والانتشار، ولايمكنها أن تكون شيئا آخر سوى ما تحيل عليه من الوظائف في تتابعها وانتظامها في دوائر بعينها**"[3]

---

[1]– ليفي ستراوس: الأنثربولوجيا البنيوية ج2 ،تر: مصطفى صالح، منشورت وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،1983، ص:168

[2]– فلادمير بروب: مورفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتّحدين، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى،1986،ص:33

[3]– سعيد بنكراد: سيميولوجية الشّخصيات السّردية –رواية" الشراع والعاصفة" لحنا مينة نموذجا–دار مجدلاوي، عمان، الطبعة الأولى،2003، ص:09.

وكانت دراسة فلادمير بروب المنطلق والمرجع للدّراسات الّتي أتت بعده، فتوالت الدّراسات من قبل العديد من الباحثين أمثال: تودوروف، وكلود بريمون وغريماس وجينات ورولان بارث، فصار للسّردية علم مستقل بذاته وأطلق عليه ب "علم السّرد"

3-السّرديّة: narratalogie

مصطلح السّرديات (narratalogie) له ارتباط وثيق بالسّرد، ويعود إلى الباحث تودوروف الّذي سنّه عام 1969م مطلقا عليه صفة العلم، فيعدّ بذلك علم السرد أحد تفريعات الشّعرية عن بعض النّقاد، في حين تجمع الدّراسات الحديثة أنّ من أرسى دعائم السرديّات هو النّاقد الشكلاني فلادمير بروب؛ وذلك من خلال كتابه "**مورفولوجية الحكاية الشّعبية**" عام1928م، فقد سبق بذلك الباحث تودوروف، فكانت الفترة ما بين (1928-1969) حبلى بالكثير من الدّراسات السردية والنّقدية الّتي تمخّض عنها مصطلح أطلق عليه بالسّرديّة.

ويعرّف غريماس السردية بأنّها "**خاصّية معطاة تشخّص نمطا خطابيّا معيّنا، ومنها يمكننا تمييز الخطابات السّرديّة من الخطابات غير السرديّة**"[1] ومنح لها تعريفا آخر، إذ يقول: "**هي مداهمة اللامتواصل المنقطع للمطّرد المستمر في حياة أو تاريخ أو شخص أو ثقافة، إذ نعمد إلى تفكيك وحدة هذه الحياة إلى مفاصل مميّزة تدرج ضمنها التّحولات...**"[2]، مؤكّدا بذلك أنّ السردية هي عبارة عن تحويل أو تحويلات تتأتّى على إثرها علاقة وصلة بين الفاعل الإجرائي والموضوع المرغوب فيه، ويمكننا أن نعدّها البوتقة الّتي ينصهر فيها المعنى جرّاء تواشج الفواعل الإجرائية مع موضوعاتها في حالتي الانفصال والاتّصال.

وكتعريف آخر للسّرديّة " **هي المبحث النّقدي الّذي يعنى بمظاهر الخطاب السردي أسلوبا وبناء ودلالة.**"[3] إضافة إلى أنّها هي "**علم السرد science de récit ذلك أنّ لكلّ محكي**

---

[1]- يوسف وغليسي (السرديّة والسرديات)، مجلّة السرديات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ع1، جانفي، 2004، ص:09.

[2]- محمّد الناصر العجيمي: في الخطاب السّردي-نظرية قريماس-، الدار العربيّة للكتاب، تونس،1991، ص:56.

[3]- عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، المؤسّسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، الطبعة الأولى ،2005، ص:07.

موضوع، وهو ما يصطلح عليه بالحكاية histoire هذه الأخيرة لا يتلقّاها القارئ مباشرة وإنّما من خلال فعل سردي هو الخطاب السردي."[1]

والسّردية حسب توجّه غريماس "**تتجلّى في تحويل أو عدّة تحويلات ينفتق منها صلات، Conjonctions، أو فصلات Disjonctions للفواعل الإجرائية مع الموضوعات."**[2]

ومنه السّرديات عبارة عن منهج نقدي يتوسّل به لمقاربة النصوص الإبداعية، لم يتبنّاها العرب إلّا حديثا؛ فظهرت على الساحة العربية في الثمانينيات، فميلادها في الوطن العربي متأخّر لو قورن بتطبيقها في الدراسات النقدية الغربية والتي كانت في الخمسينيات؛ ومردّ ذلك إلى عدّة عوامل من أبرزها السياسيّة وكذا الثقافيّة الّتي كان يعيشها الوطن العربي عقب الاستعمار، تلك الظروف كانت كفيلة بأن تبطئ وفود المنجز الغربي إلى النقد العربي، نقد عربي لم يستطع أن يفرض ذاته إلّا بالاستعانة بما قدّمه الغرب من طروحات نقديّة؛ وذلك لأنّ التراث لم يسقه بآليات وأدوات وإجراءات فعّالة لقراءة النّصوص الإبداعيّة، فكانت النّتيجة أنّ العرب لم يعرفوا السّرديات إلّا بعد الاستعانة بالترجمة خصوصا ترجمة كتاب مروفولوجية الحكاية الشعبية لفلادمير بروب.

ومرّ المصطلح بثلاث مراحل؛ الأولى تعلّقت بالشكلانيين الرّوس عندما انصبّ تركيزهم في دراستهم على شيئين وهما: أدبية الأدب وشكله؛ وهكذا " **ركّز الشكلانيون الروس اهتمامهم في مجالين بارزين هما؛ دراسة الصّفة الّتي تجعل من الأثر عملا أدبيّا، وهي ما أطلق عليها جاكبسون الأدبيّة، ومفهوم الشّكل، إذ تصدّوا بجرأة لمبدأ ثنائيّة الشّكل والمضمون في الأثر الأدبي، وهو ما كانت النظريات النقدية القديمة تذهب إليه، وأكّدوا أنّ النّص الأدبي، يختلف عن غيره، ببروز**

[1]- عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي ، ص:17.

[2] -Groupe D'entrevernes, Analyse sémiotique des texte, Editions Toubkal première, édition marocaine,1987,p14 .

شكله[1]، فكانت الدّعوة بارزة هنا إلى إيجاد علم جديد يعنى بأدبيّة الأدب والهدف منه هو تقصّي شعرية السرود.

أمّا المرحلة الثّانية الّتي تعرّض فيها المصطلح للكثير من التّجاذبات فكان زئبقي التّحديد، فلم يضبط الباحثون حدوده ومعالمه فأطلقوا عليه العديد من المصطلحات من بينها: التّحليل السّردي، شعريّة السّرد، نظريّة السّرد، نقد الرّواية...الخ، إلى أن جاء تودوروف كما أسلفنا الذّكر وضبط المصطلح فنادى بـــــ "السّرديّات".

في حين المرحلة الثّالثة كانت المنعرج الحقيقي للسرديات؛ وذلك مع جيرار جينيت وكتابه "خطاب الحكاية" عام1972، فأضحت علما قائما بذاته.

4-الـــــــــــرّواية:

ولّما كانت الرّواية "**تتعامل مع التّصوّرات الذهنية الموجودة عن الواقع.**" [2]كان لابدّ لها أن تستلهم في تشكيل عناصرها وإلى حد كبير من بوتقة الموروث السردي الذي تنطوي في مجموع الحكايات والأخبار والنوادر...الخ حيث تتواشج مختلف الموضوعات في التركيبات السردية المستثمرة في المرجع الفكري والثقافي.

هذا و"**تتّخذ الرواية لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكّل، أمام القارئ، تحت ألف شكل؛ ممّا يعسر تعريفها تعريفا مانعا جامعا. ذلك لأنّنا نلفي الرواية تشترك مع الأجناس الأدبيّة الأخرى بقدر ما تستميز عنها بخصائصها الحميمة، وأشكالها الصّميمة. أمّا**

[1]- عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي: معرفة الآخر (مدخل إلى المناهج النّقديّة الحديثة)، ص:10.

[2]- حميد لحميداني: أسلوبية الرواية (مدخل نظري)، منشورات سميائية أدبية لسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989، ص: 37.

بالقيّاس إلى اشتراكها مع الحكاية والأسطورة؛ فلأنّ الرّواية تغترف بشيء من النّهم والجشع من هذين الجنسين العريقين.."[1]

إضافة إلى كلّ ما تقدّم ذكره"**لم يعترف المفكّرون والفلاسفة القدماء بجنس الرّواية لعدم وضوحه، وبروز ملامحه على تلك العصور الموغلة في القدم؛ إذ نلفي أرسطو لا يختصّ هذا الجنس بشيء من كتاباته ذات الصّلة بالتّنظير للأدب؛ ولكنّه جنح بها نحو الشّعر والخطابة والمشجاة والملهاة خصوصا. ولعلّ هيجل أن يكون أوّل من اختصّ من الفلاسفة الغربيّين جنس الرّواية بشيء من العناية فتحدّث عنها ضمن نظرياته حول علم الجمال.**[2]فتموقعت بذلك في مصافّ الأدبيّة وتبلورت شواكلها الفنية لتصنع لنفسها حضورا تتبوأ فيه مكانة ضمن ما يقع من أهازيج أدبية تخطها بقية الأجناس الأدبية الأخرى ضمن ما ينبثق من خصائصها البنائيّة والموضوعية.

والكلّ يعرف بأنّ "**الرواية وإن كانت فقدت شيئا كثيرا من منزلتها التقليديّة، الّتي كانت تتبوّؤها أثناء القرن التّاسع عشر؛ فإنّها استطاعت أن تغيّر من جلدها، وتتنكّر للرواية التقليديّة، وتحاول أن تبني لنفسها بناء جديدا، وذلك على أنقاض الرواية التقليديّة الّتي لم يعد أحد يشكّ في أنّها لا يمكن أن تستمرّ، بشكلها التّقليدي المألوف في الازدهار**"[3]، فحقّقت مكانة مرموقة في القرن العشرين "...**حيث لا نلفي جنسا أدبيّا أحظى لدى القرّاء، بالقراءة والمتابعة والنّقد، كجنس الرّواية، وقد ظاهرها على تحقيق هذه المكانة الأدبيّة الممتازة، أنّ كثيرا من الإبداعات الروائيّة تحوّل اليوم إلى أفلام سينمائيّة يشاهدها ملايين النظارة.**"[4]

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على قدرة الرواية على حمل هموم وأزمات الذات والحياة في أكثر من بعد من ممكن، فقد احتوت بوشائحها التصويرية جزء كبير من تطلعات وآفاق الذات البشرية ضمن حضورها الجمعي عبر ما يكون من ترسيماتها الفكرية والفنية التي تجسد الكينونة

[1]– عبد المالك مرتاض: في نظريّة الرواية–بحث في تقنيات السرد–، ص:11.

[2] – المرجع نفسه، ص:26/25.

[3]– المرجع نفسه، ص:15.

[4]–المرجع نفسه، ص:27.

والواقع بين الحركيّة والثّبات حتّى عبر ما يمتدّ من الجسور إلى الخيال الذي ترتسم فيه الحقائق في أبهى حلّة لها، فالرّواية عالم فريد تتواشج فيه عدّة عناصر يكون وقعها ضروريّا لتحقق مضامينها وما تنبني عليه من قصدية.

وتتمثّل عناصرها في الحدث والشخصية والزمان والمكان والحوار والسرد، وتعد الشخصيّة عصب العمل الروائي؛ بل تتبوّأ الشخصية قبّة الصرح الروائي؛ وذلك نظرا لأنّها "**تعتبر أهم مكوّنات العمل الحكائي إذ تمثّل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال الّتي تترابط، وتتكامل في مجرى الحكي لذلك لاغرو أن نجدها تحظى بالأهمّية القصوى لدى المهتمّين المشتغلين بالأنواع الحكائيّة المختلفة.**"[1] فهي"**ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرّك الواقع من حولنا، وعن ديناميكيّة الحياة وتفاعلاتها.**"[2]إذ تغيب الحركيّة والتّفاعليّة دونها نظرا لتلازم الحدث بانتقالاتها على مساحة السّرد.

وهكذا تعدّ الشّخصية عنصرا مهما في المبنى الحكائي للرواية، غير أنّ هذا لم يشفع لها بأن تصبح هي كل شيء؛ بل تشاركها في ذلك العناصر الأخرى كالزمان والمكان والحدث...؛ لكن مع ذلك تبقى العصب المركزي والمركز ومفعّل العناصر الأخرى والمحرّك الفريد والجوهري في خضمّ الأحداث التي يتضمّنها البناء الروائي، فلا شكّ أنها تقوم بالفعل، والرّوائي هو الّذي يجسّد حضورها السّردي ويبقيها في قوالب التصوير عن طريق تصويرها في مجموعة من العلاقات التي تكون مع أطراف أخرى كما تعدّ "**واسطة العقد بين جميع المشكّلات الأخرى؛ حيث إنها هي الّتي تصطنع اللّغة، وهي التي تبثّ أو تستقبل الحوار، وهي الّتي تصطنع المناجاة...**"[3] ، ومنه "**يتجلّى النّص الحكائي كعمل أدبي فنّي من خلال إتحاد مجموع عناصره ، ويعمل كلّ منها حسب موقعه، ولا يمكن أن يكتسب كلّ منها أهمّيته ويؤدّي دوره الموكّل إليه إلا بالاتّحاد مع العناصر الأخرى من**

[1]- سعيد يقطين، قال الراوي-البنيات الحكائية في السيرة الشعبية-، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص:87.
2- شكري الماضي: فنون النثر العربي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1996، ص:30.
3- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرّواية-بحث في تقنيات السّرد-، ص:91.

خلال شبكة العلاقات القائمة بينها بمختلف اتّجاهاتها"[1]، وهذا يوحي بحقيقة مكمنها أنّ أيّ عنصر داخل الرواية لا يكتمل وجوده ودوره إلّا بعلاقته بالعناصر الأخرى للنّص السردي؛ حيث تتشكّل بذلك العوالم الروائية المتداخلة فيما بينها كفضاء سردي تنطلق منه جدوى فسيفساء الكتابة الروائية.

وممّا لاشك فيه أن "**النّقد المعاصر يعطي الشّخصية أهمّية خاصّة، حيث يعتبرها النقاد أساس بناء الرواية ومن الصعوبة بمكان فصل هذا العنصر عن غيره، فهو يرتبط بالحدث ويجسّم الفكرة التي تنطلق بها الرواية وعن طريق تصرفات الشخصيات وعلاقاتها المتشابكة تنمو الأحداث"**[2] وهكذا فعرى الترابط وثيقة بين الشخصية والحدث؛ إذا لا يقوم هذا الأخير إلا عليها، لينفرد بذلك العمل السردي عن بقية الأجناس الأخرى بوجود الشخصية التي تأخذ بنمطيتها وتمثلاتها الجوهرية تمفصلا ديناميا يسمح لها ببناء طرائق وعلائق سردية عديدة ومختلفة .

ومنه المنعرج الحاسم في دراسة الشخصيّة كان في بدايات القرن العشرين؛ إذ تجاوز النقاد الشكلانيون والبنيويّون والسيميائيّون مفهوم الشخص والشخصيّة التقليدي ليستعيضوا عنها بمفاهيم لسانيّة جديدة أخذت من اللسانيات وكذا النحو كالفاعل والعامل، وجعل في مكان الوظائف ما يسمى بالأحداث ، في حين استبدلت الشخصيات بالعوامل أو الحوافز أو الفواعل، وهكذا صارت الشخصيّة تدرس بمعايير مغايرة لا لشيء إلا لأنّها "**علامة مكوّنة من دالّ ومدلول، أو كمورفيم مزدوج التّمفصل يتميّز في البداية بكونه لا يحيل على شيء، ولا يعني أيّ شيء، بمعنى أنّه فارغ من كلّ دلالة مسبقة، ومن تمّ فهو سيتكوّن في البداية من الفراغ الدّلالي، غير أنّه سرعان ما يغدو مشحونا كلّما تقدّم السرد.**"[3]، ونحلظ من خلال ما تقدم أنّ بذلك النقاد المعاصرين استغنوا عن التصور التقليدي للشخصيّة .

1- أميرة الكولي: البنى الحكائية في الأدب الشعبي"دراسة في ضوء المنهج البنيوي، دار التنوير، الجزائر،2013، دون طبعة ، ص:47/46 .

2 – صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية(دراسة)، دار الهدى للطباعة والنشر التوزيع، عين مليلة، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2006 ، ص:363

3- عبد العالي بوطيب: مستويات دراسة النّص الروائي، مقاربة نظرية، الأمنيّة، الرباط، الطبعة الأولى، 1999م، ص:47.

وهذا ما سنفيض فيه أكثر من خلال الفصل الأول من هذا البحث.

الفصل الأول

الرّوافد الفكريّة لنظريّة العامل السّرديّة

الفصل الأول: الرّوافد الفكريّة العامل السّردية

تمهيد:

ممّا لا يدعو مجالا للشّك هو أنّ جوليان ألجريداس غريماس(J.A.Greimas)" **تمكّن رفقة مجموعة من الباحثين من تلامذته أن يؤسّس لدرس سيميائي يتّكئ على جملة من المفاهيم الجديدة والقديمة في الآن نفسه، بحيث يبني نظريّة جديدة للتّحليل السّردي والكشف عن الدّلالة والمعنى انطلاقا من مختلف النتائج الّتي توصّل إليها كلّ من سبقوه في هذا المجال.**"[1]فهو لم ينطلق في تأسيساته النظرية من فراغ؛ وإنما ارتكز في بلورة مفهوم جديد للشخصية وفي تنضيد درسه على جهود سابقيه ليعزز من فاعلية نموذجه النقدي.

وعطفا على ما سبق ذكره فقد استثمر جوليان ألجريداس غريماس في تشييد معمار"**نظريّة العامل**"على مصادر كانت بمثابة اللّبنات الأولية للبناء؛ إذ "**كانت سببا في بلورة السّيميائية السّردية إنّها الإرهاصات الأولى الّتي يستوجب الإشارة إليها، لِمَا لها من فضل وأهمّية في ترسيخ البعد المعرفي في النّقد الأدبيّ المعاصر على العموم.**"[2]حيث إننا نلفي امتدادًا ابستومولوجيا لجسر النقد وهو امتداد تتابع معه تحولات الكتابة الإبداعية ونقدها على حد سواء.

فتقاليد المعرفة عموما تأبى على مفهوم اللحظة الصفرية الفارقة؛ بل لابدّ من تراكمات تتسنمها تلك النظرية الجديدة بعد أن تعقد معها مجموعة من التناصات والحوارات، ثم لها بعد ذلك أن تكرّس إما الاستمرار وإما الانقطاع بصورة أو بأخرى، فالعنصر السابق على كل حال قابع في العنصر اللاحق ومحدد له ولأنساق خطاباته التي يُشكّلها[3].وهذا ما يسمح بانبثاق الأطياف النقدية التنويرية بين الحلقات التنظرية التي ترتسم على كل فترة زمنية.

1- سمير المرزوقي وجميل شاكر: مدخل إلى نظريّة القصّة تحليلا وتطبيقا، الدّار التونسيّة للنّشر والتّوزيع، الطبعة الأولى، 1985م، ص:111.

2- نادية بوشفرة: مباحث في السيميائية السردية، دار الأمل للطباعة والنّشر، تيزي وزو، بدون طبعة، 2008م، ص:09.

3-نظريات بناء المعرفة تتجه إما إلى التأصيل وإما إلى القطيعة، وللمزيد ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2002م، ص:82 وما بعدها.

وعليه"**لا يمكننا الحديث عن نظريّة ما، واختبار فاعليّتها الإجرائيّة بكيفيّة واضحة خاليّة من كلّ لبس، ما لم يتمّ تحديد أصولها العلميّة وسبر خفايا خلفيّاتها النّظريّة، وضبط امتداداتها المعرفيّة في تقاطعها مع حقول معرفيّة أخرى**"[1]، خاصة وأن النظريات النقدية الحديثة صارت منفتحة على شتى المعارف تستقي منها وتتحاور معها بل وتضيف إليها[2]..بما ينبثق من فتوحات تستجيب في عطاءاتها للرهانات التي يفرضها الواقع بمختلف أطره.

وهكذا فـــ:"**ليس في الإمكان–في نظرنا– ترسيخ وعي نقديّ لنظريّة ما، دون سند معرفيّ مكين، وهمّ متبصّر لسيّاقها التّاريخي، وأسسها المعرفيّة وأصولها العلميّة...**"[3]، وعليه يمكننا أن نقول بأن السّيميائيّة هو تاريخها كما ذهبت في ذاك الباحثة آن إينو، وهذا في الحقيقة حال المناهج والنظريات ذات البنى والروافد المتشابكة والمتعالقة فهي مفاهيم تقارب ولا تعرف، نلج إليها من خلال مداخل شتى ونلمحها من نوافذ متعددة ونلملم من ذلك مفهوما مركبا لها لا يعدو في الأخير أن يكون مقاربة لا غير.

يأتي كل هذا من أجل تبيان أهمية التعدد المرجعي للدّرس السّيميائي، وتعدّد الحقول المعرفيّة التي ارتبط بها، لكون الإشارة إلى هذا التّعدد والتّنوع تجعل الباحث في هذا المجال يجعل في حسبانه ما يلي:

–إنّ كل محاولة لتلمّس خصائص النّظرية السّيميائية في شموليتها، هو ضرب من المحال بحيث يتعذّر الإلمام بها في شموليتها؛ لأنها تتسع في تمثلاتها وفق الوعي النقدي الحاصل وزاوية المعالجة ومدى عمق التبصر والرؤيا .

1– عقاق قادة: الخطاب السيميائي في النقد المغاربي–دراسة–، دار الألمعيّة للنّشر والتّوزيع، الطبعة الأولى، 2014، ص:181

2– ومن أصدق الأمثلة على ذلك البنيوية التي تجاوزت حدود اللغويات بل وحدود الإنسانيات إلى حقول معرفية أبعد كالفيزياء والرياضيات، ينظر مثلا: الرويلي والبازعي، دليل الناقد، إضاءة لأكثر من سبعين تيّارا ومصطلحا معاصرا، ص:67، 68.

3– عقاق قادة: الخطاب السّيميائي في النقد المغاربي–دراسة–، ص:18

-ضرورة البحث في الجزئي ووشجه بالكلّي؛ لأن هذا الجزء لا يمكن فهمه واستيعابه إلا من خلال الشمولي، كما أن عزل الجزئي عن الشمولي قد يؤدي إلى مطبّات ومزالق عدة، أو إلى سوء فهم في أحيان أخرى.

- عدم جدوى فصل التصورات والمفاهيم عن مرجعيتها المعرفية والفلسفية والحضارية[1].

ومُحَصِّلُ هذا أن الظفر بتصور شامل للسيميائيات ضرب من المحال، لتعذر تحقيق نظرة كلية في ضوء التعقيد التكويني للنظرية، ولذا لا مناص من مشاهدة الشمولي في ضوء الجزئي، فللتّغاضي عن ذلك تبعات ومزالق، لأن المفهوم المركب لا يقارب مقطوع الصلة عن روافده ومرجعياته سواء أكانت قريبة أم بعيدة ظاهرة أم خفية.

ويُستَشَفُّ ممّا تقدَّم أنَّ الوقوف على روافد "**نظرية العامل السَّردية**" أكثرُ من ضرورة مُلِحَّة، وحتمية منهجية؛ لأنه أمر يكفل تطبيق إجراءاتها بعيدا عن كل خطأ محتمل، فالتّعاطي مع النّظريات والمناهج وهي مقطوعة الصلة عن سيّاقاتها التي أفرزتها يعتبر من أكثر مظانِّ الغلط وعدم التّمثل والاستيعاب.

وهكذا يأتي هذا الفصل الأول والقصد من عقده أن نقف على الخلفيات التي اتَّكأ واستند عليها غريماس لتنضيد نظريَّتِه العامليَّة، وهدفنا أن نتبيَّن ونترصَّد التَّعدَّد المرجعيِّ للنظرية المذكورة، وتشابك الحقول المعرفيَّة التي رَسَمَتْ من خلالها تلك النظريةُ تشكلاتِها التي استقرت عليها في حقل السيميائيات السردية.

فغريماس وباعتباره مؤسسا للسّيميائية السردية كان"**قد استقى نظريّته من مصادر معرفيّة متعدّدة: دراسات أنثروبولوجيّة، ولسانيّات بنيويّة وتوليديّة، ومنطقيّة، وإنّ المرء ليستطيع، أن**

1- ينظر: سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائية السردية-جريماس نموذجا، مجلة سمات، مركز النشر العلمي، جامعة البحرين، المجلد الأول، العدد الأول، ماي 2013. ص:47

يقول إنّه* أشمل نظريّة لتحليل الخطاب الإنسانيّ، ولكنّ هذا التّعميم يجب أن يقابل بحذر شديد، ذلك أنّ خصوصيّات كلّ خطاب تتأبى عليه فلا يستطيع ضبطها وتشخيصها بما فيه الكفاية"[1]، أي أن تلك الشمولية تبقى محل تحفظ مراعاة للطابع الخصوصي لكل خطاب، والشاهد هنا أن غريماس لم يكتف برافد واحد لبناء نظريَّته العامليَّة وإنَّما ارتفد من مشارب معرفية مختلفة ساهمت جميعها بأشكال وصور وطرائق متنوعة في بلورة النظريَّة.

وهكذا إذا لم نحد عن الصواب فإنّ"...**نتائج البحوث المنفردة الّتي قام بها فلادمير بروب في ميدان الحكاية الفلكلورية وكلود ليفي ستروس Claud lévi-Srraus في ميدان الفكر البدائي والحكايات الأسطورية وآتيان سوريو Etienne Souriau في ميدان الكتابة المسرحية، من استجلاء أفق جديد للبحث والمعرفة ومن بروز مناهج ومفاهيم جديدة لابدّ من ضبطها وتبيّن قيمتها النّظريّة.**"[2]

حيث وعلى الرغم من كون اتجاه السيميائيات السردية قد يبدو مستقلا بنفسه على مستوى الأسس المعرفيّة والجهاز المفاهيمي والمصطلحي، فالحقيقة عكس ذلك، لكونه ينبني على مرجعيات معرفية تمتد إلى مجموعة من الحقول المعرفية، نذكر منها: الاتجاه الشكلاني، اللسانيات، الأنثروبولوجية البنيوية، نظرية العوامل، النحو التوليدي... إن النبش في هذه الحقول المعرفية المتعددة يمنحنا إمكان تبيان الإرث المعرفي لهذا الاتجاه السيميائي والوعي بأحواله النظرية [3]

وهكذا يبدو أنّ "**غريماس انطلق من نتائج بحوث بروب وليفي ستروس ومن بعض التّصورات الألسنيّة الواردة في مؤلّفات يامسلاف Hjemslev عاملا على توسيع إطار تطبيق الأجهزة النّظريّة وذلك بشكلنتها المطّردة أي بشكلنة الأمثلة الجزئيّة المنقوصة، متيقّنا من ضرورة إدماج القصصيّة الّتي ما فتئت تستقطب الفكر الشّكلاني في نطاق مشروع علاميّة عامّة**

*الضمير يعود على التيار السيميائي الذي يعد غريماس أهم أعلامه وروّاده .

1- محمّد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجيّة التّناص- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثّالثة، 1992، ص:09

2 - سمير المرزوقي وجميل شاكر: مدخل إلى نظريّة القصّة تحليلا وتطبيقا ، ص:107

3- ينظر: سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية-جريماس نموذجا-، ص:47.

sémiotique générale."[1]فتأثير أعمال الشكلانيين الروسي وكذا ليفي ستراوس باد على المشروع الغريماسي وهذا ما سنتبيّنه لاحقا من خلال فصلنا هذ ا.

وعطفا على ما سبق ذكره سنحاول التّعرف على المصادر الّتي استقى منها غريماس نظريّته العامليّة والتقرب منها قصد **"التّوفيق في استيعاب مفاهيمها"**[2]، متّجهين في سبيل ذلك إلى حصرها في روافد معينة، وإن كانت أكثر وأعقد؛ لأنّ النتاج النظري في الغربي هو وليد سياق تاريخي يتداخل فيه اللساني بالإنساني، والإيديولوجي بالمعرفي، والعلمي بالأدبي، والفلسفي باللاّهوتي، وهكذا تخلقت نظرية غريماس بجينات وراثية ترجع إلى طبيعة ذلك الرحم الذي احتوى مخاضها، وعليه فالرّوافد الكبرى التي اخترنا أن نقف عليها هي:

1- الرّافد الفلسفي

2- الرّافد اللّساني.

3- الرّافد المعرفي.

1- الرّافد الفلسفي:

تعتبر الفلسفة موطنا لبزوغ التّيار السّيميائي، فالمواضيع التي كانت مثار اهتمام الفلاسفة استقطبت اهتمام روّاد المدرسة السّيميائية الباريسيّة بزعامة غريماس، وهكذا فثمّة وشائج بين الفلسفة والسّيمياء وهذا ما أكّده أحمد يوسف بقوله: "**بات الارتباط متينا إلى حدّ التّطابق بين السّيميائيّات والمنطق ونظريّة المعرفة وإن كان التّأويل السّيميائي للخطاب الفلسفي ذا طبيعة أكثر خصوصيّة**

1- سمير المرزوقي وجميل شاكر: مدخل إلى نظريّة القصّة تحليلا وتطبيقا ،ص:108.

2- عقاق قادة: الخطاب السّيميائي في النقد المغاربي-دراسة-، ص:19.

وأكثر تعقيدا، ذلك لأنّ التّفكير بالعلامات وحول العلامة في آن واحد ظلّ يشغل بال الفلاسفة منذ العصور القديمة ومرورا بالعصور الوسطى والحديثة إلى أيّامنا هذه..."[1].

هذا ورغم أن سيميائية غريماس ذات منحى أوربي ألصق بالعلامة اللغوية بخلاف السيميائية الأمريكية المنفتحة على العلامات غير اللغوية ما جعلها ألصق بالفلسفات[2]، إلا أن غريماس كان في مشروعه يتماس بين الفينة والأخرى مع كبرى الفلسفات التي بسطت سيطرتها على الحياة الفكرية منذ أرسطو إلى نيتشه ومن تلاه، فقد غرف من الفلسفة الظّاهراتية والذّرائعيّة ومن أفكار جملة من الفلاسفة.

فعلى سبيل المثال تتقاطع سيميائية غريماس مع الفلسفة في مباحث المنطق الأرسطي، بحيث ينقسم هذا الأخير إلى"...**عام وخاص:العام ما تشتمل عليه كلّ محتويات النّسق (Organon)، والخاصّ هو ما ينصرف إليه الذّهن عند الحديث عن المنطق، وهو يحتوي على المقولات، وأنواع الدّلالة والقضايّا، وأصنافها ومعاييرها والقيّاس، وأشكاله،ومنطق الجهات، وطرق بناء المعرفة وتحصيلها ب: (الموضوعات)، و(التّحديدات)، و(الافتراضات)، و(الاستقراءات)، و(الاستنباط)**[3]، فالمربع السيميائي بعلاقاته التقابلية يشكل صورة من صور المنطق الأرسطي مع نوع من الإزاحة والتعديل.

ومما يدل على الصلة الوثيقة بين المشروع الغريماسي والفلسفة أنه اتّخذ من أحد أكبر الصراعات الفلسفية مثالا تجسيديا لنموذجه العاملي، وهو صراع كلٍّ من الفلسفة المثالية .

---

[1]– أحمد يوسف: الدّلالات المفتوحة –مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة–، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربيّة للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص: 09

[2]– ينظر: يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانيّة، 2009، ص:99.

[3]– محمد مفتاح: أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة عالم الفكر، سيميائيات، اصدار امجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ع3، مجلد 35، 2007، ص135.

2- الرّافد اللساني:

من خلال هذا العنصر ستكون لنا وقفة مع الرّافد اللّساني الّذي شكّل بدوره الأرضية التي قامت عليها النّظرية الغريماسية؛ فاللّسانيات الحديثة انطلاقا من اللحظة السوسيرية كانت مساهمة في أغلب المناهج والمفاهيم والنظريات النقدية بوجه أو بآخر، فلا يخلو أثر نقدي من أثر لساني كامن فيه؛ لأنّ اللسانيات كانت بمثابة المساءلة الابيستيمولوجية العامة للّغة في كل تمظهراتها.

ومنه يمكننا القول بأن الإرث اللّساني مُسَاهم في بزوغ النموذج العاملي الغريماسي إلى الوجود، حيث يتّفق الكثير من الباحثين اللّسانيّات أثّثت الخطاب النّقدي السّيميائي وأغنته، وأسهمت بشكل كبير في بلورة مقولاته وإضافة إلى توحيد مفاهيمه؛ وذلك لأنّه امتداد لها وتطوير لآلياتها الإجرائيّة، بل الأكثر من ذلك هناك من يذهب بالقول إلى أنّ السيميائيّات ما هي إلّا نقل حرفي للسانيّات ممّا يدّل على أنّه ثمّة وشائج قربى بينهما، باعتبار اللسانيات كانت بمثابة الأرضية لظهور سيمياء السرد إلى الوجود بقيّادة غريماس.

وهكذا "**لقد ارتبطت السيميائيات السرديّة بالإرث اللّساني من خلال مجموعة من المفاهيم، ففي مقاله الصّادر سنة 1956 (راهنيّة النزعة السوسيريّة) يرى غريماس ضرورة استفادة العلوم الإنسانيّة من ثنائيّة سوسير بحيث يشير إلى كون أصالة مساهمة سوسير في تحوّل نظريّته الخاصّة التي تخصّ فهم العالم باعتباره شبكة من العلاقات أو باعتباره بناء لأشكال ذات معنى إلى نظريّة للمعرفة ومنهاجيّة لسانيّة**"[1]؛ أي أنّ غريماس ينتقل بالثنائية السوسيرية من بعدها الألسني إلى بعد أرحب وهو البعد المعرفي المنهجي، لتصير طريقة في البحث، وهذا هو جوهر التفكير السّيميائي رغم أن اللّسانيات باتت تشدّد على المطالبة ب:"**وضع قانوني يسمح لها باستقلال شخصيّتها بين العلوم الأخرى... وتحليل النّص من زواياه اللسانيّة والتّداوليّة والتّواصليّة الأدبيّة**"[2]، ومن هنا

1- سعيد بوعيطة: المرجعيّة المعرفية للسيميائيات السردية-جريماس نموذجا-، ص:51.

2- محمد أديوان: النّص والمنهج، منشورات دار الأمان، الرّباط، المغرب، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص: 122-124.

كانت الحظوة للسيميائيات التي أخذت من اللسانيات أهم ما فيها ووسّعت نظرتها للخطاب نحو تحديدات متنوعة المداخل بما تتيحه العلامة من أشكال وأنساق دالّة.

لذلك لابدّ لنا من الوقوف عند بعض المفاهيم اللسانية التي تعدّ جذورا للسيميائية الغريماسية؛ وذلك أنّ "**بعض المصطلحات اللسانية الأساسيّة التي كان لها عميق الأثر في بناء الصّعيد السّردي للنظرية السيميائية**"[1]، فلا يمكن استيعاب الأخيرة إلا عبر تمثلها جيدا، وعلى رأسها التصورات السوسيرية الكبرى:

أ-تصور فاردیناند دي سوسير:Ferdinand de Saussure

تصور دي سوسير مركزي في شجرة السيمياء الحديثة، حيث إنّ "**المتتبّع للتطور السّيميائي المعاصر، يلحظ دون مشقّة أنّ المنحدرات العلميّة، تظهر من بعض جوانبها وبشكل ملموس في الدّراسات الألسنيّة وعلى وجه التّحديد في مؤلّف "دروس في الألسنيّة العامّة" لفاردیناند دي سوسير Ferdinand de Saussure**"[2]، وهذا يدُّل على أنّ ثمّة وشائج تربط بين السيميائيات واللسانيات، فلا يمكن الفصل بينهما.

لذلك انصبَّ تفكيرنا مباشرة إلى دي سوسير باعتباره أبا اللسانيات الحديثة، بحيث "**كان لدى دي سوسير الدّور الأساسي في سنّ المفاهيم العلميّة الأولى التي استخدمتها السّيميائيّة، مثل: اللّغة/الكلام، الدّال/ المدلول، الوحدة/الاختلاف**"[3]، وهكذا كان لثنائيّات سوسير دور فعّال في بلورة نظريّة غريماس السّيميائية، بل كان لها عميق الأثر في هذه الأخيرة فكانت بمثابة الركيزة الكبرى التي استند عليها المشروع الغريماسي، ومن هذه الثنائيات نذكر:

1-اللغة والكلام: Lange/parole

1- رشيد بن مالك: مقدمة في السّيميائية السّردية، دار القصبة للنّشر والتوزيع، دون طبعة، 2002،ص:05.

- نادية بوشفرة: مباحث في السيميائيّة السردية، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو، 2008 ص:2.09

- المرجع نفسه ، ص:3.10

لاشكَّ أنَّ اللغة تتحدّد بكونها"**منظَّمةً عرفيَّة ترمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظّمة تشتمل على عدد من الأنظمة يتألّف كلّ واحد منها من مجموعة من المعاني، تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التَّنظيميّة أو "المباني" المعبّرة عن هذه المعاني"**[1]، في حين يَتَحَدَّد الكلام بأنه فعل فردي ينبع من إرادة وذكاء الشخصي، وعبرها يستعمل المتحدث اللسان بغية البوح عن أفكاره ومنه نستنتج أنه ثمّة فرقا واضحا وجليّا بين اللغة والكلام؛ إذ تتعلّق الأولى بالجماعة أمّا الثّاني بالفرد، من جهة، وتعبّر اللغة عن نظام أو نسق تواصلي فيما يعبّر الكلام عن التّجسيد الفردي؛ أي: أنّ هذه القسمة السوسيرية هي أساس التفكير الدلالي البنيوي، فهناك بنى كامنة أو افتراضية، وهناك تجسدات لها متنوعة، كما أن القصص أو الروايات مختلفة لكنها ترجع إلى نموذج أعلى يشكل مفاصل اشتغالها، ذلك النموذج الذي كشف عنه الشكلانيون أول الأمر على يد فلاديمير بروب ثم اشتغل عليه غريماس فيما بعد، كما سيأتي لاحقا.

2–مبدأ الاختلاف: La Différence

مبدأ الاختلاف عبارة عن مقولة مركزية في الفكر اللساني الحديث، فقد" **أرسى قواعده "سوسير" واستعمله للدّلالة على أنّ المفاهيم المتباينة تكون معرفة ليس بشكل إيجابي من مضمونها، وإنّما بشكل سلبي من علاقتها مع العناصر الأخرى للنظام**"[2].

ومن الواضح أن مبدأ الاختلاف كمبدأ للمخالفة والتباين والتميز يتداخل مع معناه كمفهوم مكاني، بما أن المفاهيم بالضرورة لا بدّ أن تنطبع داخل الأنظمة والبنى حيث تتم عملية الإحالة والمرجعية إلى المفاهيم الأخرى: تنطبع كما يقول سوسير بشكل سلبي، أي: بشكل غير متحيز؛ لأن اللغة تتكون من الاختلافات فقط[3]!

1–تمّام حسان، اللغة ونظام الأنظمة، ينظر عبد السلام المسدي، اللّسانيات من خلال النّصوص، الدّار التونسيّة للنّشر، الطبعة الأولى، جوان،1984، ص:54-55.

2– رشيد بن مالك: مقدّمة في السيميائيّة السّرديّة، ص:10.

3 – سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد، إضاءة لأكثر من سبعين تيّارا ومصطلحا معاصرا، ص:118، 119.

ويتبدّى لنا ممّا تقدم بأنّ استنباط معنى اللّفظ لا يتمّ إلاّ من خلال حضور ضدّه، ومن هنا تتراءى لنا مسألة هامّة ألا وهيّ الثنائيات المتضادّة، التّي تنظمّ الأحكام عن طريق التقابل نفيا وإثباتا، كما يظهر بجلاء النّفَس البنيوي لمسألة الاختلاف التي هي إفراز من إفرازات النظر والتفكير من خلال البنى والأنظمة، فالعناصر ليست معزولة بل تعقد علاقات وظيفية مع غيرها في إطار البنية، تلك العلاقات هي في الحقيقة بمثابة المحددات للعنصر.

وهكذا "**الانطلاقة كانت مع سوسير، حين وجد أنّ المعنى لا يكون إلاّ مع وفي الاختلاف، وهو المبدأ الذي توّجته الدّلاليّة مسار بحث لها في تطوّر الدّراسات البنيويّة**"[1]، حتّى أضحى الاختلاف البوتقة الّتي من خلالها يتشكل المعنى، وهذا ما حاول غريماس أن يتبناه في نظريته العامليّة.

فقد استثمر غريماس مبدأ الاختلاف صائغا بذلك تصوره الذي يبتغي من خلاله تحليلا علميا للنّص السّردي، ومن ثمّة اهتدى إلى "**تصوّر جديد يقتضي فيه الاقتراب من المسألة الدّلالية، لاستيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى دون الاكتراث لطبيعته في إطار بنية تدرك بحضور عنصرين (على الأقل) تربطهما علاقة بطريقة أو بأخرى**"[2]، من هذا نلفي أن غريماس التفتَّ حول هذا المبدأ، مستثمرا إيّاه مهتديا إلى تصّور مغاير بغية الوصول إلى الدّلالة من خلال الاختلافات الّتي تفضي بدورها إلى المعنى وذلك بوجود عنصرين تؤطرهما علاقة ما، وهكذا "**فإنّ تمفصل العالم الدّلالي إلى وحدات معنويّة صغرى(السيمات) يناظر الفنيمات المميّزة لصعيد التّعبير، ومن الواضح أنّ السّيم بوصفه وحدة دلاليّة قاعديّة لا يحقّق وجوده إلّا في علاقته بعنصر آخر، ولئن كانت وظيفته خلافيّة بالدّرجة الأولى، فإنّه يستحيل أن يدرك خارج إطار البنية**"[3]، فإنتاج الدلالة عملية اختلافية في ظل التفكير البنيوي.

– نادية بوشفرة: مباحث في السيميائيّة السّرديّة، ص:1.10

2– رشيد بن مالك: مقدّمة في السيميائيّة السّرديّة، ص:10.

3– رشيد بن مالك: السيميائية السردية، دار مجدلاوي للنشر والتّوزيع ، عمان الطبعة الأولى، 2006، ص:30.

يبقى فقط أن نشير إلى أن مبدأ الاختلاف استثمره غريماس في المستوى العميق لبرنامجه السردي، وبالضبط في عملية إنتاج الدلالة من خلال المربع السيميائي، فمن " **السّيمات والعلاقات الضّدّية، يتبلور تصوّر المربّع السّيميائي عند"غريماس"، حيث نجد أنّ هذا التّصور يتأسّس على وجود المحايثة للغوص في البعد الدّلالي المنطقي للنّص، والاختلاف لتشكيل الأطراف المتضادّة والمسارات، إلاّ أنّ هناك روافد أخرى تساعد على بلورته أيضا**"[1]، فالدّلالة تستخلص من علاقات الاختلاف والتقابل القائمة بين حزمة من الوحدات الدالة، فكما لا يستقيم مفهوم المجهور إلا بمقابلته بالمهموس، كذلك يدرك معنى الطول بمقابلته بالقصر، ومعنى العلم بمقابلته بالجهل، ومعنى الحياة بمقابلته بالموت[2].

فالاختلاف معطى لساني منطقي، منح مشروع غريماس-بصورته السّوسيرية-أبعادا سيميولوجيّة في إنتاج الدّلالة وتبليغها.

3-الملفوظ السّردي:énoncé narratif

ممّا لا ريب فيه أنّ النظريّة الغريماسيّة اتّكأت على الدّرس اللّساني لتحديد مفهوم الملفوظ السّردي، وعليه "**فإنّنا ملزمون بفحص الملفوظ السّردي** (énoncé narratif) **من منطلقات لسانيّة تقودنا إلى فهم طبيعة عمل القواعد الخلفيّة اللّسانيّة في النظريّة السّيمائيّة**"[3].

فليس الاختلاف هو المبدأ اللساني الوحيد عند غريماس، بل هناك عناصر أخرى لسانية استنجد بها لتشييد مشروعه السردي، ومن ذلك ما يعرف بالملفوظ.و"**انطلق جوزيف كورتيس في تحديده الملفوظ الأوّلي(énoncé élémentaire)من اقتراحات لوسيان تنييرL.Tesniére حول "بنية الجملة البسيطة" الّذي لاحظ أنّ الفعل يحتلّ موقعا مركزيّا في الجملة الفعليّة ويعمل فيها**

آسيا جريوي: النّموذج العاملي واستنطاق البنية السردية في رواية "سيّدة المقام" للكاتب واسيني الأعرج(دراسة في التّركيبة السّرديّة والخطابيّة)، دار علي -- بن زيد للطباعة والنّشر، بسكرة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2017 ص:1.19

2- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي: نظرية قريماس، الدار العربية للكتاب، طبعة، تونس، 1991، ص:93.

4- رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائيّة السرديّة، ص:17.

على نحو ما"[1]، ولا يخفى أن كورتيس سيميائي مرموق من سيميائيي مدرسة باريس التي يعتبر غريماس مؤسسها ورائدها، فالإشعاع اللسانياتي كان متغلغلا إلى أعمق الحدود في أبنية التفكير السيميائي، وبخاصّة لسانيّات سوسير.

وهكذا "...**يتّضح أنّ نواة الجملة الفعلية البسيطة هي الفعل (أو الوظيفة في المصطلحيّة المنطقيّة لريشنباخ) بوصفه علاقة بين العوامل"**[2]ومنه تتحدّد العلاقة بين العوامل داخل بوتقة الفعل بوصفه نواة للجملة الفعليّة البسيطة، في حين تشكّل متوالية من الجمل خطابا؛ إذ إنّ "**الخطاب ملفوظ طويل أو متتاليّة من الجمل...**"[3]، وبذلك لا نطلق لفظة "الخطاب" إلا إذا توفّرت مجموعة متتالية من الجمل.

أمّا "**تزفيطان تودوروف**" فيرى بأنّ كلّ كلام يتجلّى"**من حيث إنّه ملفوظ، فهو ينتسب إلى ذات الملفوظ ومن ثمّ يبقى موضوعيّا، وينتسب من حيث هو تلفّظ، إلى ذات التّلفظ، فيحتفظ بمظهر ذاتي؛ لأنّه يمثّل في كلّ حالة فعلا تنجزه الذّات"**[4]، يتبدّى من خلال كلام **تودوروف** أنّ الملفوظ يتعلّق بالذات، ويحمل بين طيّاته مظهرين:

أحدهما: موضوعي ذو علاقة مع ذات الملفوظ.

والآخر: ذاتي يتعلّق بذات التّلفظ.

وصفوة القول هو أنّ الكلام بغضّ النظر إن كان ذا بعد ذاتي أو موضوعي هو عبارة عن كلمة أو جملة أو كلّ ما يلفظ سواء أكان شفهيا أم مكتوبا.

1- رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائيّة السرديّة، ص:17.

2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

3- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الرّوائي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان/ الدّار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، 1997، ص:17.

4- تزفيطان تودوروف: مقولات السّرد الأدبي، تر: الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتّحاد كتّاب المغرب، الرباط، الطبعة الأولى، 1992، ص:63.

بيد أنّه إذا كانت الجملة عبارة عن "**نظام لغوي وليس متوالية لفظية، غير قابلة للاختزال في مجموع الكلمات المكوّنة لها، فإنّ الملفوظ، على العكس، ليس غير متواليّة من الجمل، فمن وجهة نظر اللّسانيّات، فالخطاب خال من أيّ عنصر تختصّ به الجملة. ولذا فهو خارج من مجال اهتمام اللسانيات** (...) **إلّا أنه على الرّغم من ذلك لا يمكننا أن ننفي عن الخطاب صفة النّظام، وإن عُدّ حصيلة جمل، وأنّ هذا النظام هو بمثابة رسالة للغة أخرى، أعلى من لغة اللّسانيين، فللخطاب وحداته، قواعده، نحوه، وعليه يجب أن يكون الخطاب موضوع بحث لسانيّات أخرى**"[1].

ومن ثمّة "**نعثر في الحكاية، وبشكل أكثر ملاءمة لطبيعة الخطاب على أنّها عناصر الجملة: المسند والمسند إليه وكلّ لواحقهما من مكان وزمان، وهو ما دعا "غريماس" إلى تبنّي هذا التّصور للتّعامل مع تعدّد الشّخصيّات، وتشابك الأحداث في الحكاية**"[2]، فبنية الحكاية تحتوي على عنصر الملائمة أو المناسبة لتبني هذا الطرح دون غيره.

ويسمّيه عبد المجيد نوسي ب:"**القول السّردي** "الّذي"...**يتضمّن من جهةٍ الفعل، ويتضمّن من جهة أخرى الفاعل أو العامل، وهو ما يعطي لهذا المستوى البعد "المؤنسن"،كما يبيّن أنّ التحويل من التركيب العميق، يتمّ بمنح العمليّة، بصفتها عنصرا أساسيّا على المستوى المورفولوجي، تمثيلا تركيبيّا على المستوى السّردي السطحي...**"[3].

كما أنّه "**استنادا إلى التّشاكل الافتراضي(isomorphisme hypothèque) الموجود بين الجملة والخطاب، فإنّ الملفوظ الأوّلي، في النّظرية السّيميائية، يقوم أساسا على العلاقة الوظيفة**

1- نصر الدين بن غنيسة: فصول في السّيميائيات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى،2011، ص:11.

2- نصر الدّين بن غنيسة: السّيميائيّة السّردية بين النظرية والتطبيق-محاضرات- جامعة بسكرة، دون تاريخ، ص:01.

3- عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابيّة-التركيب-الدّلالة)، شركة النّشر والتّوزيع المدارس، الدّار البيضاء، دون طبعة، دون تاريخ، ص:152.

بين العوامل (=ع) وإذا أدرجنا العامل/الفاعل (ف) والموضوع (م) ضمن هذا المنظور، ستأخذ العلاقة الوظيفيّة الشّكل الآتي: و(ف،م). تأسيسا على هذا، تشتغل العلاقة في ملفوظ الحالة ..."[1]

وتأسيسا على ما سبق ذكره " **ومن أجل دخول الفاعل في وصلة بموضوع القيمة عبر العمليّة التّحويليّة، ينبغي أن يكون ممتلكا للمؤهّلات اللّازمة للقيّام بالفعل، وعليه، تعدّ الكفاءة شرطا أساسيّا لتحقيق الأداء"**[2].فللأداء ارتباط وثيق بالكفاءة؛ فلا يمكن للذات أن تنجز فعلا بدون امتلاكها للمقوّمات التّي تؤهّلها لذلك.

وبالعودة إلى اللّسانيات نجد ثمّة تباينا بين التّلفظ والملفوظ بحيث "**يمثّل التلفظ الفعل الذي عن طريقه يبثّ الملفوظ"**[3]ويتبدّى لنا هنا أنّ الكلام ينبجس من بوتقة التلفظ، ومن هذا الأخير ينتج الملفوظ.

ب–مدرسة براغ: "تصور رومان جاكبسون" (R.Jakobson):

انبثقت مدرسة براغ من المدرسة الشّكلانيّة فهي "...**حلقة ألسنية عرفت فيما بعد ب: حلقة براغ، وقد استقطبت هذه المدرسة العديد من علماء الألسنيّة الشّبان**"[4]، وإذا انتبهنا إلى أنها ذات علاقة وطيدة بالشّكلانية وعرفنا دور الشكلانيين الرائد في الدراسات ذات النَّفَس البنيوي للغة

1– رشيد بن مالك: مقدّمة في السيميائيّة السردية، ص:18.

2 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3– دليلة مرسلي وآخرون: مدخل إلى السيميولوجيا –نص– صورة، تر: عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون طبعة، 1995، ص:34

4– فاطمة الطّبال بركة: النظرية الألسنيّة عند رومان جاكبسون(دراسة ونصوص) ، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثّانية، 1993، ص: 259

وللأدب على يد فلاديمير بروب ورومان جاكبسون وأضرابهم، إذا عرفنا واستذكرنا ذلك كله لم يعسر علينا أن نربط الصلات بين حلقة براغ الوظيفية وبين سيميائية غريماس السردية.

فهذه المدرسة "**من تأسيس رومان جاكبسون(R.Jakobson) وتروبتزكوي (Troubetwkoy)وأندري مارتيني(A.Martinet)، ومفاهيمها مستقاة من أعمال سوسير حول علم اللغة الحديث، إلاّ أنّها وجّهت اهتمامها إلى ربط الأصوات بالدّلالة والمعنى...**"[1]؛ أي أنها مدرسة اشتغلت أكثر على المستوى الصوتي في الظاهرة اللغوية وظيفيا ودلاليا، وهكذا عرفت "**مدرسة براغ بمشاركتها في تطوير الألسنيّة، خاصّة فيما يتعلّق بعلم الأصوات– الفونولوجيا (La phonologie)– الّذي يعني دراسة أصوات اللغة من حيث وظائفها وخضوعها لقواعد معيّنة.**"[2].

ويعدّ النموذج الصوتي مصدر إلهام لغريماس في سبيل مسعاه نحو تطوير نظريّته وهكذا " **كان النّموذج الصّواتي (Modèle phonologique) مصدر إلهام لغريماس، حين إعداده للبنية الأساسيّة للدّلالة المحقّقة للمربع السيميائي، بالإضافة إلى النّموذج العاملي الّذي طوّره انطلاقا من علاقة الفاعل بالمرسل والمرسل إليه في عمليّة تمرير وتبليغ الرّسالة**"[3]، فكانت "**هذه الاعتبارات شديدة الفعاليّة، تستجيب لمساعي غريماس الافتراضيّة، من انتقال الدّلاليّة إلى السّيميائيّة مرورا بالقوانين البنيويّة الصّلبة لدراسة الظواهر –كيفما كانت– خاصّة في مجال الفلكلور**"[4]

في حين تستند من حيث خلفيتها الفكرية على ثلاث أفكار بمثابة الركائز وهي "**...البناء(Structure)، والوظيفة (Fonction)، والعلامة (Signe)، والبناء يتكوّن من أبنيّة صغيرة تساهم في تكوين النظام الثّقافي الذي يرتضيه المجتمع...ثمّ إنّ أصحاب هذه المدرسة قد**

1– نادية بوشفرة: مباحث في السيميائية السردية، ص:13

2– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3– المرجع نفسه، ص:14.

4– نادية بوشفرة: مباحث في السيميائية السردية، ص:14

ذهبوا إلى كلّ عمل فنّي هو في الواقع تطبيق لشفرة جماليّة محدّدة، وأمّا الوظيفة في تفصل بين هذه الشّفرات بعضها بعضا في حين أنّ العلامة (Signe) هي عنصر من عناصر الشّفرة فيكون بذلك لدينا شفرات لغويّة وأخرى اجتماعيّة وثالثة ثقافيّة."[1]ويظهر جليّا أن الثّالوث السّالف ذكره يعتبر بمثابة ركيزة مهمّة من ركائز أفكار مدرسة جاكبسون.

فنحن إذًا إزاء ثلاث محددّات للتّفكير اللّغوي انصهرت في مشروع غريماس وهي:

البنيوية: وهي المترع العام للدراسات اللسانية والنقدية منذ سوسير، كما أنها بادية في صنيع الشكلانيين الروس وهم يتعاطون مع الأدبية.

الوظيفية: وهي سمة مدرسة براغ في تحليل اللغة سواء في مستوياتها، أو في وظائفها، التي تمنح الخطابات أجناسياتها.

العلامية: أو السيميائية وهي طريقة في التفكير تطورت على أيدي جملة من الباحثين، واكتملت في نموذج غريماس الذي يستفيد من المحددين السابقين في ذلك ولا يستغني عنهما.

فلا شكّ أن غريماس استعان بالمخطّط التّواصلي لجاكبسون الذي يشمل: "المرسل، المتلقّي، وقناة الاتّصال، والرّسالة، والشّفرة، والسّياق الذي يصل بينهما.

وهكذا راح غريماس يوسّع **"شبكة الأجهزة النّظريّة، عاملا على شكلنة النّماذج الّتي تعتورها نقائص جزئيّة، مع ضرورة إدماجها في مشروع سيميائي، لا يعدّ غاية في حدّ ذاته بل هو مجرّد وسيلة، إذ لا تكمن أهمّيته في تسميته بل في فعاليته وفي الحلول الّتي يقدّمها، حتّى يكون منهج الدّراسة مسطّرا ومعيار الحكم فيها ينأى عن كلّ رديء لا يصلح للنّمذجة"**[2]، فاستطاع غريماس أن يسنّ نموذجا عامليا يكون بديلا للنماذج الأخرى الّتي اعتورتها الكثير من الفجوات .

1- عزت محمّد جاد: نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، دون طبعة، 2002، ص:276.

2- نادية بوشفرة: مباحث في السيميائية السردية، ص:15.

هذا ويعدّ بعض الباحثين أثر حلقة براغ اللسانية في نظرية غريماس من خلال استناد هذا الأخير على "**مفهوم الثنائيّة التي تساهم في تشييد البنية الأولية للدلالة، وقد حدد هذه الثنائية باعتبارها علاقة بين حدّين، كما ميّز بين مفهوم الثّنائية العلميّة الإجرائيّة والمنهاجيّة الثّنائية، وقد استلهم غريماس هذه الثّنائية من اللّساني جاكبسون R.Jakobson، تلك الثّنائية التي تقرّ بوجود تقابل بين علاقتين: علاقة التّناقض وعلاقة التّضاد، (علاقة الحضور والغياب)**"[1].

وهنا وإن كان تأثر غريماس برافد لساني إلا أنه كان من بعد منطقي جلي، يتعلق بالنّسب والعلاقات الدّلالية الّتي كانت تتأطّر وفق التّقابلات المشهورة في كتب المنطق؛ لأن غريماس سعى إلى أن يبني نظريته بناءً منطقيا محكما، يمكنه من حصر الظاهرة السردية والإحاطة بها على مستويات البنى والوظائف والدلائل.

ج- تصوّر نعوم تشومسكي: (Noam Chomsky)

لاشكّ أنّ غريماس اتّكأ على أرضية تصوّر تشومسكي لبناء نظريّته السّردية، فقد استندت هذه الأخيرة على "**قواعد "تشومسكي" التّوليديّة لترسم نوعين من البنى: البنية العميقة وهي نموذج يختزن كلّ إمكانات السّرد، والبنية المحقّقة السّطحيّة، وهي صورة من هذه الإمكانات في نصّ سردي**"[2]، أي أن هناك بنية عميقة تشكل افتراضا إمكانيا لا وجود له إلا في صورة كفاءة أو ملكة أو قدرة كامنة، تقابلها بنية سطحية تشكل تمظهرا لأحد إمكاناتها واحتمالاتها، وهو تمظهر واقعي متحقق ومجسد، فهي في الحقيقة ثنائية تنخرط في ذات السياق الابيستيمولوجي لثنائية: لسان/كلام السوسيرية الشهيرة.

1-الكفاءة والأداء: compétence/performance

1- سعيد بوعيطة: المرجعيّة المعرفية للسيميائيات السردية-جريماس نموذجا-، ص:51، 52.

2- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرّواية،-عربي، إنجليزي، فرنسي -، مكتبة لبنان ناشرون، دار النّهار للنّشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002، ص:37، 38

إن أول مَنْ ضبط مفهوم هذه الثّنائية اللّسانية سوسير وتشومسكي ثمّ قام غريماس ب:" **استيعاب الإرث اللساني (السوسيري) وتمثّله في مشروع يرتكز أساسا على المصطلحيّة التشّومسكية التي يتبنّاها غريماس ويصهرها في مفهمة جديدة تولي أهمية للعناصر التي تدخل في تشكيل الكفاءة وللبعدين المعرفي والتّداولي للأداء"**[1]، أي أن هناك ناسلا لهذا المفهوم الثنائي من لدن سوسير إلى تشومسكي إلى أن تلقفه غريماس، مضيفا إليه بعدين هما البعد الأدبي عموما والسردي خصوصا، بعد أن كان ذلك المفهوم لسانيا خالصا.

هذا ويطلق "**تشومسكي القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها، في عمليّة تكلّم اللغة، والكفاءة اللّغوية، على المعرفة الضمنيّة للّغة التي يمتلكها المتكلّم والسّامع، وهي نظام داخلي من القواعد الّتي تمكّن الجهاز المحدود من إنتاج وفهم عدد لا محدود من الملفوظات.**"[2]

وكما أشرنا آنفا فهذا المفهوم التشومسكي لثنائيتي الكفاءة/الأداء انبثق من دراسة سوسير حينما وضع حدودا فاصلة بين اللغة والكلام؛ إذ يتكئ "**إدراك مفهوم"تشومسكي"على فهم التّمييز الألسني الّذي أشاعه "فرديناند دو سوسير" حين ميّز بين اللّغة كنظام له قواعده وأعرافه (Lange)، وبين (الكلام) أو عمليّة القول الفعليّة الّتي يقوم بها شخص ما (Parole) ضمن هذا النّظام اللّغوي، أي الفرق بين النّظام اللّغوي المقعد وبين السّلوك الفردي حينما يمارس الفرد لغته، جاء"تشومسكي"ليطلق مصطلح (القدرة/الكفاءة) على ما أسماه"سوسير"باللغة (Langue) ومصطلح الأدائيّة (Performance) على السّلوك الفردي حينما يمارس شخص ما عمليّة القول والكلام**"[3].

ووجب علينا الإقرار بأن ثمة فروقا بين الطرح التشومسكي والطرح السوسيري، فالأخير يؤكد على أن السلوك اللّغوي الفردي ما هو إلا محاكاة للنظام اللغوي، ومنه وجب علينا البحث في

1 – رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، ص:19.

2– رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص–عربي–إنجليزي–فرنسي–،دار الحكمة، دون طبعة، 2000، ص:39.

3– ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل النّاقد الأدبي–إضاءة لأكثر من سبعين تيّارا ومصطلحا معاصرا–، ص:206.

الممارسات الفردية لنحصل في الأخير على قوانين اللغة، في حين نجد طرح تشومسكي يؤكد على ضرورة عدم استقصاء النّظام اللّغوي انطلاقا من سلوك أفراد اللغة الواحدة.

ما يعني أن تشومسكي يفتح احتمالات لا نهائية لتجسدات النظام فرديا في ضوء تقنيات التحويل والتوليد في مستويات الظاهرة اللغوية.

هذا ويمكن أن نشير إلى أن مفهوم تشومسكي كفاءة/أداء أنسب لئن تتفرع عليه نظريات في الأدب والسرد، ولا أدل على ذلك من استثماره على يد غريماس، وعلى يد ناقد أدبي آخر وهو جوناثان كولر في سبيل بناء نظرية شعرية بنيوية[1].

أمّا كيف استثمر غريماس هذا المفهوم التشومسكي وهو ما يهمنا هنا، فالكفاءة تتجسد **"من منظور غريماس وفي بعض جوانبها– في معرفة الفعل، هذا الشيء الذي يجعل حدوث الفعل ممكنا، ولئن كانت معرفة الفعل حدثا بالقوّة، فإنّها مستقلّة عن الفعل الّذي تقوم عليه، بعبارة أخرى، إنّ الكفاءة اللسانيّة ليست شيئا لذاته، بل هي حالة خاصة لظاهرة أشمل تدخل في إطـــــــار**

إشكاليّة الفعل الإنساني وتؤسس الفاعل بوصفه عاملا(actant)"[2]، وهنا نلحظ توظيف غريماس للثنائية المنطقية: القوة/الفعل وهي صورة عقلية لثنائيته اللغوية، ومن ثمّة" **ينظر غريماس إلى الأداء اللّساني على أنّه حالة خاصّة ضمن إشكاليّة عامّة تسخّر لفهم النّشاطات الإنسانية الّتي تأخذ أشكالا متنوّعة في الخطابات"**[3]، فاللغة ترجمة للفعل الإنساني أو يمكن القول بأن الفعل الإنساني كامن بالقوة في اللغة الإنسانية.

1- للوقوف على تجربته ينظر: المرجع نفسه، ص:208.

2- رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، ص:19.

3- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

وهكذا "**يميّز غريماس على هذا الأساس بين نوعين من الأداءات: نوع يستهدف امتلاك قيّم الجهة (modales valeurs)، ونوع آخر يتميّز بامتلاك وإنتاج القيّم الوصفيّة (valeurs descriptives)**"[1]، فالأداء السردي العاملي عبارة عن امتلاك وإنتاج للقيم كما سيظهر أكثر عند شرح مشروعه.

في المآل ومما لا شك فيه أنّ غريماس نبش في المشروع التّشومسكي وراح يأخذ مصطلحي "**الكفاءة والأداء**" ليدمجهما في الحقل السيميائي.

د–تصوّر لويس هيلمسليف:louis hjelmslev

وعلى ذكر هيلمسليف سابقا فإننا نشير إلى أن حضوره في مشروع غريماس كان محوريا أيضا، حيث انصبّ تركيز "**هيلمسليف على تحديد البنيان الأساس للّغة، ليصل منه إلى أنّ علم الألسنيّة، لابدّ له من أن يعمل على دراسة اللغة لا على أنّها مجموعة من الظواهر غير اللغوية– الفيزيائيّة،**

الفيزيولوجيّة، النّفسيّة، المنطقيّة، والاجتماعيّة..."[2]، كما أن منظوره اللّغوي يختلف عن منظور سوسير، فبحسبه " **ليست الوحدة اللّسانية الأساسيّة هي الدّليل (Le signe) كما يزعم سوسير، إنّما هي عند هيلمسلف وحدات أصغر تكتشف عن طريق الاستبدال(Le paradigme) فهو يرفض الوظيفة والوصف بواسطة الصّفات المادّية والسّمات المميّزة وفي المقابل يعتمد العلاقات النّسقيّة –النّظمية–(Les relations syntagmatiques) الّتي تربط الأصوات ببعضها والمعاني ببعضها الآخر**"[3]

1– المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

2– نادية بوشفرة: مباحث في السيميائيّة السّردية، ص: 11.

3– نادية بوشفرة: مباحث في السيميائيّة السّردية، ص: 12.

وهكذا"**أنشأ هيلمسليف النظرية النّسقية...اتّجه بها اتّجاها خاصّا، حيث لم يعتمد في دراسة الوحدات اللّسانيّة على مبدأ التقابل وهو المفهوم الأوّل لدى سوسير، لأنّ هذا المبدأ يؤدّي بنا إلى منح صفة الإيجابية لتلك الوحدات، بينما يعتبر هيلمسليف الوحدة في غاية السّلبيّة مادامت لا تحدّد نفسها بنفسها، بل بمجموع العلاقات الشّكليّة التي تقيمها مع بقيّة وحدات اللّسان...**"[1]، ولا ريب أن هذا الافتراق النظري عن السوسيرية ولّدَ افتراقا على مستوى المصطلح، فبدل ثنائية: دال/مدلول السوسيرية يأتي هيلمسليف بثنائية: التعبير/المحتوى..ومنه فـــــــــــــــ"**إنّ اعتماد سيميوطيقا السرد على هيلمسليف، جعلها تعدّ أنّ كلّ موضوع سيميوطيقي يتمفصل إلى عبارة ومحتوى، فإذا كانت العبارة تمثّل التّمظهر اللّغوي، فإنّ المحتوى الذي تحدّده السيميوطيقا مجالا لتحليلها يتمفصل إلى مادّة دلاليّة وشكل يتكوّن من البنيات السيميائيّة السردية المحايثة، وتشمل العلاقات بين المقوّمات والعمليّات والفعل التركيبي. وهذه العناصر هي المكوّنة "للحكاية" التي تتمظهر عبر البنيات الخطابيّة**"[2]؛ أي: أننا بصدد ثنائيتين متقابلتين: التعبير/المحتوى، والشكل/المادة، تنتج عنها أربع علاقات من ضرب اثنين في اثنين كما سيأتي، ما يعني أن العلامة عند هيلمسليف أكثر تعقيدا وتفريعا منها عند سوسير.

ومنه فبالاستناد على المفاهيم الّتي صاغها هيلمسليف [عبارة/محتوى]، والتّي تعدّ مفاهيم إجرائيّة، أقرّت السيميائيّة السردية بزعامة غريماس بأنّ كل موضوع سيميائي –ويتعلّق الأمر بالنّصوص السرديّة- يتكوّن من (عبارة /محتوى)،ويعدّ المحتوى هو الموضوع الّذي تسنّه السيميائيّة السردية فضاء للدّراسة، بيد أنّ المحتوى هنا يدرس من خلل الشكّل شاملا في الوقت نفسه البنيات السيميائيّة السردية.

1- المرجع نفسه، ص: 11.

2- عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي "البنيات الخطابية-التركيب-الدلالة"، ص:31

على أن هذا الكلام ما زال يكتنفه الغموض بسبب تعقيد مفاهيم هيلمسليف ما يفرض علينا أن نضع عنوانا خاصا لشرح ثنائيته باعتبارها محددا مرجعيا لا غنى عنه لمن أراد أن يتمثل الطرح الغريماسي.

1-التّعبير والمحتوى:Contenu/ Expression

لا جرم أنّ" **أوّل من تنبّه إلى هذه الثّنائيّة في الدّراسات اللّسانيّة الحديثة هو "هيالمسليف" وذلك سنة 1940، فقد هاجم هذا الدّانماركي نظريّات "براغ"، وعدّها نظريّات تهتمّ بالجانب الشّكلي من اللّغة فقط، لذلك وضع لسانيّات جديدة سمّاها "كلوسيماتيكيّة" Glossématique، وحمل معها إلى النّظريات السّيميائية المستقبليّة مضمونا مزدوجا هو التّعيين والتّضمين، هذا المضمون الذي سيتمّ الاهتمام به بعد عشرين سنة من طرف "رولان بارث" خاصّة."**[1]

وهكذا فبرأي هيامسليف عند تحليل النصوص اللغوية لابدّ من الوقوف على تخوم ثنائيتين مهمّتين وهما : **التعبير/المحتوى** وقد استعاض بهما "**هيامسليف**"عن مصطلحي الدّال والمدلول لدى "**دي سوسير**"، واعتبر"**هيالمسليف**" أن"**التعبير والمحتوى**"مفهومان متساوقان لا يمكن الاستغناء عن أحدهما فبينهما علاقة تلازمية يستدعي أحدهما الآخر.

وغنيّ عن البيان أن"**قيمة هذه الثنائية لا تكمن في نعت طرفي الدّلالة ب "العبارة" و"المحتوى"بدلا عن "الدّال"و"المدلول" بقدر ما تتجلّى في التّفريعات المنبثقة من رحم هذه الطّرفين؛ إذ كلّ طرف يتضمّن ثنائيّة الشكّل والجوهر**"[2]، وهنا مربط الفرس في نظرية هيلمسليف الذي حيث ينتج من ربط الشكل بالمحتوى أو بالمادة أربعة مستويات:

1)جوهر المحتوى

1- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2010، ص:199.

2- نصر الدّين بن غنيسة: فصول في السّيميائيات، ص:16.

2)شكل المحتوى

3)شكل التعبير

4)جوهر التعبير[1]

فالجوهر هو الجانب المادي، والشكل هو الجانب الصوري؛ أي: أننا أمام تشقيق لثنائية الدال والمدلول باسميها الجديدين: تعبير/محتوى في ضوء الثنائية المنطقية الأرسطية التقليدية وهي المادة/الصورة، ما يعني في المآل أن لسانيات هيلمسليف منطقية صارمة في تحليلاتها، ولا يخفى أنها قد أمدت غريماس بهذا المترع المنطقي.

وإذا كان من رهانات لويس هيملسف الّتي حققها إدراج هذين المفهومين في دواليب البحث اللساني الحديث من خلال الفصل بين التعبير(Expression)، والمحتوى(contenu)، والتّمييز بين الشّكل(Forme)، والجوهر(Substance) فإنّ ممّا لاشكّ فيه هو"**أنّ السّيميائيّة قد أولت اهتمامها بدراسة المحتوى، فإنّها سلكت ذات المسلك في تقسيم هذا المحتوى إلى شكل وجوهر: جوهر: ويتمثّل في الدّلالة الّتي يتضمّنها الخطاب. شكل: ويتمثّل في التنظيم الشكلي للحكاية وفق مبدأ النّحو السردي الّذي، وعلى غرار الأنحاء اللّغويّة، يجمع بين العلاقات التّصنيفيّة الّتي تتأسّس عليها الدّلالة والعمليّات التركيبيّة الّتي تنتظم من خلالها الدّلالة.**"[2]، ما يعني أن بنية السّرد بدورها تنقسم إلى محتوى وتعبير عنه، وهذان بدورهما ينقسمان إلى شكل وجوهر.

أي أنه مما ينبغي التّركيز عليه هو أنّ غريماس بناءً على ثنائيتي التعبير والمحتوى ضبط النّص السردي فلقد "**ظلّ غريماس مخلصا للنظرة المحايثة قصد بناء مشروع علمي للمعنى، فهو لم يحد عنها قيد أنملة، إنّ بارت وغريماس أظهرا الإمكانات الثّرة لمفاهيم هيامسليف اللّسانية ومرونتها داخل جهاز المفاهيم السّيميائيّة، وبخاصّة أنّه بين المستويات الثّلاثة للّسان:**

1- نعمان بوقرة: المدارس اللّسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، دون طبعة، القاهرة، ص: 119.

2نصر الدّين بن غنيسة: فصول في السيميائيات، ص:17-18

1-الخطاطة (Shéma) وهي عبارة عن شكل صرف للّسان.

2- المعيار (norme) وهو عبارة عن شكل مادّي محدّد سلفا.

3- الاستعمال: (usage) وهو عبارة عن جملة من العادات الخاصّة بمجتمع ما."[1]

فبصفة عامة يمكن الخلوص إلى "**أنّ "غريماس" استفاد من المصطلحات اللّسانية في بلورة تصوّره لدراسة التّركيبة السّرديّة، ورصد حركة العوامل، ومن ثمّ الكشف عن المعنى العميق للنّص، وكما استثمر الرّوافد اللّسانية، فقد استفاد أيضا من روافد معرفيّة أخرى، هي أساس بلورة النّموذج العاملي إجراءً للتّحليل لديه."[2]**.

ب-مبدأ المحايثة:Immanence

مما ارتفدت به السيمائية السردية أيضا مبدأ المحايثة، فهي تهدف "**إلى دراسة التّجليّات الدّلاليّة من الدّاخل مرتكزة في ذلك على مبدأ المحايثة(immanence)...**"[3]، منادية بذلك بالجوّانية في أيّة دراسة مستبعدة كل ما هو واقع في الخارج، ما يعني أن هناك نفسا بنيويا متأصلا في السيميائية السردية يؤكده مبدأ "المحايثة" فما المقصود به إذاً؟

تبنّى هذا المصطلحَ النقدُ البنيوي، ويقصد به أنّ"**النص –أو الملفوظ– لا يحلل إلا انطلاقا من خواصه الدّاخلية فهذه الخواص هي التي تمكّن من تحديد الملفوظ باعتباره بنية مغلقة من شأنها**

1أحمد يوسف: السّيميائيات الواصفة المنطق السّيميائي وجبر العلامات، ، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2005. ص: 81

2آسيا جريوي: النموذج العاملي واستنطاق البنية العاملية السّردية في رواية سيّدة المقام للكاتب: واسيني الأعرج "دراسة في التّركيبة السّرديّة والخطابيّة"، ص: 30

3- رشيد بن مالك: مقدّمة في السيميائيّة السردية، ص: 09

أن توصف من حيث هي بقطع النظر عن كلّ سيرورة تاريخيّة، ومبدأ المحايثة مرتبط بالدراسة الآنية كما يحدّدها "دوسوسير" "[1]؛ أي: أن هناك عزلا صارما للسّياق بكلّ أشكاله، سواء أكان التاريخ عموما، أم المؤلف خصوصا، فالاهتمام منصب على المنتَج -بصيغة اسم المفعول- لا المنتِج -بصيغة اسم الفاعل-.

وهكذا "**فالمقصود بالتّحليل المحايث أنّ النّص لا ينظر إليه إلّا في ذاته مفصولا عن أيّ شيء يوجد خارجه، والمحايثة بهذا المعنى هي عزل النّص والتّخلّص من كلّ السّياقات المحيطة به، فالمعنى ينتجه نصّ مستقلّ بذاته ويمتلك دلالته في انفصال عن أيّ شيء آخر**"[2]، فالدّلالة تتولّد من خلال الأنساق والوظائف الدّاخلية للنّص، دون أي تفاعل مع سياقه الخارجي؛ أي أن هناك ثقة مطلقة في إفصاح النّص عن كوامنه من خلال ذاته.

فقد"**كرّس فرديناند دي سوسيرFerdinand de Saussure هذا المبدأ اللساني في كتابه دروس في اللسانيات العامة في أثناء حديثه عن استقلالية اللسانيات في موضوعها ومنهجها**"[3]، وكان ذلك في زمن طغت فيه الدراسات التاريخية والمقارنة للظاهرة اللغوية، ما جعل اللغة تفتقد ذاتيتها لصالح سياقاتها المنتجة، فجاء سوسير ليخلصها من هذا الاستلاب ويمنحها استقلالا ذاتيا ومنهجيا، سرعان ما انتقل إلى الظاهرة الأدبية ومنها السرد باعتبارها فرعا عن الظاهرة اللغوية، فدخل مبدأ المحايثة إلى النقد الأدبي ضمن التيار البنيوي، الذي لا يمكن إنكار حضوره المركزي في مشروع غريماس السردي.

وعليه فإذا كان دوسوسير وأتباعه قد ركّزوا في دراسة اللغة على المحايثة ، وأقصوا الظروف الخارجية في دراستهم، فإنّ السيميائيّة السردية الغريماسيّة قد استفادت من الاتجاه الذي

1- نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة الحديث ومناهج البحث اللّغوي، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندريّة، دون طبعة، 2006، ص: 303

2- سعيد بنكراد: مفاهيم في السيميائيات، مجلّة علامات، مكناس، المغرب، ع6، أكتوبر 2000، ص: 79

3- رشيد بن مالك: مقدّمة في السيميائية السرديّة، ص:09

درس به وهذا ما شكل صورة بارزة للمترع البنيوي في المشروع الغريماسي رغم أنه مشروع سيميائي بالأصالة.

وفي الطّرح نفسه سار هيلمسليف"**ليؤكد على ضرورة استبعاد الوقائع غير اللسانية من عملية الوصف... انطلاقا من هذا التحديد الذي يشكّل قفزة نوعية في الدراسات اللسانية، سيعمد غريماس إلى صياغة مبدأ المحايثة في البحوث السيميائية وفق منظورين: يبنى المنظور الأول على مقولة التصديق(véridiction)المتمفصلة إلى محوري المحايثة (الكينونة) والتّجلي (الظاهر)، تتفرع محصلة هذه الثنائية الأساسية في مرتبة أعلى إلى أربع مقولات تظهر في المربع التصديقي...**"[1].

وعلى أيّة حال فمبدأ المحايثة عبارة عن مبدأ منطقي بنيوي، استعان به غريماس في إنتاج الدّلالة بالإصغاء إلى النص وفقط.

وهكذا نكون قد قمنا بالإشارة إلى الرافد اللساني وأهم مفاهيمه ومصطلحاته التي كان لها عميق الأثر في بلورة النظرية الغريماسية، إشارة من شأنها إزاحة سدول الغموض والتسهيل على القارئ في التعرف عى المرجعية اللسانية لنظرية العامل السّرديّة الغريماسيّة.

فنظرية غريماس مدينة لذلك المزيج الفريد من التصورات اللسانية، منذ فرديناند دي سوسير وثنائياته، إلى مدرسة براغ ووظيفيتها، مرورا بتشومسكي وثنائيّة الكفاءة مع الأداء وصولا إلى لويس هيلمسليف وتشقيقاته المنطقيّة الرباعيّة، حيث نجد منازع شتّى منها المترع البنيوي في ضوء مبدأ المحايثة، والمترع المنطقي في ضوء الصّورة والمادّة، والمترع الوظيفي، خلوصا إلى المبدأ الأساس وهو العلاماتية السردية.

بيد أنّ السؤال المطروح: هل اكتفى غريماس باللسانيات وأهم مفاهيمها في بلورة نظريته العاملية؟ هذا ما سنتعرف عليه في العنصر الآتي.

1- رشيد بن مالك: مقدّمة في السيميائية السرديّة، ص:09

3-الروافد المعرفية:

ونقصد بها تلك الخلفيات والمعارف التي استند إليها غريماس وعلى رأسها حقل الدراسات الأدبية والنقدية التي كانت ممتزجة بالعلوم الإنسانية وخاصة الأنثروبولوجيا، فلم يلتزم غريماس بمبدأ المحايثة في بناء مشروعه السردي بل راح ينفتح ويتوسّل بدراسات سابقيه فصاغ من خلالها نموذجه العاملي، تلك الدراسات التي ضبطت لديه مفهوم العامل واحتوائه ضمن حقل السّيميائية السّردية؛ ف " **تجد الابستمولوجيا الغريماسيّة القائمة على استثمار المفاهيم المرتبطة بحقول معرفيّة محدّدة لتحديد مفهوم العامل ...مرجعيتها النظرية في التركيب كما قدمته البنيوية وفي علم تحليل الحكاية الشعبية وفي الدراسات حول الخطاب الدرامي.**"[1]، فقد انفتحت نظرية العامل السردية على آفاق رحبة من التصورات السابقة على رأسها الروافد المعرفية.

كما أنّنا " **لا نسطيع أن نرصد الأصول العلميّة للبحث السيميائي بقطع النظر عن المظهر التّنظيري العام لبحوث الشكلانيين الروس الّتي ظهرت خلال الحقبة للمناهج التقليدية ودراسة الأدب بوصفه مجموعة شكليّة تحكمها قوانين خاصّة مع التركيز على العناصر النّصيّة والعلاقات المتبادلة بينها وعلى الوظيفة الّتي تؤدّيها في مجمل النّص.**"[2] وفي مقدّمة الشكلانيين الروس الباحث بروب الذي ".. **حظيت مسألة الأشكال الأدبيّة ...باهتمام خاصّ. ويعد فلادمير بروب Vladimir Propp الباحث الوحيد في الاتّجاه الشكلاني الذي تعمّق في دراسة الحكاية تعمّقا مكّنه من استخراج بنيتها. ويعتبر كتابه الموسوم مورفولوجية الحكاية...النّموذج الأكثر نضجا في بحوث الشّكلانيين.**"[3]

1 - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي-البنيات الخطابية، التركيب، الدلالة-، ص: 207-208

2- رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائيّة السردية، ص: 28-29

3 - المرجع نفسه ، ص: 29

وهذه الروافد تعد ركيزة مهمة اتّكأ عليها غريماس لبناء تصوره، ولعلنا نرتب تلك المرجعيات المعرفية انطلاقا من الإرث الأنثروبولوجي، مرورا بنموذج فلاديمير بروب الذي يعد حجر الزاوية لدى غريماس، وصولا إلى كلود ليفي ستراوس وغيره ممّن عنوا بالدراسات السردية.

أ-أعمال جورج دوميزال Georges Dumézil 1898-1986:

تمثّل أعمال جورج دوميزال مصدر إلهام لغريماس في صيّاغته لنموذجه العاملي حيث"**ينطلق غريماس في تأمّلاته حول النماذج العامليّة من تحديد مستويين للوصف –الشّكل– وهو يناقش أعمال الأسطوري دوميزال، خاصّة بحثه المتعلّق بوصف العالم الإلهي، محلّلا إيّاه برويّة، وذلك باتّباع الطريقة المزدوجة التّاليّة:**

1-اختيّار إله معيّن، باستظهار أفعاله ووظائفه، يشكّل عاملا في حدّ ذاته.

2-التّطرق إلى صفاته الّتي تميّزه عن الآلهة الآخرين، من خلال أسمائه أو نعوته وتبيان السّمة الأخلاقيّة الّتي يتّصف بها"[1]

مما أفضى بغريماس إلى الخروج بنتيجة مؤدّاها أنّ ثمّة "**تعريفان للإله: التّعريف الأوّل، يعتبر الإله مؤدّيا لوظيفة الفعل لما له من فعاليّة أسطوريّة، في حين نجد التّعريف الآخر يموقعه باعتباره عاملا منظورا إليه من حيث تصوّر الجماعة لأخلاقه**"[2].

أي أننا أمام ما يمكن تصنيفه ضمن الخلفيات اللاّهوتية والأسطورية، فأصل الفعل والحركة صادر عن الإله، فهو نموذج الفاعل الحق، الذي له الفاعلية من جهة، وصفات الكمال من جهة أخرى، يؤدي وظائف ويتصف بصفات، وهذا ما نجده في عوامل غريماس التي تؤدي وظائف وتحتوي على مؤهلات تتيح لها امتلاك القيم التي تتجه وظيفتها العاملية نحوها.

1 - نادية بوشفرة: مباحث في السيميائيّة السّردية، ص:15-161

2 - المرجع نفسه، ص:16

ب- تصور فلادمير بروب:Vladmir Propp

ممّا لا يختلف فيه اثنان هو أنّ "**أعمال بروب مصدر انبثاق لإلهام جلّ الباحثين من بعده، وإشعاع فكري تشهد له أبحاثهم، لأنها امتداد حاصل عن فرز وحصر ومراجعة وإضافة لتصوّره "مورفولوجية الحكاية العجيبة الرّوسيّة""**[1]، ويتبدّى لنا مما تقدّم بأنّ مثال بروب الوظائفي استرعى اهتمام الباحثين وعلى رأسهم غريماس، الذي قطع الوشائج بينه وبين الدراسة النقدية التي تتسم بالطابع التقليدي، في مبادرة منه لفسح المجال للتفكير العلمي أثناء التعامل مع النصوص.

وهكذا ترتكز أبحاث غريماس السردية على"**الاستعادة النّقديّة لأعمال بروب، ووضعها حصرا، ضمن منظور سيميائي وبنيوي، فالنّص معطى تجريبي ويدرس الباحث السّيميائي باعتباره محلّلا للتنظيم التركيبي للمعاني، أي التّقطيع والتّنظيم السّرديين...**"[2]، ولئن كان بروب شكلانيا فقد وجد البنيويون والسّيميائيون في عمله متكأ لهم ومستلهَما، فصار أغلب من تحدث عن السرد بعده مستندا إليه بطريقة أو بأخرى، وكانت النّظريات السّردية نوعا من الاشتغال النقدي على مشروع بروب تعديلا وإزاحة.

فلقد درس فلادمير بروب الحكاية الشعبيّة والتي تتحدّد بحسبه"**بصفتها تواليا لمجموعة من الوظائف الّتي تعدّ ثابتة وتحدّد في إحدى وثلاثين وظيفة**"[3]، وهذه هي الخطوة الأساسية في رصده العلمي، وعقب هذا "**أثار بروب مسألة التنظيم العاملي في الحكاية وتتمثّل في ما يسمّيه "بالشّخصيّات"، وتتحدّد هذه الشّخصيّات"بدائرة الأفعال" الّتي تنجزها، وكلّ دائر أفعال هي**

1 - نادية بوشفرة: مباحث في السيميائيّة السّردية، ص:20.

2- جيزيلفالانسي "النّقد النّصي"، ضمن كتاب مدخل إلى مناهج النّقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، الشّنوفي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 221، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو، 1997

3- عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، "البنيات الخطابية-التركيب-الدّلالة"، ص:210.

مؤلّفة من مجموعة من الوظائف، لأنّ الوظائف الّتي حدّدها تنتظم داخل دوائر الأفعال"[1]، فهنا تظهر ثنائية الفعل أو الوظيفة في مقابل الشخص أو العامل.

ومن دون شكّ أنّ "**هذا التّصور لبروب الّذي يحدّد الشّخصيّات انطلاقا من "دوائر الأفعال" الّتي تشارك فيها، يجعل تصوّره تصوّرا وظيفيّا، ويستثمر كريماس هذه المعطيات اعتمادا على إجراء الاختزال لصيّاغة النّموذج العاملي الّذي يمثّل العنصر المركزي في التّركيب السّردي"**[2]، فاشتغال غريماس النقدي على مشروع بروب كان يستبطن آليتين:

آلية: الاختزال، وتمثلت في تقليص عدد الوظائف، وإزاحة كثير منها خاصة المكرر، والذي يمكن أن ينضوي تحت غيره.

آلية الاستبدال: حيث استعاض غريماس عن الوظيفة التي هي مركز مشروع بروب حتى تسمى بها، استعاضها بالعامل الذي غدا مركزيا في مشروع غريماس حتى تسمى به: النموذج العاملي.

وهكذا تحمل الشّخصيات حسب دراسة فلادمير بروب بعدا وظيفيا والذّي جعل غريماس يتجاوزها باستبدال الوظيفة بالعامل مع إجراء التّعديلات اللاّزمة على عمل بروب، فصاغ غريماس على إثر ذلك نموذجه العاملي الذّي يصلح لجميع الخطابات، بل وينطبق عليها، بخلاف وظائف بروب التي قد يوجد بعضها في خطاب سردي ولا يوجد في آخر، ومع ذلك فلم يكن لغريماس بدّ من اتباع خطى بروب لأنّ عمله يتأطّر "**عموما ضمن تصوّر منهجي رصين هو البحث في شبكة العلاقات الشّكليّة الّتي تعدّ محايثة للحكايات الشعبيّة الّتي حدّدها في متن عام**"[3]، لكن ذلك لا يمنع من انتقاده لبروب حيث "**يصوغ غريماس انطلاقا من هذا النموذج نتيجة مغايرة للمسلّمة البروبية الّتي تحملنا على الاعتقاد بأنّ الحكاية مبنيّة على التّتابع الكرونولوجي للمهمّات، ذلك أنّ**

1 – عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، "البنيات الخطابية–التركيب–الدّلالة"، ص:210.

2– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التّمفصل المنطقي للبناء السّردي يجري مجرى التّتابع المعكوس. حتّى ولو تعاقبت المهمات الثلاث الواحدة تلو الأخرى على طول الخطّ الزّمني، فإنّه لا توجد أيّة ضرورة منطقيّة تعلّل التحاق المهمّة التّأهيليّة بالمهمّة الحاسمة وهذا بالمهمّة الممجّدة"[1]، فهذه إحدى التعديلات الغريماسية للنموذج البروبي فيما يخصّ البنية الزّمنية للخطاب السّردي.

لكن وإن عدّ النموذج البروبي خطوة جدّ هامة نحو فهم واستيعاب آليات اشتغال النّص الحكائي، فإنّه بقي رغم ذلك، رهين مستوى مجرّد؛ لأنّ فلادمير بروب أقصى في دراسته التكلّم عن خاصّية هذا النموذج وعن مقدرته على إنتاج مجموعة من البنيات الخطابية الباثّة لكلّ نص سردي لمسته الخاصّة ، كما أهمل شيء مهم جدا وهو تفسير العلاقات الرابطة بين جل الثنائيّات المكوّنة للنموذج، فهذه بعض جوانب الهفوات الّتي سقط فيها في نموذج بروب والتي عمل غريماس على تداركها الأمر الّذي "...**دفعه إلى درجة العمل على تعميق مفاهيمه وبلورتها في تصور منطقي شامل للأجناس السردية، كيفما كانت طبيعتها الدلالية، وهذا هو الفارق الجوهري بينه وبين بروب الذي لم يعر انتباها لتلك الأجناس، الأمر الذي جعل بحثه يدور في نطاق ضيق، لا يتجاوز حدود الاشتغال بالحكاية الخرافية."**[2]، فالنموج البروبي بقي أسيرا للمادة المرصودة وهي الحكاية الشعبية، فتشكل في ضوئها نموذجا ضيقا الأفق، لا يغطي إشكالات الخطابات السردية بأجناسها المختلفة، فجاء غريماس ليوسع من هذا النموذج نحو إمداده بالكفاءة المنهجية العالية التي تنمحه الاقتدار على احتواء وتغطية كافة الخطابات السردية بأجناسها وتلاوينها.

فغريماس بذلك حاول دحر سدول اللّبس التي كانت تكتنف نموذج بروب الوظائفي وخصوصا التطبيق الضيق له والذي اقتصر على الحكاية الشعبية دون غيرها من الأنواع الأدبية

1- رشيد بن مالك: مقدّمة في السيميائيّة السّرديّة، ص:34

2 - نادية بوشفرة: مباحث في السيميائية السردية، ص:47

الأخرى، ليستنبط –غريماس– نموذجا يصلح لكلّ الخطابات الأدبية وغير الأدبية، ما يعني أن غريماس "... **راح يوسع النطاق في العمل من أجل الوصول إلى معرفة كلية شاملة للتصرف البشري.**"[1]

كما أن غريماس أعاد النظر في تصور بروب مستنبطا نموذجا توفيقيا "**يؤلف فيه بين الأداة والمانح للحصول على عامل "المساعد"Adjuvant ، وبين المعتدي والغادر المحققان لعامل " المعارض"Opposant، فيما يشخص البطل في دور "الفاعل"Sujet الذي يسعى للبحث عن الشخص المطلوب–الأميرة–وهي عامل "موضوع القيمة" Objet de valeur المرغوب فيه، وفي الأخير، يأخذ الوالد–نقصد والد الأميرة– صفة العامل "المرسل"Destinateur ويقابله المفوض في صفة "المرسل إليه" Destinataire.**"[2]؛ أي أنه اختزل الشخوص تحت مسمّيات عامليّة مشتركة، ما منح نموذجه دقّة وصرامة وتجريدا أكبر مما كان عليه نموذج سلفه بروب.

ونعيد ونؤكّد على أنّ "**بروب" ينطلق من عدد هائل من الحكايات لكي ينحو بها إلى التجريد، إنه ينطلق من سلسلة كبيرة من الأفعال الملموسة والموصوفة داخل الحكاية الشعبية، لكي لا يحتفظ إلا بعدد ضئيل من الوظائف يشهد على ذلك أن وظيفة الإساءة (Méfait)مثلا وحدها تغطي ما يناهز التسعة عشر مظهرا أو تعابير تصويرية**"[3]، لكن نسبة التجريد كانت قابلة للزيادة تطلبا للمنهجية الأدق.

ولكن للنموذج البروبي فرادته الخاصّة و"**تكمن في خاصّية الإثارة ، وفي قدرته على إثارة الافتراضات، إنّه التّخطي بكلّ معانيه لخصوصيّة القصّة العجيبة التي تطبع مسيرة السيميائيات السردية منذ بداياتها، إنّ توسيع وترسيخ مفهوم الترسيمة السّرديّة القواعديّة يبدو بهذا كواحدة من مهامها الآنيّة، وإذا كان "التّتابع" البروبي باعتباره مقصديّة دالّة ومتموقعا في مستوى أكثر**

1 – نادية بوشفرة: معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، دون طبعة ، 2011، ص:84

2 – نادية بوشفرة: مباحث في السيميائية السردية، ص: 48

3 – سعيد بنكراد: مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الثانية، ص: 15

عمقا من الخطية البسيطة للتمظهر الخطابي يسمح بالمصادة على وجود ترسيمة سرديّة منظّمة، فإنّ التمفصل المنطقي يعطي العكس صورة التّتابع العكسي"[1]

وتأثّر غريماس بمثال بروب الوظائفي ذهب إلى حدود كبيرة جدّا، فـــــــــــ**"استنادا إلى النّموذج البروبي والتّعديلات المنهجيّة الّتي أجراها عليه أ.ج. غريماس وج. كورتيس، نحصل في نهاية التّحليل على بعدين أساسيين في النّظرية السّيميائيّة: بعد معرفي: يتأسّس عليه الإيعاز والتّقويم، وبعد تداولي: ندركه من خلال عمل الفاعل"**[2]، وهي قضايا جزئية تتّضح بشكل أكبر عند التعرض إلى شرح نظرية غريماس السيميائية السردية.

فضلا عن ذلك كلّه فقد **"استفاد "غريماس" من التّتابع الزمني للأحداث والتّحوّل بوضع أطراف المربّع السيميائي، وفي قضية الاختبارات الّتي سنّها "بروب" في بلورة الخطاطة السردية، حيث ميّز "غريماس" بين ثلاثة أنواع من الاختبارات: الاختبار الترشيحي (épreuve qualifiante) الّذي يحصل البطل من خلاله على الكفاءة وطاقة الإنجاز، يعقبه الاختبار الحاسم (épreuve principle ou décisive)، وهو مصطلح للافتقار، وأخيرا الاختبار الممجّد (épreuve glorifient) الّذي تقع فيه سرفة البطل الحقيقي ومكافأته"**[3]وهذه الاختبارات الثلاث استبدلها غريماس بما يسمى بالخطاطة السردّية والتي تنبني على أربع مراحل وهي:[التحريك والإنجاز/الأداء، الكفاءة والجزاء]، وتلك المراحل الأربع سنتعرّض إليها في الفصل الثّاني من البحث في سيّاق حديثنا عن البرنامج السّردي.

وبذلك كان لأفكار بروب تأثير على الدارسين البنيويين الذين أرادوا المضيّ قدما بأفكاره لتصبّ في نظريّة الرّواية بتعميق أكبر، فحاولوا إقامة تصنيف للوظائف أكثر إيغالا في التّجريد والتّعميم مما فعل هو، ولذا عُدَّ بروب دائما إرهاصا قويا للبنيوية الأدبية.

1 – جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائية السرديّة والخطابيّة، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007، ص:23

2– رشيد بن مالك: مقدّمة في السيميائيّة السّردية، ص:34

3– ينظر: سمير المرزوقي وجميل شاكر: مدخل إلى نظريّة القصّة تحليلا وتطبيقا، ص:67-68

كما يمكن أن نسجل أن غريماس راجع عمل بروب متقفيا بذلك الفجوات التي سقط فيها هذا الأخير، محاولا بذلك-غريماس- سدّها عبر التصويبات التي سنّها، بيد أن هذا لا يعنى إنكارا لجهود بروب بالمرة، وإنما كان ذلك في إطار تقليد معرفي أصيل، صار يعرف فيما بعد بممارسة نقد النقد، وهي ممارسة تستند إلى آليات ومقولات، منها العام، ومنها الخاص، وقد تمت الإشارة سابقا إلى أن غريماس اعتمد في حواره مع مشروع بروب على آلية الاختزال، وآلية الاستبدال.

ج-أعمال كلود ليفي ستروس:(Claude Levie. Strauss)

يعد كلود ليفي ستراوس أحد أعمدة الأنثربولوجية في القرن العشرين، حيث استطاع المتح من منجزات البنيوية وخاصة للباحثين سوسير وجاكبسون، وعدّ ليفي ستراوس همزة وصل وذلك عندما راح يسقط نموذج اللّسانيات على مختلف الأنظمة الثّقافية من خرافة وأسطورة..الخ

وممّا ينبغي الإشارة إليه هو أنّ ستراوس **"أوّل من استرعى اهتمامه بروب Propp، في دراسته التي أعدّها في مؤلّفه الشهير "مورفولوجية الحكاية العجيبة الروسيّة" والذي يعود له الفضل في ترجمته بعد مدّة زمنيّة، قدّرت بثلاثين سنة بعد نشره-أي في سنة 1958-"**[1]؛ إذ **"تنبّه ليفي ستروس إلى المبادئ الأولى التي أرسى دعائمها بروب في "دوائر الفعل" للحكاية، ممّا قاده إلى التّسليم بوجود إسقاطات استبداليّة تغطّي السّيرورة النظميّة في الحكاية البروبويّة، فهو يرى ضرورة إجراء "ازدواجيّة" للوظائف التي أسهب بروب في تحديد عددها"**[2]، فقد انطلق ستراوس من تصورات بروب السابقة، لكنه أعاد صياغتها حسب تصوراته الجديدة، فستراوس يجد بأن بروب قد أهمل المحتوى (محتوى الحكاية) في رحلته من المحسوس إلى المجرد، وسيذهب إلى أن ما اعتبره بروب عنصرا ثانويا وغير وظيفي سيصير لبنة الحكاية وأساس تلوينها الثقافي، بمعنى أنّ (المحتوى هو الذي

1- نادية بوشفرة: مباحث في السيميائيّة السردية، ص: 17

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يؤسس خصوصيتها باعتبارها عنصرا يحيل إلى ما يطبع هذه المجموعة البشرية عن تلك)، مما جعل ستراوس يلاحظ أن مجموعة من الحكايات في الهند وفي أمريكا تعتمد أفعالا متشابهة ومختلفة[1].

فالفارق بينهما هو المترع، فبروب ذو نزعة شكلانيّة حجبت عنه المضمون، فيما يترع ستراوس إلى الأنثروبولوجيّا الّتي دفعت إلى الاهتمام بالمضامين، وهذا الفارق ألقى بظلاله على رؤية كل منها إلى العناصر وأثر تحولاتها.

كما قام ليفي ستراوس بتوجيه عدّة انتقادات لبروب ولنموذجه فيما يخصّ "**الشكلنة التي أحدثها وكانت سببا في التمييز الذي أولاه بالبعد النظمي لمساعدته على التطبيق الميكانيكي، وتوقّف التحليل على مستوى البنيات السطحيّة، خاصة إذا ما تعلّق الأمر بالأبحاث الميثولوجية المقارنة التي يمكن البتّة إخضاعها لهكذا دراسة لأنّها لا تستقيم تحليلا وتطبيقا**"[2]، ممّا أفضى بستراوس إلى "**تضييع المحتوى سعيا منه للمرور إلى المحسوس وصولا إلى المجرّد، ممّا أدّى إلى جعل العودة من المجرّد إلى الملموس يعدّ أمرا مستبعدا**"[3] ولا شكّ أن السيميائي غريماس في نقده لدراسة فلاديمير بروب استند على النقد الذي وجهه كلود ليفي ستراوس إليه، لهذا نستطيع القول بأن غريماس قد قرأ مشروع بروب بعناية فائقة بناء على قراءة ستراوس له، ويظهر ذلك جليا من خلل الآثار الّتي بدت في مشروع غريماس؛ إذ حاول إقصاء ملامح العاملية والبساطة كما كانت في دراسة بروب مركّزا في الوقت ذاته على المحتوى والبنية العميقة لأيّة دراسة لنّص سردي، ومن هنا نستنتج بأنّ غريماس مشى على خطى نقد ستراوس لمشروع بروب .

د–نموذج إيتيان سوريو (E.Souriau):

1– سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية، ص:51.

– نادية بوشفرة : مباحث في السيميائية السردية، ص: 192

3 -Claude Levis Strauss.Anthropologie structurale deux Edition,plon.1973p158-159

فضلا عن نموذج بروب الّذي استفاد منه غريماس، راح هذا الأخير كذلك يمتح من عمل سوريو الذي "**استنبط أيضا مفهوم الوظيفة الدرامية من (E.Souriau)**"[1]، لنجد بدورنا غريماس "**انطلق من النصوص المسرحيّة مبلورا نموذجا عامليّا، يضمّ مجموع التطوّرات والتّحولات، الّتي يزخر بها النّص المسرحي** "[2]، ولعلّ هذا ما يؤيّد عمق وشموليّة نموذج غريماس الّذي استفاد من كلّ التّجارب حتى تلك الّتي كان المسرح موضوعا لها.

فبعد بروب بعشرين سنة و"**انطلاقا من المسرح ميّز سوريو شخصيات الأدوار (التي يسمّيها "الوظائف الدّراميّة" ويلمح لإمكانية توزيع غير منظّم للقسمين وهذه الأدوار هي كالتّالي: "القوة الموضوعاتية الموجهة، ممثل الخير مرغوب فيه، القابض المفترض لهذا الأخير (الذي تعمل لصالحه القوة الموضوعية الموجّهة): المعارض العشوائي، فاعل الخير، المساعدة، مضاعفة إحدى الجهود السابقة**)"[3]، وبنظرة خاطفة إلى هذه التمييزات نلمح الخيوط الخفية لعوامل غريماس بادية للعيان، بل نجد ذات المصطلحات تتكرّر، مثل: مرغوب، المعارض، المساعد...الخ.

وتتجلّى أهمّية عمل سوريو في أنّه "**برهن على أنّ التأويل العاملي يمكن تطبيقه على نصوص مختلفة من الحكايات الشعبيّة [النصوص المسرحيّة]...هو تصنيف تجد التمييزات نفسها بين القصّة الّتي لا تشكّل عنده سوى سلسلة من الذّوات الدّراميّة، وبين مستوى الوصف الدّلالي الّذي ينجز انطلاقا من الوضعيّات القابلة للتّفكير في إجراء عوامل.**"[4]وهنا تتمايز دراسة فلادمير بروب عن دراسة إيتيان سوريو؛ إذ حصر الأوّل موضوع الدراسة في الحكاية الشّعبية في حين اهتمّ الثاني بالحكايات وكذا النّصوص المسرحيّة.

1A. A.J.Greimas,Sémantique structurale de Méthode, imprière,larousse,Paris,1996,p:175

2- سعيد بنكراد: مدخل إلى السّيميائية السرديّة، ص: 45

3- تزفيطان تودوروف: مفاهيم سردية: تر: عبد الرحمان مزيان، ص:77

4 - سعيد بنكراد: مدخل إلى السيميائية السردية، ص: 45

وهكذا عدّ عمل سوريو رافدا هامّا من روافد نظرية العامل الغريماسيّة، فقد حدّد سوريو الوظائف وفقا لدراسته لمائتي ألف وضعيّة دراميّة، فضبط مجموعة من العوامل التي أطلق عليها اسم "الوظيفة"طبقا لمفاهيم التّركيب التّقليدي والعوامل هي كالتّالي[1]:

- الأسد .....القوة التّيماتيكيّة الموجّهة.
- الشّمس.....ممثّل الخير المرغوب فيه والقيمة الموجّهة.
- الأرض.....الحاصل المحتمل على هذا الخير (هو الذي يشتغل من أجله الأسد)
- مارس.....المعاكس.
- الميزان.....الحكم، المانح.
- القمر.....النّجدة، مضاعفة قوّة من القوى السّابقة.

بيد أنّ الشّيء الّذي يتراءى لنا هو أنّ "**سوريو حصر الوظائف في ستّة، وتغلب على بنائها المفاهيمي سمة اللّغة الفلكيّة، على أنّ هذا اللاّ تحديد لا يبخس هذا المجهود النّظري لسوريو فضيلته المنهجيّة الّتي تتحدّد حسب كريماس في كونه برهن بجلاء على أنّ التّأويل العاملي يمكن أن يكون أداة إجرائيّة تصلح لتحليل هذا النوع من المحكي الذي يخالف الحكاية وهو العمل المسرحي، وأنّ نتائج هذا التحليل يمكن أن تقارن بما وصل إليه بروب حول الحكاية**"[2] وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على وجود "**نوع من الفعالية الإجرائيّة للتّأويل العاملي الّذي يمكن أن يحدّد باعتباره نوعا من الكّليّات الّتي تفسّر في ضوئها الفضاءات المصغّرة الدّالة المتعدّدة وكلّ**

1- Greimas, Sémantique Structurale de method, P176

2 – عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي(البنيات الخطابية–التركيب–الدلالة)، ص:212

الأشكال الخطابيّة."[1]، فالمسرح وإن اختلف في خطابه عن الخطاب الحكائي أو الرّوائي مثلا، فهو يشترك في العوامل، كما أنّ "**ما يمثل مشكلة وعائقا في تكوّن وتصنيف هذا النّموذج هو الاستثمار الدّلالي الّذي خضع له في مرحلة مبكّرة من صياغته، أي في مستواه التّجريدي... والحال أنّ أيّ استثمار دلالي لا يتمّ إلاّ من خلال التّحقق العيني للنّصوص، أي من خلال البنيات الخطابيّة التي تخصّص التّحقق.**"[2]، وعليه، فقد بلور غريماس نموذجه بناءً على نتائج دراسات سابقيه، وكما أسلفنا الذّكر، أنه –غريماس– استفاد من المسرح من خلال النّموذج الذي وضعه سوريو، الّذي "**استخرج نموذجا عامليا، يكثّف ويلخّص مجموع التّطورات والتّحولات الّتي يزخر بها النّص المسرحي، محدّدة في المواقع التركّيبية التّالية:**

- **القوّة الموضوعاتية الموجهة.**
- **ممثل الخير والقيم الموجّهة.**
- **الحكم واهب الخير.**
- **المتحصّل المفترض على القيمة.**
- **المساعد.**
- **الضديد.**[3]

وهكذا يتبدّى لنا ممّا تقدّم أنّ عمل غريماس يلقي" **الضوء على اختلاف مفهوم الأدوار عند سوريو(Souriau)وبروبpropp هذا الأخير يحدد دور كل بسلسلة من المحمولات، بالعكس فإن سوريو وجريماس يتصور أنه خارج كل علاقة مع المحمول، من هنا سنجد أنفسنا**

1 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2– سعيد بنكراد: السّيميائيات السردية–مدخل نظري–، ص:74

3 عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النّص، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، دار الأديب، وهران، الجزائر،2006 ، ص: 360

مدفوعين لمقابلة الأدوار بالعوامل التي هي وظائف تركيبية خالصة عند جريماس[1]؛ أي أن غريماس هنا يتراح إلى طرح سوريو على حساب طرح بروب، وينفي تحديد الدور وفق علاقته مع المحمول، بل يجعل منه وظيفة تركيبية خالصة وهي العوامل.

ومنه يمكننا الإقرار بأنّ غريماس " **استطاع أن يستعيد ويطور محاولات كل من بروب وسوريو ليبني من خلال بحثيهما قواعد أكثر كمالا إذ أصبحت دراسته للفاعل–أي الشخصية– الأنموذج الأشهر والأكثر تداولا في دراسة الشّخصيات في نقدنا السّردي اليوم، فكريماس ينطلق في دراسة الشّخصيات من منطلق دلالي، إذ يدرسها –أي الشّخصيات– بصفتها فواعل دلالية (Actant)** "[2]، كما زادت مصداقية هذا النموذج منهجيا من خلال البعد الدلالي للعوامل، وهذا هو جوهر التروع السيميائي في التحليل الغريماسي، فضلا عن محاولته " **من ناحية أخرى مقاربة بين هذا الجرد للأدوار والوظائف التركيبية في اللغة، وعلى إثر تسنييرTesniere أدخل مفهوم العامل، فعوامل غريماس هي الذات، الموضوع، الباث، المتلقي، المعارض والمساعد فالعلاقات التي تجمعها تشكل نموذجا عامليا**"[3]وهذا ما سنأتي إليه في سياق حديثنا عن تأثيرات تنيير في النموذج العاملي لغريماس.

ومن الأهمّية بمكان هو أنّه ينبغي الإشارة إلى أن غريماس بذل جهودا كبيرة بغية "**تطويق مفهوم الشخصية والمحافظة على تماسكه الشكلي وذلك وفق خطة وصفية رائدة...والميزة الأساسية للنموذج العاملي الذي وضعه كريماس هو إمكان توسيع مجال اشتغاله وجعله قادرا على استيعاب خطابات أخرى غير الخرافة والمسرح والأسطورة والانسحاب بالتالي على عموم الخطابات السّردية والأدبيّة، وذلك على عكس أطروحتي بروب وسوريو اللتين تتّصفان ببعض**

– تزفيطان تودوروف : مفاهيم سردية، تر:عبد الرحمان مزيان، ص:781

2– أحمد رحيم كريم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث،دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان، مؤسسة دار الصادق الثقافية، الطبعة الأولى،2012، ص:387

3– تزفيطان تودوروف : مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزيان،ص:77 –78

المحدودية من حيث مجال تطبيقهما"[1]**.**، فغريماس استطاع بلوة نموذج عاملي يصلح لجميع الخطابات خلافا لفلادمير بروب وكذا سوريو .

والجدول الآتي يلخّص لنا استفادة غريماس من كل من أعمال بروب وسوريو:[2]

النموذج العاملي غريماس	الشخصيّات الخرافية بروب	شخصيات المسرح سوريو
-الذات - الموضوع	البطل -الشخصية المرغوب فيه	-القوّة الموضوعاتيّة الموجّهة -ممثّل الخير والقيمة الموجّهة
-المرسل -المرسل إليه	-الشخص المرغوب فيه [المنتدب] -البطل المزيّف	-الحكم، واهب الخير -المتحصّل المفترض على القيمة
-المساعد -المضاد/المعارض	-الواهب/المساعد -الخائن/المعتدي	-المساعد -المضاد

1- حسن بحراوي: بنية الشّكل الرّوائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990،ص: 220

2 - عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النّص، ص: 53

وهكذا فالدّراسات السابقة الّتي اتّكأ عليها غريماس في صياغة وبلورة نموذجه لا تخرج في التّطبيق من حدود الدّائرة الّتي انطلقت منها، بيد أنّنا نجد الأمر خلاف ذلك عند غريماس؛ إذ عمد هذا الأخير إلى جعل نموذجه يصلح لجميع أشكال الخطاب الإنسانيّ، بدء بالخطابات الأدبيّة وصولا إلى أيّ نوع من أنواع السّلوك الإنساني، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ نموذج غريماس يتّسم بطابع العموميّة والشّمولية.

ه- نموذج تسنيير: Tesniere

لم تستطع نظرية غريماس أن تنفلت من قبضة النّحو البنيوي؛ إذ راهن غريماس على دراسة تنيير وذلك بالاستناد عليها، ساعيا إلى بناء نموذجه العاملي، فدراسة تسنيير تعدّ"...**الخلفية الأساسية التي بنى عليها جريماس نظريته العاملية. فتسنيير يعتبر الفعل/Verbe، مركزا منظّما للعلاقات العامليّة ممّا جعله يقسّم الأفعال إلى نوعين: أفعال الحدث وأفعال الحالة.**"[1]، هذا في إطار بنية الجملة اللّغوية.

كما اتّكأ غريماس على ملاحظات تسنيير فيما يخصّ الوظائف التّركيبية؛ حيث نجد أنّ تنيير "**يقارن فيها القول الأوّلي بالمشهد أو بالفرجة (Spectale)، حيث تصبح الوظائف التّركيبيّة عبارة عن أدوار تلعبها الكلمات: الفاعل هو الّذي ينجز الفعل، والموضوع هو الّذي يقع عليه الفعل.**"[2]، فهذا النّحو اللّغوي يمكن أن يشكّل نحوا سرديّا مع التّعديل؛ لأنّه "**إذا كانت الجملة من النّاحية التركيبيّة تتّسع لأكثر من فاعل، ولأكثر من فعل، ولأكثر من مفعول به، فإنّ نقل هذا**

1- سعيد بوعيطة: المرجعيّة المعرفيّة للسّيميائيات السّردية-جريماس نموذجا-، ص52

2- عبد المجيد نوسي : التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي" البنيات الخطابيّة- التّركيب- الدّلالة"، ص208

النّموذج إلى ميدان آخر غير اللّسانيّات يتطلّب إلحاق تعديل يمسّ طبيعة الفرجة، وطبيعة الأدوار."[1]

ومما يتوجّب التنويه به هو أنّه **"من وجهة نظر علم التّركيب التّقليدي تعتبر الوظائف بمثابة أدوار تقوم بها الكلمات داخل الجملة، تكون فيها الذّات فاعلا، والموضوع مفعولا، وتصبح الجملة أيضا–وفق هذا التّصور– عبارة عن مشهد"[2]**، فالجملة اللغوية عبارة مسرح مصغر فيه عوامل ووظائف؛ وهذا يدلّ على عبقرية غريماس في تحوير نحو الجملة إلى نحو للخطاب السردي، من جهة أن الجملة نواة أساسية لتصور سردي مصغر.

ومن ثمّة أحدث غريماس تعديلا على تصور تنيير من زاويتين:[3]

الأولى: إجبارية تقليص العوامل التّركيبيّة وردّها إلى وضعها الدّلالي.

الثانية: يجب دمج كلّ الوظائف المنضويّة داخل متن معيّن وإسنادها إلى عامل واحد.

ومنه نصل إلى نقطة مفادها أنّ دراسة تسنيير تصبو إلى**"تأسيس تركيب خالص... لذلك فإنّ موضوع التّركيب عنده هو دراسة الجملة، والجملة أساسا جملة من الالتحامات، والجملة بالتحاماتها تحقّق تمفصل تجربة معيشة في علاقتها بالبنية اللّغوية، وبناء على هذا، فإنّ الالتحام يشكّل مبدأ التّركيب؛ فاعتمادا على تحقيق التّلاحمات، ينتج القارئ الجملة، كما أنّ فهم الجملة يقتضي تفكيك هذه الالتحامات من طرف الباث."[4]**، فالجملة هي بؤرة الدراسة عند تسنيير، واستفادة غريماس منها يدلّ على عبقريته في الاستفادة من النحو.

1- سعيد بنكراد: مدخل إلى السّيميائيّة السّردية، ص46

2- حميد لحميداني: بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثاقي العربي للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، آب 1991، ص32-33

3 – ينظر: سعيد بنكراد: مدخل إلى السيميائيّة السّرديّة: ص46-47

4- عبد المجيد نوسي : التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي" البنيات الخطابيّة- التّركيب- الدّلالة"، 208-209

ومن هذه الزاوية يذهب غريماس بالقول إلى أنّ "**كل العوامل مهما كانت نوعية العلاقة الّتي تشجهم يعبّرون عن التّجلي في كلّيته**"[1]

وغريماس يرى بأنّه "**إذا كانت اللّغة الطبيعيّة لا يمكن أن تنمّي من عدد العوامل، فإنّ هذه الفضاءات لا يمكن أن تحدّد بصفتها كلا دالاّ إلّا إذا نظرنا إليها باعتبارها فرجة أو مشهدا، أي النّظر إليها بصفتها بنية عامليّة.**"[2]،فنحن بصدد نوع من تغيير النظرة التقليدية إلى الجملة إلى نظرة جديدة تعتبرها مشهدا متحركا.

وقد أعاد غريماس توزيع الأدوار العاملية؛ حيث قام بـــــــــــــ " **تعديلها بحيث صاغها بشكل ثلاثي: المعيق [مثلا] عبر استبداله بمقولتين عامليتين على شكل تقابلات**"[3]. فالشيء الملاحظ أنّ دراسة تنيير كان لها عميق الأثر في نظرية العامل السردية الغريماسية.

وعلى أية حال فلا يمكن رصد كل تأثيرات تنيير في نموذج غريماس، فيكفي أن نشير إلى محورية تصوره لتركيب اللغة الطبيعية، وكيف نقله غريماس إلى الخطاب السردي.

-خلاصة:

وهكذا يظهر لنا مما تقدّم أنّ ثمة عدة روافد ساهمت في بلورة مفهوم العامل لدى غريماس وكذا ساعدت في تشكّل دواليب النظرية السيميائية، من خلال وقفة غريماس على تخوم دراسات سابقيه ؛ حيث نجح في بلورة مشروعه داخل بوتقة روافد عديدة، فاستطاعت بذلك نظرية العامل السردية " **أن تكتسب هيئة جديدة وقواما خاصّا ونطقا مختلفا، لا يشبه تلك المناهج فيما تلزم به**

1 -A.J Greimas, Du sens ll. Ed, Seuil, Paris, 1983, p67

2- عبد المجيد نوسي : التحليل السيميائي للخطاب الرّوائي" البنيات الخطابيّة- التّركيب- الدّلالة"، ص208

3- سعيد بوعيطة: المرجعيّة المعرفية للسيميائيات السردية-جريماس نموذجا-، ص50

نفسها، فيما يأخذ هو منها."[1]، ففيه من كل ما في تلك، لكنه ليس واحدا منها، وهنا مكمن الفرادة.

فمتحت نظريّة غريماس من عدّة روافد وهي: الرّافد الفلسفي، والدّرس الألسني وكذا دراسات الحكاية الشّعبيّة إضافة إلى الدّراسات المسرحيّة، كما لا ننسى إفادتها من التركيب النّحوي

وفي الأخير ما يسعنا إلا أن نكرر ما ذهب إليه عقاق قادة عندما قال: "**ولعلّ أهم ما تتميّز به هذه النظرية، وبخاصّة في المجال السّردي، هو شموليتها في التّصور وعمقها في التّحليل، وقدرتها على النّفاذ إلى باطن النّص، من خلال الكشف عن آليات انتظامه، وتحديد القواعد المتحكّمة في تنظيم مستوياته.**"[2].

فهنا نلحظ لها ثلاث ميزات:

1- الشّمولية: حيث تعم كل أنواع الخطابات السردية، بخلاف نماذج سابقيه.

2-العمق: فلا تقتصر على البنى السطحية.

3-الكفاءة: حيث تنفذ إلى أعماق النصوص فتكتنه دلالاتها المتنوعة.

كما لا يمكن إغفال الآليات التي حاور من خلال غريماس مشاريع سابقيه، مثل: آلية الاختزال، فقد اختزل الوظائف البروبية، وآلية الاستبدال، فقد استبدل كثيرا من المصطلحات، مثل الوظيفة التي وضع بدلها العامل، وآلية التّعديل بالحذف أو بالإضافة، وآلية التأهيل فقد أهل نموذج تسنيير التركيبي إلى أن يكون تحديدا للخطاب السردي، كل هذا يعكس الاشتغال الابيستيمولوجي على مستوى آليات إنتاج الخطاب المضمر.

1- عقاق قادة: الخطاب السيميائي في النّقد المغاربي-دراسة-، ص25

2 - المرجع نفسه، ص:21.

وإذا ما أردنا أن نصوغ خلاصة لكل ما سبق فإنه يمكن القول بأنه غريماس حاور ركاما من المعارف السابقة في حقول بحثية شتى، اختزلناه نحن هنا في روافد هي:

1-الرافد الفلسفي وخصوصا الفلسفة الذرائعيّة.

1-الرافد اللّساني ويدور اعتماد غريماس فيه على منجزات فرديناند دي سوسير ومدرسة براغ ولويس هيلمسليف.

2-الرّافد المعرفي ويشكّل كل من بروب وستراوس بالإضافة إلى سوريو وتسنيير أضلاعه الأساسية، لكن يبقى بروب هو مركز التأثير والإلهام.

ويبقى هذا مجرد تقريب للصورة والمشهد، وإلا فالأمور أعقد بكثير مما يفسح مجالات أخرى لمطارحتها برؤى ومداخل مختلفة، كأن يدرس عمل غريماس هنا في ضوء نقد النقد وآلياته التي كنا أشرنا مرارا إلى جانب مهم منها.

الفصل الثاني

النّموذج العاملي والتّرسيمة السّردية

الفصل الثاني: النّموذج العاملي والتّرسيمة السّردية

1-مدرسة باريس السيميائيّة:

وهي المدرسة التّي أرسى دعائمها أ.ج.غريماس سنة 1966م، فمن خلال هذه المدرسة تمكّن رفقة مجموعة من الباحثين من تلاميذته أن يؤسّس لدرس سيميائي يتّكئ على جملة من المفاهيم الجديدة والقديمة في الوقت نفسه، فاستطاع بذلك أن يبني نظريّة جديدة ومتفرّدة في التّحليل السردي انطلاقا من جملة النّتائج الّتي توصّل إليها سابقوه في هذا المجال، فنادى أنصار هذه المدرسة بالتحليل الجوّاني للنّصوص باعتبار أنّ الأدب موضوعه الأدب فهو ليس انعكاس للمجتمع ولا لنفسيّة الأديب، ومنه" **ما يهمّ السيميائي هو كيف قال النّص ما قاله، أي البحث عن دال أو شكل المدلول أو المحتوى على طريقة تقسيم يلمسليف للدّال والمدلول بطريقة رباعيّة: شكل التعبير وشكل المحتوى وجوهر التعبير وجوهر المحتوى.**"[1]، فأقصى رواد مدرسة باريس السيميائية الظروف الخارجيّة عند دراسة أي نص سردي، ليقع اهتمامهم على جوانيته دون غيرها.

وهكذا نجد غريماس مزج في بلورة منظوراته النقدية بين جملة من المفاهيم القديمة والجديدة التي سنحت له بتنضيد أفق واعد يتقولب فيه جدوى التحليل السردي من خلال استنطاق النص وفق ما ينفتق من خريطة اللغة من زخم الدلالات والمدلولات المؤطرة للفسيفساء السيميائية التي تجسّد الوشائح النّصية .

هذا وقد طبّقت السّيميائيّة النّصيّة التّطبيقيّة التّحليليّة على عدّة نصوص مختلفة الأجناس: سرديّة وحكائية ودينيّة وقضائية وسيّاسيّة وفنّية...الخ، وكانت هذه الدراسات تنطلق من اللسانيات والأنثروبولوجيا حيث استلهمت أعمال فلادمير بروب وكلود ليفي ستراوس ومنجزات الشكلانيّة الروسيّة.[2] الأمر الذي ساعد عل تشكيل وتصالب توجهات الوعي المعرفي النقدي مما أدى إلى تثمير القولبة السّيميائية.

1- جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائيّة السرديّة والخطابية، تر: جمال حضري، ص:10.

2 - جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائيّة السرديّة والخطابية، تر: جمال حضري، ص:10.

فضلا عن ذلك "**تندرج سيميائية مدرسة باريس (خاصة في بداياته)، داخل التيار الشكلاني البنيوي للسانيات (سوسير، يامليسيف)، لقد عمل غريماس من خلال كتاب –الدلالة البنيويّة– على رسم معالم التّصور الابستيمولوجي الذي تندرج ضمنه نظريّته ممّا يجعل مدرسة باريس (من خلال المساءلة الجذريّة) تقوم أساسا على نقد الاتّجاه الوظائفي (مونين، مارتينيه) وعلى مساءلة السيميائيات البرسية لاختلافها معها في الأصول النظريّة**"[1]وتدرس هذه المدرسة المعنى من زاويتين:

أ–الزاويّة الأولى: المستوى السطحي: بحيث"**يتمّ فيها الاعتماد على المدوّن السردي الّذي ينظّم تتابع حالات الشخصيّات وتحوّلاتها، والمكوّن الخطابي الذي يتحكّم في تسلسل الصّور وآثار المعنى.**"[2]

ب–الزاوية الثانيّة: المستوى العميق: والّتي "**ترصد شبكة العلاقات الّتي تنظّم قيّم المعنى حسب العلاقات الّتي تقيمها، وكذلك تبيّن نظام العمليّات التي تنظّم الانتقال من قيمة إلى أخرى.**"[3]حيث تقيم شبكة العلائق ترسيمة للمكون الخطابي مما يسمح بتتبّع الشّواكل الحقيقة للمنورات النّصية.

وكما ذكرنا سابقا يؤكّد رائد هذه المدرسة–غريماس– على ضرورة أن يكون تحليل النّصوص بكافة أشكالها تحليلا محايثا ينحصر على فحص الاشتغال النّصي لمكونات المعنى، دون الأخذ بعين الاعتبار للعلاقة الّتي تربط النّص بالظروف الخارجية.

2–الشخّصيّة من منظور غريماس:

شيّد غريماس صرح نظريته العاملية السردية على تخوم البطل الفاعل متجاوزا المفهوم التقليدي للشخصية، متطرقا إلى مفهوم العامل، لتعرف الدراسات النقديّة تحوّلا بمجيء أ.ج.غريماس

1 – سعيد بوعيطة: المرجعيّة المعرفيّة للسيميائيات السردية جريماس نموذجا، ص:50–51.

2 – جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائيّة السرديّة والخطابية، تر: جمال حضري، ص: 12.

3– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الذي يرى أنه "**عوض الحديث عن الوظيفة يجب الحديث عن الملفوظ السردي، وبدل الحديث عن دوائر الفعل، يجب الحديث عن العامل...وبدل الحديث عن التتابع الوظيفي يجب الحديث عن خطاطة سردية، تمثل تمفصلا منظما للنشاط الإنساني توزيعيا واستبداليا**"[1]، ليبني بذلك أنموذجه العاملي الّذي يصلح لجميع الخطابات الإنسانيّة؛ وبذلك فقد تبوّأت جهوده في رحاب التحليل السردي مقاما حسنا، فكانت خطوته في ترتيبية المسار العاملي إنجازا فريدا يتيح للناقد تقفّي المسارات السّردية بفاعلية .

وغريماس في تحديده لمفهوم الشخصية الحكائية ميّز فيه بين مستويين وهما:[2]

-**مستوى عاملي** تتخذ فيه الشخصية مفهوما شموليا مجردا يهتم بالأدوار، ولا يهتم بالذوات المنجزة لها.

-**ومستوى"ممثلي"**(نسبة إلى الممثل) تتخذ فيه الشخصية صورة فرد يقوم بدور ما في الحكي، فهو شخص فاعل، يشارك مع غيره في تحديد دور عاملي واحد، أو عدة أدوار عاملية.

أ-مفهوم العامل:

لعلّه مما ينبغي التّشديد عليه هو أنه "**لم يظهر مفهوم العامل**"Actant" **إلا مع الشّكلاني الرّوسي فلادمير بروب** V.Propp **وإتيان سوريو** Etienne Souriau **فقد حاول فلادمير بروب دراسة مائة حكاية روسية عجيبة بطريقة سيميائية قائمة على تحديد الوظائف الثّابتة والعوامل الفاعلة المتكرّرة في تلك الحكايات...**"[3]في محاولة منه لرصد مختلف الوظائف والعوامل التي تشكل بحضورها في النص وكأنّها تمثّل تلك التّأسيسات الإبداعيّة الأوّلية التي تفرض حضورها الإلزامي في النّص الإبداعي، وكأنّ النص لا يقوم إلاّ بها باعتبارها طفرات أصلية قائمة بذاتها. فيكون للعامل من هنا قيمة جوهريّة تنبجس منها شعلة الانتظام العاملي داخل النّسيج السّردي.

1- جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائيّة السرديّة والخطابية، تر: جمال حضري ، ص: 39.

2- حميد لحميداني : بنية النّص السّردي، ص: 52

3- جميل حمداوي، السّيميولوجيا بين النّظرية والتّطبيق،مؤسسة الوراق للنشر والتّوزيع، عمان، الطبعة الأولى ،2011، ص:117.

وقد استند غريماس على مجموعة روافد ليحدّد على إثرها مفهوم العامل لذلك "**تجد الابستمولوجيا الكريماسيّة –القائمة على استثمار المفاهيم المرتبطة بحقول معرفية محدّدة لتحديد مفهوم العامل وإدراجه ضمن الهيكل العام للسيميوطيقا السردية باعتباره مفهوما إجرائيا على مستوى تحليل التّركيب السّردي– مرجعيتها النّظرية في التّركيب كما قدّمته البنيويّة وفي علم تحليل الحكاية الشّعبيّة وفي الدّراسات حول الخطاب الدّرامي.**" [1]، ومنه لم يتحدّد مفهوم العامل من فراغ.

كما استثمر غريماس الدراسات الميثولوجية السّابقة في تحديده لمفهوم العامل، فيرى إلى الإله من زاويتين وهما:

1–الزاوية الأولى: وظيفيّة: تتجسّد في الأفعال الّتي يضطلع بها الإله.

2–الزّاويّة الثّانيّة: وصفيّة: يكمن في الألقاب والأسماء التي تضبط سماته.

و أكّدت نادية بوشفرة على أنّ "**العامل هو مفهوم مجرد أوجده لويس تسنيير** (Tesnière.l) **في عمله المعنون: "عناصر التّركيب البنيوي"**(Element de syntaxe structurale) **سنة 1965، ووظفه غريماس لتصوير الحركة المزدوجة للاستنباط والاستدلال في التّحليل السّيميائي...**"[2]ولا أحد ينكر الإنجاز العاملي وما حقّقه من فرادة مشروعة؛ إذ تحققت على أعقابه عدة طروحات تحليلية أغنت الحقل السيميائي برؤى خصبة تنقضي في ظلالها الحيلولة الإيجابية للجهد النقدي لدى غريماس.

هذا "**ويتموقع العامل في نظرية كريماس في البنية السّطحية، وبالضّبط في المستوى السّردي التّركيبي، حيث ينجز مجموعة من الأفعال والتّحولات، ويرد في شكل حالات متنوّعة في علاقة بموضوع الرّغبة اتّصالا وانفصالا. ومن هنا يتم الحديث عن عامل الفعل**sujet opérateur

1– عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي "البنيات الخطابية، التركيب، الدّلالة"، ص:208/207.

2– نادية بوشفرة: معالم سيميائية في مضمون الخطاب السّردي، ص:61.

وعامل الحالة....ويعتمد العامل لإنجاز برامجه السّردية على اختبارات التّحفيز والتّأهيل والإنجاز والتّمجيد"[1]، ويبدو أن التّمركز في عتبات وشواكل البنية السّطحية يسهل تلقف البدايات التركيبية الّتي تختلج المستوى السّردي.

ويبرز العامل في السّيميائية السّردية "**في المستوى الماوراء لغوي، وذلك بالاستناد على بنية التّواصل التّي تفرض وجود رسالة ما، وهذه الرّسالة تتطلب وجود مرسلا ومرسلا إليه بقدر ماتتطلب ذاتا وموضوعا"**[2] ،وكأنه بهذا ينتقل في التحليل العاملي من البعد اللّساني إلى البعد التأويلي الذي يتيح القراءة الواعية للشّفرات المبثوثة من المرسل إلى المتلقي.

والعامل كما جاء في قاموس السّرديات هو"**أحد الأدوار الرّئيسية على مستوى"البنية العميقة للسرد"**deep structure، **وهو يعادل"الوظيفة"عند سوريو، و"الشّخصية "** dramatis persona **عند بروب، و"الشّخصية الأصل"**archi persona**عند لوتمان".**[3] فالعامل انصهر من بوتقة الدراسات السابقة وكان بديلا للوظيفة عند سوريو والشخصيّة عند فلادمير بروب والشخصيّة الأصل عند لوتمان.

وقد أشار غريماس إلى"**أن العامل قد يكون فرديا أوجماعيا، كما يمكن أن يكون مجردا، مشيئا أومؤنسنا، بحسب تموضعه في المسار المنطقي للسرد"**[4]، لذلك عمد غريماس إلى استبدال مفهوم الشّخصية–وذلك لأنّ مفهومها ضيق يشمل الإنسان– بمفهوم العامل الذّي يحمل مفهوما أوسع فهو يتعدّى الإنسان إلى المجردات أو الأشياء وغيرها.كما أنّه من منظور تصوّر غريماس بإمكان

1– سعيد بنكراد: سيميولوجيا الشّخصيات السّردية،ص:122/123 .

2– عبد اللّطيف محفوظ: البناء والدّلالة في الرّواية(مقارنة من منظور سيميائية السّرد)، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2010، ص: 67/66 .

3– جيرالد برنس: قاموس السّرديات، تر: السّيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، الطبعة الأولى،2003 ، ص:08

4– السّعيد بوطاجين: الاشتغال العاملي–دراسة سيميائية"غدا يوم جديد" لابن هدوقة–منشورات الاختلاف،الجزائر، الطبعة الأولى، 2000 ص:16 .

مجموعة من الممثّلين القيّام بدور عاملي واحد، في مقابل ذلك يمكن لعدّة عوامل أن تنحصر في بوتقة ممثّل واحد، والتّرسيمة الآتية توضّح ذلك:[1]

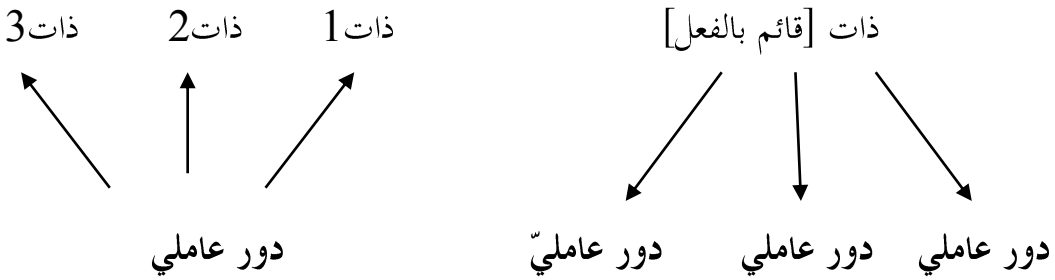

ويقول رشيد بن مالك في ذات الصّدد: "**إن العامل بوصفه وحدة تركيبية في النّحو السّردي الخاص بالسّطح في تموضعه على المسار السّردي يتجزأ إلى مجموعة من الأدوار العاملية، يجسد الممثل، كوحدة خطابية، على الأقل دورا عامليا ودورا تيميا.**"[2]فالممثّل يجمع بين المستوى السردي والمستوى الخطابي.

لنصل إلى نقطة كما أشرنا إليها آنفا هي أنّ العامل ينبجس في المستوى السّطحي في عدد لا متناه من الممثلين، ومعرفة الأدوار التّي يضطلع بها هؤلاء الممثلون داخل دواليب النّص السّردي أّي كان نوعه وحصرها في دوائر معيّنة هو ما يفضي بالسّمو بالعامل الّذي يعدّ وحدة تركيبية دلالية تقع في المستوى المحايث وليس في مستوى التّجلّي النّصي بعبارة أخرى أدقّ هو أنّ أن العامل يتفسخ ويتشظى وينشطر في حيز الممثلين.

1- A.J.Greimas,Du sens,p49

2- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنصوص-عربي-إنجليزي-فرنسي-،دار الحكمة، النّاشر: السّيد أحمد ماضي، فيفري 2000، ص:203.

وعليه "**تصبح الشّخصية مجرد دور يؤدّى في الحكي بغض النّظر عمن يؤديه بحسب ما تعمله ووفقا لما تفعل...**"[1]، فهي قد تحضر أو تغيب داخل مركب عاملي غامض يفهرس الحياة من حوله.

والعامل عند غريماس قد يكون ذاتا أو موضوعا أو مرسلا أو مرسلا إليه، أو مساعدا أو معارضا، لتندغم هذه العوامل الستة في ما يسمّى بالبنية العامليّة "**والتّي يمكن أن تكون علاقة رغبة كالتّي تربط بين الفاعل وموضوع الرّغبة** (objet du désur) **أوعلاقة معاكسة كالتّي تربطه بالمعارض** (opposant) **الذّي يحول دونه والموضوع أو علاقة متجانسة تتم على الصّعيد المعرفي/ الإقناعي** (cognitif/persuasif) **وتشمل المرسل والفاعل.**"[2]والعلاقات الثلاث هاته تؤدّي إلى إنجاز البرنامج السردي.

-**أصناف العامل: للعوامل أصناف وهي كالآتي:**

1-عوامل للتواصل أوالتّلفظ: وتشمل مثل السّارد /المسرود له، المخاطب /المخاطب، يشاركان في الحوار.

2-عوامل السّرد: وهي-كما أشرنا إليها سالفا- "**الفاعل/الموضوع، المرسل/المرسل إليه، من منظور نحوي، نقابل هنا العوامل التّركيبيّة(المسجّلة في البرنامج السّردي المعطى)، -كفاعل الحالة أوالعامل، بالفواعل الوظيفية (أوالنّظميّة)التّي تقوم بأدوار عاملية خاصة بمسار سردي محدد.**"[3]

3- العوامل الوظيفيّة: والّتي تشغل أدوارا عامليّة لمسار سردي معروف.

1-كريمة بلخامسة: تحليل الخطاب الرّوائي في رواية"نجمة"لكاتب ياسين، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطبعة الأولى، 2006، ص:172.

2- رشيد بن مالك: مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص:32/31.

3- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السّيميائي للنّصوص، ص:16.

ب- مفهوم الممثل:

ولّما كان النّموذج العاملي يتجلى في المستوى السّردي، فإن الممثل يظهر في المستوى الخطابي، وعليه ف:"**إذا كان العامل يتميز بطبيعته التّركيبية فإن مفهوم الممثل يبدو منذ الوهلة الأولى على الأقل غير مرتبط بالتّركيب، ولكن بالدّلالة (...)، فالممثل يرتبط بالدّالة وقد حددت السّيميائية السّردية جملة من المقومات التّي تخصص المحتوى الدّلالي للممثل**"[1]، ويفهم ممّا تقدّم أن الممثل يُعَدُّ وحدة معجمية دلالية تنتمي إلى الخطاب، وينطوي على عدّة دلالات ومعان .

وهكذا ف:"**مفهوم الممثل**(Acteur)**الذّي يمثل مفهوما إجرائيا على مستوى تحليل التّركيب السّردي، لأن الممثّل يمكن أن يؤدّي مجموعة أدوار تيماتيكيّة، وهي الأدوار ذات الطّبيعة الدّلالية والسّوسيو ثقافيّة مثل: المثقّف، كما يمكن أن ينجز دورا تركيبيا عامليّا مثل: العامل- الذّات، وبهذا يعدّ حلقة الاتّصال بين السّردي الذّي يقوم على الأدوار المجرّدة (العامليّة) والخطابي الذّي يقوم على الأدوار التّيماتيكيّة.**"[2] ويمكن التّدليل لذلك بمخطط كالآتي:[3]

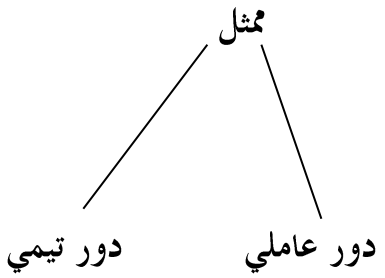

وضعيّة داخل برنامج خلاصة لمسار صوري سردي

وفضلا عن ذلك يعدّ الممثّل "**فضاء لتمفصل البنية السّردية والخطابية، يمكن أن يؤدي إلى جانب الأدوار العاملية المجردة دورًا تيماتيكيًا يكون متميّزا بارتباطه بالبنية السّوسيوثقافية، حيث**

1- عبد المجيد نوسي: التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)، ص:165.

2- المرجع نفسه، ص:155

3- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنصوص ، ص:17.

يحيل إلى الأدوار والإنجازات المهنية أو العائلية أو النّفسيّة."[1]، تلك الّتي تتناثر على مساحة السّرد لتعطي بحضورها تشكّلات تيماتيكيّة تهيكل الأدوار العامليّة.

وهكذا ف"**إنّ ازدواجية الممثّل القائمة على إنجازه لأدوار عاملية وأدوار تيماتيكية، يجعل بنية الممثلين تتخذ موقعا خاصا على مستوى الهيكل العام للنظرية السّيميوطيقية، فرغم أن الممثل يشكّل وحدة وصورة تنتمي إلى الخطاب، فإنّه يمكن أن يتموقع بين الأدوار العاملية بصفتها التّمثيل التّركيبي السّطحي لتحوّلات التّركيب العميق وبين الأدوار التّماتيكيّة التّي تتأطّر على مستوى أعمق."**[2] فالممثّل نقطة تقاطع بين السردي والخطابي باعتبارنا هنا نراه يضطلع بأدوار عاملية أحيانا وأخرى تيماتيكيّة في أحيايين أخرى.

وعليه ينبجس الممّثل من بوتقتين الأولى ما يسمى بالأدوار العاملية والثّانية ما يطلق عليها بالأدوار التّيماتيكية تلك التي ترتسم معالمها على المستوى العميق.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن بنية الممثلين والّتي تعدّ موقعا يظهر تمفصل العامل والممثل والدّور العاملي والدّور التّيماتيكي، فإنّها بنية تتجلّى على المستوى السطحي في علاقتها بالأدوار التّيماتيكية، والشّكل الآتي يوضّح لنا تلك العناصر:[3]

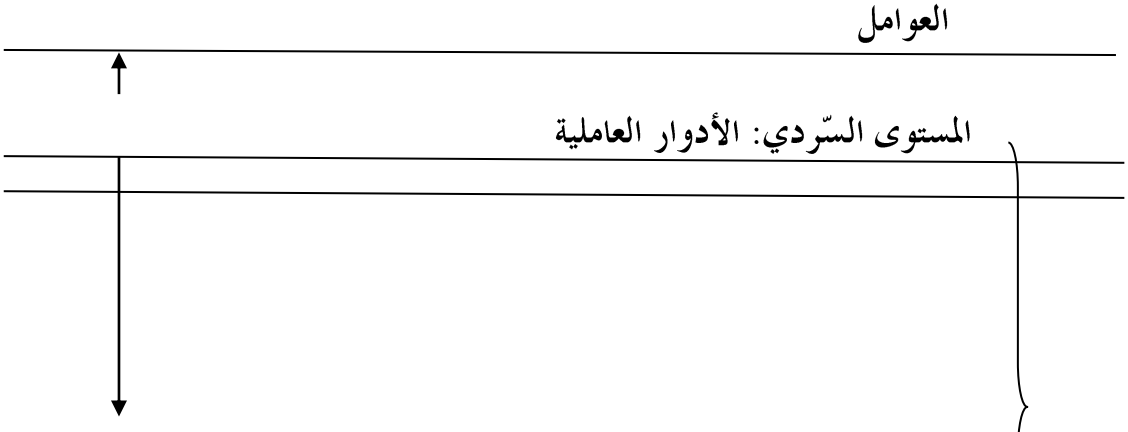

1- عبد المجيد نوسي: التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي(البنيات الخطابية، التّركيب، الدّلالة)،ص:162.
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- المرجع نفسه، ص: 163/162.

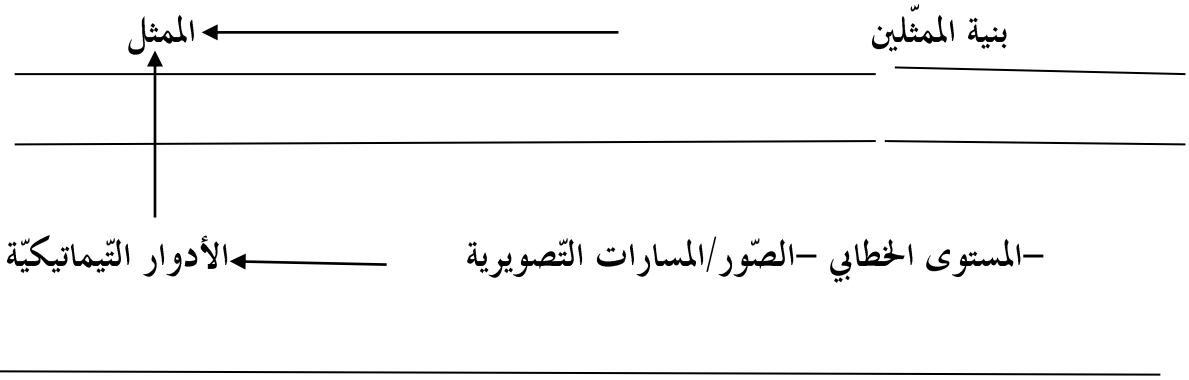

4- النّموذج العاملي:

يُعَدُّ النّموذج العاملي نسقا إجرائيا يتمّيز بصفة الثّبات، خاضع لجملة من الشّروط والضّوابط، تسيّرها طبيعة العلاقة الكائنة بين العوامل والفواعل ووظائفهما داخل كيان العمل السّردي، وهكذا فمعرفة الانتظامات الجوّانية للعمل السّردي إنّما تدلّ على وجود نموذج عاملي مضبوط ومحدّد يمكننا من خلاله تنضيد أطر ترسيمات تمثل ما يتواشج من علائق فاعلية ووظائفية داخل النص السردي.

فضلا عن ذلك هو "**أداة لمعاجة النّصوص السّردية، أي بدلا من الاعتماد على الوظائف في تحليل النّصوص السّردية التّي تعطي أهمية أكثر للعوامل وعلى ما يطرأ على أدوارها من تحوّلات، وإخضاع النّصوص الأدبية إلى ما يسمّى بالنّسق المفتوح، أي عدم إخضاع النّصوص لنسق واحد وإنّما لعدّة أنساق، والذّي لم تجد الدّلالة متنفّسا إلا في رحابه...**"[1]؛ حيث يتّسع حيّز المعالجة النصية إلى آفاق منداحة يتلقف فيها الناقد ما أمكن من مغاليق النص عبر غورها التّحليلي في طبقات النص.

وممّا تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو أنّ "**النّموذج العاملي -إحدى المقولات الهامّة داخل النّموذج التّحليلي الذّي يقدّمه كريماص-لا يمكن فصله عن النّموذج التّكويني باعتبار أنّهما يحتلاّن نفس الموقع داخل المستوى المحايث، أي الشّكل التّنظيمي الأولي لعالم قابل**

1- عبد اللّه توام: إجراءات المقاربة السّيميائيّة للخطاب السّردي، مجلة التّعليميّة، المجلّد الرّابع، العدد11 جوان 2017، ص: 335/334.

للتحقق."[1]، وهذا بطبيعة الحال ما يُسهّل تبلور المناخ الرّؤيوي الّذي تتحقّق فيه توقيعات الوعي الفعلي الّذي يجسّ نبض عدة أنساق مترامية الأطراف داخل النص الإبدعي.

وممّا لا يدعو مجالا للشّك هو أنّ "**النّموذج العاملي مجموعة من المفاهيم المتضافرة فيما بينها، تلخّص التّصوّر العاملي باعتباره إجراء سيميائيا في ميدان السّيميائية السّرديّة؛ حيث ينطلق المحلل السّيميائي في دراسته من المستوى السّردي للوصول إلى البعد المفهومي المنطقي للبنية السّردية**."[2]في محاولة لبناء نموذج تحليلي متكامل تتحقّق فيه الفرضيّات المسبقة والمبنيّة على توقيعات حاصلة في النّص الأدبي.

إضافة إلى ما سبق ذكره يعدّ النّموذج العاملي بمثابة "**نتاج إسقاط العمليات على شكل فعل وفاعل: وظيفة وعامل.**"[3]؛ إذ تنسدل مختلف الأنساق ضمن تراتبية نصية معقدة تمثل الوجه التّمفصلي للعمليات السردية الواقعة ضمن النطاق النصي الحاصل.

وإذا كان النّموذج العاملي لغريماس هو محصّلة عمليّة قلب العلاقات الضّابطة للنموذج التّأسيسي، فإنّ جذوره، من بلورته توجد في أعمال سابقة-كما أشرنا إليه في الفصل الأوّل-، وهكذا نضّد غريماس أطر مشروعه من خلال انكفائه خلف دراسات كل من "**بروب**" و"**سوريو**" و"**تنيير**"، كما أسبغه غلالة سميكة متمثّلة في اعتماد إستراتيجيات الدّرس الألسّني، وكذا المتخيّل الجماعي فضلا عن الدّينامية الاجتماعيّة الّتي تتيح فهم مركب وفهرسة مربض الكتابة الفنية عبر عوالمها المعقّدة والمتماهيّة في عدّة أنساق ذاتيّة وحياتيّة وكونية.

وهكذا فقد اندلقت التجربة العاملية من"**أصول نظرية متعددة تمثّلت في التّركيب النّحوي وفي الدّرس الألسّني وفي دراسات الحكاية الشّعبية والدّراسات المسرحية والمتخيّل الجماعي**

1- سعيد بنكراد: سيميولوجيا الشّخصيات السّردية، ص:72.

2- آسيا جريوي: النّموذج العاملي واستنطاق البنية السّردية في رواية" سيدة المقام" لواسيني الأعرج (دراسة بين التّركيبة السّردية والخطابيّة)، ص:14.

3- سعيد بنكراد: سيميولوجيا الشّخصيات السّردية ،ص:76.

والدّينامية الاجتماعية وغيرها..."[1]؛ إذ كانت دراسة كل من"تنيير"و"بروب"و"سوريو"...وغيرهم بمثابة الحجر الأساس الذّي استند عليه غريماس في حبك نموذجه العاملي منضّدا لمشروعه السّردي الذي اندلقت منه الشواكل النقدية المؤسّسة على وعي معرفي استلهم حضوره الابستمولوجي من عدّة روافد تركيبية وألسنيّة...وغيرها.

والملاحظ أنّ غريماس وفّق في في اختزال العملية في ستة أدوار لهذه العوامل، بعد أن وضع الحدود والمعالم بين العامل**l'actant** والممثل**l'acteur** ، ليصير إمكانية أن يؤدّي عامل واحد أكثر من دور، في مقابل ذلك يستطيع العديد من الأشخاص القيام بدور واحد وهنا يمكننا أن نلفي ما يسمى بالضيق والاتّساع العاملي الّذي يبني الاستراتيجيات الخطابية للتوقيعات الخصبة داخل النّسيج النصي.

وقد تجاوز غريماس في خضمّ تقدّماته البحثيّة النّماذج السّابقة مختزلا العمليّة في ستّة علاقات والّتي تتشارك في ثلاثة محاور كبرى وهي:

1.علاقة(الرغبة) الذات ⇔ الموضوع

2.علاقة (التواصل) المرسل⇔ المرسل إليه (المستفيد)

2-علاقة (الصّراع) المساعد ≠ المعارض

ويمكن أن نورد الترسيمة التي طرحها غريماس في الشّكل الآتي: [2]

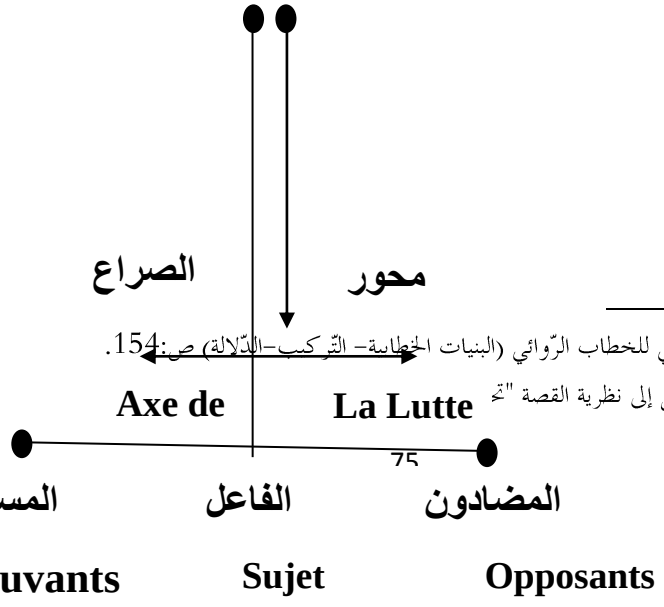

1- عبد المجيد نوسي: التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي (البنيات الخطابية- التّركيب-الدّلالة) ص:154.

2- سمير المرزوقي وجميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة "تـ

وكما نلاحظ فإن ترسيمة غريماس تنبني عل تجاذبية الأدوار.

وعن النّموذج العاملي يقول سعيد بنكراد:" **إن النّموذج العاملي هو أساس تشكّل النّص كأحداث، أي كصيغة تصويرية. ذلك أن التّعرف على الانتظامات الدّاخلية للحكاية، يدلنا على وجود"تكرار" في الأحداث، أي وجود خطاطة تتشكل من مجموعة من العناصر الدّائمة الثّبات."**[1]، فهو أداة مهّمة لدراسة النّصوص السّردية وفق تطبيق آلياته وإجراءاته التي يقوم عليها.

والنّموذج بسيط لكنه ذو فعالية كبيرة من حيث فهم المعنى من خلال معرفتنا لأدوار الشّخصيات وعلاقتها ببعضها البعض. فهو ينبني على مجموعة من العلاقات بين الشّخصيات التّي تمنح للقارئ مجموعة من الدّلالات الكامنة في النّص السّردي.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى النموذج العاملي أنه "**من النّاحية الاستبداليّة يمثّل أمامنا باعتباره نسقا، أي سلسلة من العلاقات المنظّمة داخل نموذج مثالي. وتعني النّسقية في هذا المجال النّظر إلى الهيكل العام المنظم للسردية وفق سلسلة من العلاقات. وكل علاقة قابلة لتوليد توتر خاص داخل النّص السّردي...**"[2]

في حين يعدّ "**من النّاحية التّوزيعية، ...أمامنا على شكل إجراء، أي تحويل العلاقات المشكلة للمحور الاستبدالي إلى عمليات . وبعبارة أخرى نقوم بتفجير النّموذج العاملي في**

1- سعيد بنكراد: السّيميائيات السّردية-مدخل نظري-،ص: 71 .

2- سعيد بنكراد: سيميولوجيا الشّخصيات السّردية، ص:92.

سلسلة من المسارات لعل أهمها هو التّرسيمة السّردية."[1]، فالنموذج العاملي هو نسق قار وفي الوقت نفسه هو عبارة عن إجراء من خلاله ترتسم معالم الترسيمة السرديّة.

أ-النموذج العاملي من حيث هو نسق:

يتشكّل النموذج العاملي من ست محاور وهي:

1-محور الرّغبة (ذات/موضوع) Sujet/Objet:

تُعدُ ثنائية [الذات/الموضوع] محورا أساسيا أو لنقل العمود الفقري للنموذج العاملي وهي بمثابة العنصر الحيوي؛ لأنها تمثّل مصدر الفعل والنهاية له فهي"...**مصدر له لأنها تعد نقطة الإرسال الأولى لمحفل يتوق إلى إلغاء حالة ما أو إثباتها أوخلق حالة جديدة، وهي نهاية من حيث أن الحدّ الثّاني داخل هذه الفئة يعدّ الحالة التّي ستنتهي إليها الحكاية، أويستقرّ عليها الفعل الصّادر عن نقطة التّوتر الأولى."**[2]، وبهذا يكون للفعل تطويق للحالات الّتي يكون منها انبثاق طفرات الإسقاط والتّغير أو التماهي أو طرح حيلولة جديدة تتوهّج فعليا ضمن منطلقات بؤرة التوتر الأولى.

وتشج هذه العلاقة بين من يرغب -ويكمن في الذّات- وما هو مرغوب فيه —وهو الموضوع- وعليه ف:"**علاقة الرّغبة متمحورة حول موضوع القيمة الذّي يسعى الفاعل إلى امتلاكه، وهي علاقة تواصل تدور أساسا بين المرسل والمرسل إليه في تتبعهما لخطوات الفاعل، الموظف للحصول على موضوع القيمة"**[3]، وفي هذا السّياق يقول جوزيف كورتيس:"**العلاقة ذات/موضوع هي علاقة ربط، تسمح" باعتبار هذه الذّات وهذا الموضوع كتواجد سيميائي**

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- سعيد بنكراد: مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص:48 .

3- نادية بوشفرة: معالم سيميائية في مضمون الخطاب السّردي، ص:86.

لأحدهما من أجل الآخر."[1] وهنا يتجلى تواشج ترسيمات الذات مع توقيعات الموضوع، إذ يمتد صرح العلائقية إلى حد قد تتماهى فيه الذات في الموضوع أو العكس وكأنّهما وجهان لعملة واحدة.

ومتى أسقط الموضوع المرغوب فيه فإنه "**لا مجال للحديث عن ذات أورغبة...**"[2]كما **"يعد عامل الذّات من العوامل المهمّة في بنية الفواعل؛ وذلك لأنّه يجسد أدوارا حركية تنبع من أفعال مؤثرة تؤدي إلى غايات وأهداف بعيدة المدى."**[3] قد تمتدّ في حيلولتها بين الفينة والأخرى في أطوار لاحقة يكون لها فيها حضور على خطّ المسار السّردي؛ لأنّ الذّات في رحلتها إلى الغرض وما تودّ الظفر به تطلب الموضوع وذلك متى كان الفعل السردي متقولبا في الرّغبة باعتبارها محفزا فريدا يؤدي إلى التغيرات الحاصلة.

وتوجد علاقة الرّغبة في دواليب الملفوظات السردية ، التي تنبث منها ملفوظات الحالة والتي يكون منها ذات الحالة (Sujet détat)، وهاته الذات تحتمل شيئين إمّا أن تكون في حالة اتّصال أو انفصال عن موضوعها المرغوب فيه، فإذا كانت في حالة انفصال فإنها تسعى إلى الاتّصال وإن كانت في حالة اتّصال فتصبو إلى الانفصال عن الموضوع ، وينبجس من بوتقة ملفوظات الحالة ملفوظات الإنجاز (énoncés de faire)، ويصدر منها ما يسمى بالإنجاز المحوّل، هذا الأخير قد يسير نحو الاتّصال أو الانفصال؛ وذلك حسب رغبة ذات الحالة (Sujet d état).

وكما يطلق على ملفوظ الإنجاز ب(ملفوظ الفعل)، وينتج لنا عن هذا الإنجاز ذات جديدة تسمى ب(ذات الإنجاز)، وهي قد تكون ذاتها المتمثلة في ذات الحالة، وقد تكون غيرها.

وعليه فإن التغير الذي ترسمه الذات بما يكون من اتصال أو انفصال عن الموضوع يشكّل الإنجاز المحول والذي يمكن أن يتقفى من خلال جس تمفصل ملفوظات التحول التي يندلق منها اتجاه

1- جوزيف كورتيس: مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابية، تر: جمال حضري، ص: 105 .

2- سعيد بنكراد: السّيميائيات السّردية-مدخل نظري-،ص: 77 .

3 - ناصر شاكر الأسدي: التّحليل السّيميائي للخطاب-قراءة في حكايات كليلة ودمنة لابن المقفع-دار السّياب للطباعة والنّشر، لندن، الطبعة الأولى، 2009، ص:37.

التحول سواء أكان نحو الاتّصال أم الانفصال ومنه "**لا تخلو العلاقة الحالية بين العاملين من أحد الاحتمالين فإما تقوم على الاتصال ويرمز لهذه العلاقة بالعلامة التّالية:∧وإما على الانفصال ويرمز إليها على النّحوالتّالي : ∨**

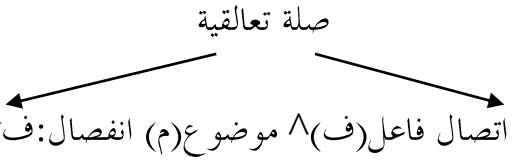

[1]

والعلاقة بين الذّات والموضوع هنا استتباعية فوجود الأوّل يتطلّب وجود الثّاني فـــــــــ "**حضور الأول–الفاعل– يفترض حضور الثّاني –الموضوع– بل ويستوجبه** "[2]، كما أنّه "**بدون غاية ما–محتملة أومعينة –لا يمكن الحديث عن ذات فاعلة، كما أنه خارج عنصر الرّغبة كراغب ومرغوب فيه لا يمكن للموضوع أن يكون كعنصر داخل علاقة**"[3]

إذاً نستشف مما تقدم أنه لا تنبني أي علاقة بين الذّات والموضوع إلا إذا كانت ثمة غاية محتملة أومعينة، ووجود الذّات الفاعلة بوجود الموضوع، وهذا الأخير وجوده متعلق بوجود علاقة تجمع بين راغب ومرغوب؛ حيث يمكن أن ترتسم عدة مسارات سردية من خلالها يكون للفعل تنضيد لتمثّلات الموضوع بما ينبجس من الفاعليّة القائمة بين الرّاغب والمرغوب فيه.

بيد أنّه "**في هذه الزّاوية بالذّات، نميّز مدى تجاوب الفاعل في حركيّته الدّؤوبة وتفاعله مع الأوضاع الصّعبة التّي من شأنها أن تجعل من موضوع القيمة عاملا سلبيّا، لا يمكن الحصول عليه بسهولة.**"[4] حيث يحوّل العامل السلبي في ظل غياب التّجاوب الفعلي دون تحقيق المرجو.

وأكد محمد النّاصر العجيمي على أنه:" **ليس من الضّروري أن يكون الفاعل إنسانيا كما لا يتحتم أن يكون الموضوع شيئا جامدا.**"[1]وهذا ما يطرح مسألة التماهي الفريد، إذ يمكن أن

1- محمد النّاصر العجيمي: في الخطاب السّردي-نظرية غريماس-، ص:41 .
2- نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائية السّردية، ص:50.
3- سعيد بنكراد: مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص:49 .
4- سعيد بنكراد: مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص:49

تصبح فيه المدينة ذاتا فاعلة تستشعر ما حولها وتبدي تجاوبا فعليا إلى حد بعيد فيكون لها من الحركة والفعل ما تمتزج به في قدرة الذات وكنهها. وما قلناه عن الذّات ينطبق على الموضوع.

وهكذا تسطبغ الذّات فتصير متمثلة في الموضوع والعكس صحيح إذ قد يسطبغ الموضوع فيصير الذات بعوالمها المتنوعة.

فضلا عن ذلك نجد أنّ الذّات تمر بثلاث مراحل عند إنجازها للبرنامج السردي وهي:

1- ذات افتراضية .

2- ذات محيّنة.

3- ذات محقّقة.

تمثّل ثلاث حالات سرديّة "**الأولى منها سابقة على اكتساب الكفاءة، والثّانيّة تنتج عن هذا الاكتساب، والأخيرة تعيّن الذّات وقد قامت بالعمل الذّي يصلها بموضوع القيمة ويحقّق بذلك مشروعها.**"[2]

ونخلص في نهاية المطاف إلى نتيجة مؤدّاها أن الحديث عن ثنائيتي (ذات/موضوع) لوحدهما يُعَدُّ شيئا عقيما لا طائل منه بسبب العلاقة التّكاملية التّي تربط بينهما. لذلك يجدر بنا التّعرف على المحور الذّي يربط بين ثنائيتي المرسل والمرسل إليه اللّذين يشكلان علاقة تدعى بالإبلاغ المكوّنة للنموذج العاملي.

2-محور الإبلاغ (المرسل/المرسل إليه) Destinateur/Destinataire:

مما هو فصيح الدّلالة أنه:"**يوحي حضور هاتين الوحدتين العامليتين في الخطاب السّردي بوجود عالم مؤسس على منظومة من القيم يحكم على مقتضاها على الأفعال سلبا وإيجابا فتحل**

1- محمد النّاصر العجيمي: في الخطاب السّردي-نظرية غريماس-، ص: 41/40.

2 - جوزيف كورتيس: مدخل إلى السّيميائية والخطابيّة، تر: جمال حضري، ص:38.

في مرتبة المحرم أو المباح أو الواجب..."[1]، حيث تتمثل العلاقة القيمية من منطلق التوقيع الإبلاغي أو التّواصلي للمرسل والمرسل إليه.

وتعدّ المزدوجة الثّانية للعوامل التّي تدخل في تشكيلة النّموذج العاملي تتكوّن من ثّنائية [مرسل: مرسل إليه.]، و"**ما هما إلا هيئات عاملية متميزة بعلاقة التّضمن الأحادية الجانب بين المرسل–عنصر مفترض– والمرسل إليه– عنصر مفترض– ترد هذه العلاقة التّبليغ بينهما لا تماثلا، وبالتّالي فإن النّظام الاستبدالي للمرسل إليه بالنّسبة للمرسل يكون تدرجيا وأكثر خصوصية."**[2]، فالعلاقة الرّابطة بين المرسل والمرسل إليه تدعى بعلاقة التّواصل أو الإبلاغ، الّتي يكون من خلالها المرسل المحرّك والدّافع للمرسل إليه –الّذي يشغل حيّز الذات في الوقت نفسه– بغية إنجاز موضوع قيمة ما.

وهكذا تشكّل ثنائية المرسل/المرسل إليه محور الإبلاغ أو تسمى علاقة تواصل– Relation -De Communication، وهي الزّوج الثّاني في النّموذج العاملي، ولا تتحقّق علاقة التّواصل إلا بوجود طرفين وهما: المرسل والمرسل إليه؛ إذ أن العلاقة بينهما "**تنأى إلى قيادة المرسل للمرسل إليه وتبوّئه سلطة الزّعامة، وتمثيله القدرة على إصدار الأوامر والأحكام**"[3] مما يبقي المرسل إليه ضمن بوتقة الاستقبال أكثر منه ضمن بوتقة التحكم الفعلي والتنفيذ.

وعليه فـــ:"**الأمر يتعلق بمحفلين يقعان على المستوى الذّهني للفعل، ولا يتحدّدان إلاّ من خلال موقعهما من حالتّي البدء والنّهاية كجزأين سرديّين مؤطّرين لمجموع التّحولات المسجّلة داخل النّص السّردي**" [4]، وهذا يدلّ على العلاقة التّي تشج المرسل بالمرسل إليه؛ إذ يقوم الأوّل بإصدار الحكم أمّا الثّاني؛ أي المرسل إليه ينفّذه من جانب آخر.

1 – عبد النّاصر العجيمي: في الخطاب السّردي–نظرية غريماس–، ص: 42.

2– رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنصوص، ص:56 .

3– نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائية السّردية، ص:51 .

4– سعيد بنكراد: السّيميائيات السّردية–مدخل نظري–،ص:81 .

كما أنه "**على الرّغم من بعض اللّبس الذّي يكتنف هذا التّقابل بين المرسل والمرسل إليه عند سوريو أو عند بروب، فإن علاقة التّواصل** la relation de communication **القائمة بينهما تجعل من الموضوع في التّصنيفين موضوع رغبة وموضوع تواصل في الآن ذاته**"[1] نظرا لما يتأطّر بينهما من تداخل تفرضه محددات التواصل ضمن حيز الرغبة والتواصل.

و"**يعد المرسل/المرسل إليه من العوامل الثّابتة والدّائمة في السّرد، وذلك بغض النّظر عن الأدوار التّي يمكن أن يقوموا بها، لا يبلغ المرسل للمرسل إليه اقتدراه الكيفي وحسب، بل يبلغ له أيضا مجموعة من القيم التّي تنتقل وتتحول من قطب إلى آخر.**"[2]

إذاً ترتسم على خلفيات الترسيم العاملي للمرسل والمرسل إليه سواء باعتبار الثبات أو الدّيمومة مجموعة من القيّم تتضارب في حضورها بين القطبين؛ أي: المرسل والمرسل إليه.

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى الدّورين الذين يضطلع بهما المرسل وهما: التّحريك في البداية والتّقويم في النّهاية ممّا يعطيه صفة التحكم ويكسب في نفس الوقت المرسل إليه صفة الخضوع والرضوخ ضمن تأثيرات التبعية ووجوب الفعل كضمان لامتداد توقيع القيم.

وقلنا سالفا بأنّ العلاقة القائمة بين الذّات والموضوع استتباعية ، فإنها ليست كذلك بالنّسبة لثنائيتي المرسل والمرسل إليه؛ حيث يُعَدُّ الأول الباعث على الفعل أما الثّاني فهو المستفيد منه وهذا ما أشارت إليه نادية بوشفرة في قولها:"**إذا كانت علاقة الفاعل بالموضوع هي علاقة تضمين متبادلة، قائمة على المساواة والاستقلالية، فإن علاقة المرسل بالمرسل إليه، ليست كذلك، بل هي تنأى إلى قيادة المرسل للمرسل إليه وتبوئه سلطة الزّعامة، وتمثيله القدرة على إصدار الأوامر والأحكام.**"[3]

1- سليمة لوكام: تلقي السّرديات في النّقد المغاربي، ص:71 .

2- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنصوص، ص:57/56.

3- نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائية السّردية، ص:51.

وعليه فإن العلاقة القائمة بين المرسل والمرسل إليه علاقة تضارب، إذ ينعدم فيها التّوازن بسبب ما ينسدل من سلطة الزّعامة الّتي يتبوأ بها المرسل القيادة.

3-علاقة الصّراع :(المساعد/المعارض) Adjuvant/Opposant

يعدّ كل من المساعد والمعارض الثنائيّة الثّالثة المشكّلة للنموذج العاملي؛ حيث تقوم علاقة الصّراع على **"تقابل هذا الثّنائي على وجود مجموعتين من الوظائف، تقوم المجموعة الأولى على تقديم المساعدة بالعمل باتجاه علاقة الرّغبة، أو بتسهيل أمر التّواصل فيما تعمل المجموعة الثّانية على خلق العوائق للحيلولة دون تحقيق الرّغبة أو حصول التّواصل، ولذلك تنشأ بينهما علاقة تعارض** opposition"[1]

إذاً **"تنتظم وحدتا المساعد والمعارض، في سياق العلاقة، بين الفاعل وموضوع القيمة، تتحدد وظيفة المساعد، في تقديم العون للفاعل، بغية إنجاح البرنامج، فيما يقوم المعارض، حائلا دون تحقيق الفاعل موضوعه، وعائقا في طريقه."**[2]

وعليه **"يعتبر المساعد قوة مؤيدة للفاعل، إذ يتدخّل لتقديم يد العون له، بغية تحقيق مشروعه العملي وإصابة هدفه المنشود، بتسهيل السّبل لبلوغه. فيما يقوم المعارض بقوة مناوئة له، تعترض طريقه، فتخلق له جملة من العوائق المعرقلة لاتّصاله بموضوع القيمة المرغوب فيه."**[3]، وعليه تكمن مهمة المساعد مايصطلح عليه-Adjuvant- في المساهمة مع الذّات في الظّفر بموضوع القيمة، أما المعيق ويطلق عليه بـــ :L'opposant فهو بمثابة حجرة في طريق الذّات التّي تعطلها عن حصولها لموضوع القيمة، وهذا ما أكده **محمد النّاصر العجيمي** في سياق حديثه عن ثنائية المساعد والمعارض وعلاقتهما بالذّات الفاعلة قائلا:" **تتمحور وظيفة كل منهما حول تقديم العون لها وتذليل**

1- سليمة لوكام: تلقي السّرديات في النّقد المغاربي، ص:72.

2- أحمد طالب: المنهج السّيميائي-من النّظرية إلى التّطبيق- ،ص:24.

3- نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائية السّردية، ص: 52/51.

الصّعوبات، أوحول خلق العوائق للحيلولة دون وصولها إلى الهدف"[1]، وعليه فالمبتغى للمساعد هو تقديم العون للفاعل بغية حصوله على موضوع القيمة، في حين يمثل المعارض العنصر الضّديد له فيحاول خلق العراقيل والمشاكل وتنضيد الحواجز رغبة منه في عدم حصول الذّات على رغبتها وحيلولة التواصل، وعليه تفضي العلاقة بينهما إمّا منع حصول علاقتي الرّغبة والإبلاغ وإمّا العمل على تجسيدهما.

ومزدوجة المساعد والمعارض تتعدى في كونها إنسان بل قد تكون حيوانا أو شيئا أو ظروفا مناخية أو غيرها ف "**حتى في الحياة العادية لكل يوم، فداخل المجتمع هناك صورة للمعيق وأخرى للمساعد بدء من حالة الطّقس وانتهاء بالقوى الاجتماعية وضروب الصّراع بين مكوناتها.**"[2]وعليه فالقوى المساعدة والمعارضة تتجاوز الفعل الإنساني إلى الفعل الطبيعي المادي من خلال ما يكون معيقا في الوصول إلى الهدف.

وتحدّد هذه الأزواج الثّلاث المشكّلة للنّموذج العاملي معالمه الواضحة والشكّل الآتي يوضحّ ذلك:[3]

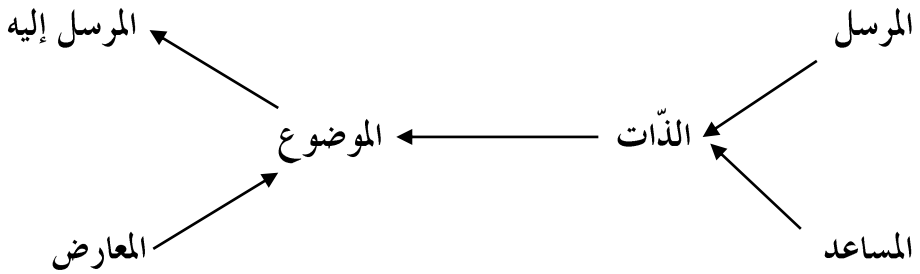

1- محمد النّاصر العجيمي: في الخطاب السّردي -نظرية غريماس-،ص:46 .

2- سعيد بنكراد: السّيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، سوريا، الطبعة الثّالثة، 2012، ص:70.

[3] -J. Courtés, Introduction à la sémiotique narrative et discurcive, Hachette, université, 1976,p62

بيد أن الباحثة آن أوبرسفالد رأت ثمة خلل في ترسيمة غريماس إلى الحد الذّي جعلها تقترح ترسيمة بديلة عن الأولى، وهي مشكلة كالآتي[1]:

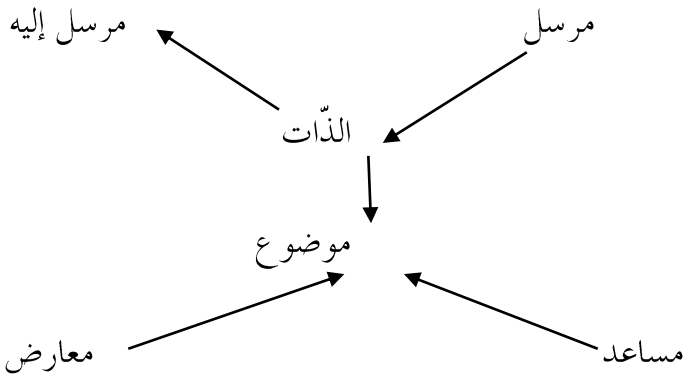

في حين " **أنّ إشكالية ستبرز لاحقا بعد صدور كتاب** Lire le théâtre **للمسرحية آن أوبرسفالدّ** Anne ubersfeld **لقد أعادت النّظر في ترسيمة "غريماس" العامليّة من حيث مقروئيتها، إذ لم تكن التّرسيمة مقنعة من منظورها بفعل خلل في موقعة العوامل في خاناتها الحقيقيّة.**"[2]؛ وذلك نظرا لأنّه عند قراءتنا للترسيمة نجد أنّ المرسل يدفع الذّات للظّفر بموضوع لفائدة المرسل إليه، الأمر الذّي يتوجّب أن يوجّه سهم الرّغبة من من المرسل ثمّ إلى الذّات وصولا به إلى الموضوع؛ إذ يضحى من الصّعوبة قراءة الشّكل؛ وذلك أنّه مستحيل أن يطلب المرسل شيئا من الموضوع.

لذلك طرحت البديل الذّي يمكن الاستعاضة به عن التّرسيمة الأولى وهو كالآتي:[3]

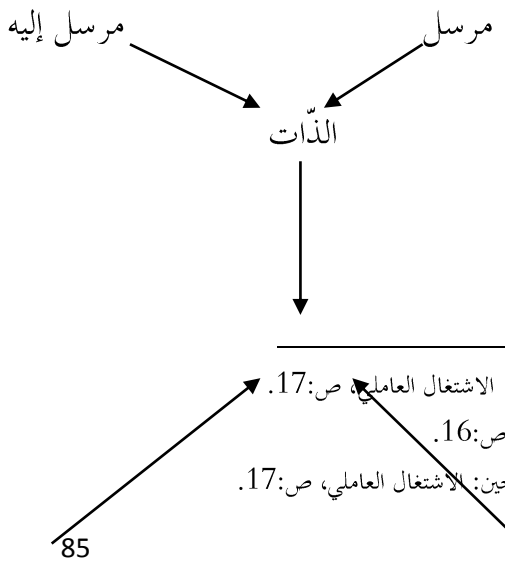

1السّعيد بوطاجين: الاشتغال العاملي، ص:17.
2 -المرجع نفسه، ص:16.
3 - السعيد بوطاجين: الاشتغال العاملي، ص:17.

موضوع

مساند معارض

ب-النموذج العاملي من حيث هو إجراء:

قمنا في العنصر السّابق عند وقوفنا على أعقاب النّموذج العاملي بتقفّي وترصّد الثّنائيات المتواشجة فيما بينهما والمشكّلة له من حيث هو نظام، لذلك بات لزاما علينا الوقوف عند هذا النّموذج في حركيته وهكذا سنحاول الوقوف عند معماره" **من زاويّة توزيعيّة، أي من زاوية السّير المشخّص لمجموع العناصر المشكّلة للنموذج العاملي. إنّنا بهذه الخطوة، سننتقل من مستوى العوامل كخطاطة قانونيّة تستند إلى مجموعة من القواعد المجردة، إلى ما يشكّل وجودا مشخّصا (أي التّحقق الحدثي) لهذه العلاقات.**"[1]وهنا سيكون حديثنا عن عناصر الترسيمة السردية وسيرورتها داخل النّص السردي.

1-التّحليل السّردي بين الحالات والتّحويلات:

إذا كان النّظام العاملي في انتظامه وثباته يقوم على ست عوامل متعالقة فيما بينهما فإنه كذلك يحمل جانبا حركيا؛ "**ذلك أنّ السّرد يقوم في أساسه على التّحول من طور إلى طور والانتقال من حال إلى حال.**"[2]؛ إذ تبرز لنا دينامية السرد عبر تلاحقاته العاملية التي تؤثّث أطواره المختلفة بما يكون من تداخل وتنافر.

1- سعيد بنكراد: السّيميائيات السّردية، مدخل نظري، ص:87.

2- محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي-نظرية غريماس-، ص:47.

ومنه يشيّد التّحليل السّردي صرحه على ضرورة "...**التّمييز بين الحالات والتّحويلات، بمعنى التّمييز بين الحالة للدّلالة على الكينونة (Etre) أوالملك (Avoir) وبين الفعل (Faire) المنجز.**"[1] مما يسهل تقفي المنجزات السّردية داخل المعمار السّردي الكلي.

وغني عن البيان هو أنّ العلاقة المتساوقة بين الذّات والموضوع تلازمية في إطار استدعاء أحدهما للآخر، علاقة متأرجحة بين الاتصال والانفصال وعليه "...**إذا طالعنا ملفوظ يتضمن تحولا في علاقة العاملين من الاتصال إلى الانفصال أو العكس، سميناه ملفوظا سرديا أساسيا ...**"[2] " وتقرأ هكذا:

الفاعل(ف) في علاقة وصلة ∩ بموضوع القيمة (م).كما تحتمل قابلية الفصل بينهما، فيعطينا ملفوظ حالة منفصل d'état disjonctif Enoncé **ويرمز إليه:**

ف ∩م

وتقرأ: الفاعل (ف) في علاقة فصلة (∪) بموضوع القيمة (م)."[3]

بيد أنّه"**في المقابل للحالة، نجد التّحويل الذّي يقلب مجرى الأحداث في النّص السّردي، بانتقال حالة أولى إلى حالة ثانيّة مغايرة، وفي هذا السّياق نتحدّث عن ملفوظ الفعل** Enoncé de faire **المنجز لعملية التّحويل، بعبور الحالة من شكل إلى آخر، وهما:**

1-شكل تحويل متّصل Transformation conjonctive**:ينتقل من حالة انفصال إلى حالة اتّصال الفاعل بموضوع القيمة، ويرمز إليه:**

(ف ∪ م) ⟵ (ف ∩ م)

1 - نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائية السّردية-نظرية غريماس-، ص:52.

2- محمد النّاصر العجيمي: في الخطاب السّردي-نظرية غريماس-، ص:47.

3-نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائية السّردية، ص:52.

2-شكل تحويل منفصل Transformation disjonctive: **ينتقل من حالة اتّصال إلى حالة انفصال الفاعل في صلته بالموضوع، ويرمز إليه:**

(ف ∩م) ⟵ (ف ∪ م)"[1]

واستخلص غريماس التّحويلات في الشكل الآتي:[2]

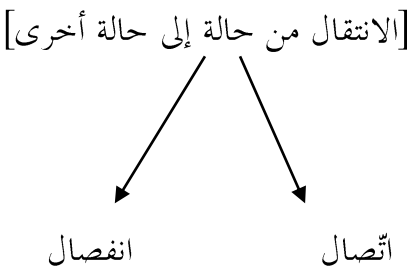

ف، ت: [ف ∪ م] [ف ∩ م] ف، ت: [ف ∩ م] [ف ∪ م]

وهكذا إذا كانت الوحدات السّابقة مندغمة داخل بوتقة النّموذج العاملي على أساس الاستقرار والثّبات، الأمر ليس كذلك بالنّسبة للتحليل السّردي؛ إذ يقوم هذا الأخير على أساس التّحول والانتقال من طور إلى طور ومن حال إلى حال، بعبارة أخرى وهي التّمييز والفصل بين الحالات والتّحّويلات؛ وهكذا فملفوظات الحالة تعني الكينونة والملكيّة أمّا ملفوظات الفعل فتدلّ على الفعل المنجز، ومنه فالتّحويل يعنى به الانتقال من حالة إلى حالة أخرى لا تماثلها عن طريق فعل تحويلي faire transformateur أو ملفوظ الفعل énoncé de faire يتمّ إنجازه من قبل فاعل الفعل sujet de faire أو الفاعل الإجرائي Sujet opérateur.

2-البرنامج السّردي: Programme narrative

1 - نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائية السّردية، ص:52-53.

2 -Greimas et courtés, Dictionnaire raisonné, op, cit, t , i,1979,p297

إنّ ما يطلق عليه بالبرنامج السّردي هو تلك السلسلة من الحالات والتّحوّلات المتواليّة إثر العلاقة بين الذّات الفاعلة والموضوع وتحوّلها. فالتّحليل السّردي يرمي إلى وصف تنظيم هذا البرنامج السّردي المستند على تسلسل الحالات والتّحولات.

وتأسيسا على ما سبق "**يعتبر البرنامج السّردي من بين المصطلحات في السّيميائيات السّردية ويقع في المركبة السّردية، ولكي تعمل مراحل التّرسيمة السّردية وتشتغل لابد من وجود إطار يحدد للفعل منطقا وغاية وإنّ هذا الإطار يطلق عليه"غريماس" "البرنامج السّردي"، والبرنامج السّردي صيغة تركيبية منظمة للفعل الإنساني بشكل صريح أو ضمني**"[1]

إذاً فالبرنامج السّردي هو توالي الحالات والتّحولات المتسلسلة على أساس العلاقة بين الفاعل والموضوع وتحوّلها، فهو التّجلّي للمقطوعة السّردية في حكاية ما، بمعنى وجود متواليّة من الحالات والتّحوّلات التّي تندغم في العلاقة بين الفاعل وموضوع قيمته.

كما "**يفترض كل برنامج سردي وجود برنامج نقيض له يتجه مساره في الاتجاه المضاد له، وذلك من منظور تحولات مضادة، ذلك ما يصف طابع الصّراع والتّوتر في المحكي**"[2]، إلّا أنّ البرنامج السردي النقيض قد يتكّلل بالنجاح وقد يكون مآله الفشل.

وتبرز معالم البرنامج السّردي "**من خلال تعاقد بدئي يحدّد نمط تداول الموضوعات داخل المساحة النّصيّة الفاصلة بين لحظتي البدء والنّهاية، وإمّا من خلال إرساء قواعد بنية سجالية تضع على مسرح الأحداث ذاتين تتصارعان من أجل الحصول على نفس الموضوع، ففي الحالة الأولى يتعلّق الأمر ببرنامج سردي يقود من البدء إلى النّهاية عبر برامج استعماليّة متنوّعة، إلى جعل**

1- سعيد بنكراد: مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص:68.

2- نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السّردي، ص:41.

الذّات تدخل في اتّصال مع موضوعاتها وفق شروط التّعاقد البدئي."[1]، فقد نجد أنّ ذاتين أو عدّة ذوات تتصارع على موضوع واحد ممّا يخلق حالة من الصراع بين الذوات.

3-مضاعفة البرنامج السّردي:

لا غرو أنّ مضاعفة البرنامج السّردي يقوم بالدّرجة الأولى من خلال"**تضعيف موضوعات القيمة المرغوب فيها."**[2]

فتتضاعف البرامج السّردية لما يكون موضوع القيمة محل نزاع بين ذوات عديدة، فما يكتسبه من موضوع عند ذات معيّنة، يستدعي لا محالة فقدانه عند الذات الأخرى التي تحاول جاهدة لأن تحقيق الاتّصال به في نهاية المطاف. في حين تكون الذات الأولى قد فقدته بعد عمليّة التّحويل التّي تحدثها الذّات الفاعلة ، فيتجلّى البرنامج السردي في هذه الوضعيّة في الشّكل الآتي:[3]

ب س: ⇦ و(ف3) [(ف 1∩ م ∪ف2)(ف1 ∪ م ∩ ف2)]

وفي ذات السّياق يشير محمد النّاصر العجيمي قائلا:"**بانتقال الموضوع من ملكية أحد الطّرفين إلى ملكية الآخر تستحيل "العلاقة الحالية" في اتجاهين متقابلين فيصبح الفاعل الحالي المتّصل بالموضوع في البداية منفصلا عنه في النّهاية والمنفصل عنه في البداية متصلا به في النّهاية..."**[4] ، فالموضوع محلّ النزاع بين فاعلين أو أكثر يتراوح بين الاتّصال والانفصال فلا يعرف الاستقرار عند طرف معيّن.

كما قد يتفرع البرنامج السّردي إلى برنامج سردي آخر فيتحوّل من البسيط إلى المعقد ويطلق على الأول باسم البرنامج السّردي الرّئيس أما الثّاني باسم" البرنامج الملحق".

1- سعيد بنكراد: السّيميائيات السّردية، -مدخل نظري- ص:107.

2- عبد العالي بوطيب: مستويات دراسة النّص الرّوائي، ص:113.

3- نادية بوشفرة: معالم سيميائية في مضمون الخطاب السّردي، ص:42

4- محمد النّاصر العجيمي: في الخطاب السّردي-نظرية غريماس-، ص:49.

4-أقسام البرنامج السردي: ينقسم البرنامج السّردي إلى قسمين وهما:

أ/البرنامج السّردي القاعدي"الأساسي:"Programme narratif de basse:

هوأكثر من ضرورة ملحّة فهو محور كلّ عمل سردي؛ إذ يتمّ فيه تحديد "**الإنجازات المستهدفة، لتحقيق تحويل رئيسي في العلاقة الحالية بين الفاعل والموضوع.**"[1]، من خلاله نعرف الذّوات الكبرى والبرامج الّتي تودّ إنجازها فهو محور الرّواية.

ب/ البرنامج السّردي للاستعمال Programme narratif d'usage :

إذا كان البرنامج السّردي القاعدي محور العمل السّردي، فإنّ البرنامج السّردي للاستعمال ليس كذلك فهو شيء ثانوي؛ حيث يتفرع عن البرنامج السّردي القاعدي ويطلق عليه تسميّة "**البرنامج السّردي الملحق أو الثّانوي Programme narratif annexe**"؛ **وذلك أنّ هذا البرنامج "يتمّ إنجازه من قبل الفاعل نفسه أو من فاعل آخر يقوم محلّه وينوب عنه.**"[2] فنستنتج أنّ البرنامج السّردي للاستعمال ينبجس من بوتقة البرنامج السّردي الرّئيس فيضحى ثانويا في النّص السردي.

5-الخطاطة السّردية وأطوار البرنامج السّردي: la séquence narrative et les phases du programme narratif:

يقتضي التّحليل السّردي المرور بمراحل أربعة هامّة وجوهريّة وتدعى بالمسارات السّردية "les parcours narratifs" أو بالخطاطة السّردية أو التّرسيمة السّردية"Schéma narratif"، والتّي تعد تجسيدا للنموذج العاملي "**فأما التّرسيمة العاملية هي التّجسيد الخاص لهذا النّموذج ؛ولذلك فإن التّرسيمة العاملية هي ما يعمل على إبراز أشكال الاختلاف بينهما.**"[3]

1- نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائية السّردية، ص:57.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- سليمة لوكام : تلقّي السّرديات في النّقد المغاربي، ص:392 .

ويؤكد سعيد بنكراد إلى أنه "**تطرح الخطاطة السّردية باعتبارها عنصرا منظما ومتحكّما في التّحولات فيما يبدو من خلال قراءة بسيطة لنص سردي وكأنّه تنافر وتداخل بين مجموعة من العناصر، يشكّل، في مستوى آخر، بنية بالغة الانسجام والتّماسك، ومن هنا، فإن الخطاطة السّردية تشكّل نموذجا كلّ التّحولات الواقعة بشكل تجريدي في مستوى يتّسم بالمفهوميّة.**"[1]، هذه الأخيرة التي تسهم في بلورة الرّؤى السّردية عبر امتدادها العاملي ضمن نموذج منظم يستند على مبادئ وأشكال تفرضها استراتيجيات التّحولات السردية.

والجدير بالذّكر هو أنّ غريماس قام باستبدال مفهوم التّتابع الوظيفي لدى بروب بما يدعى بالتّرسيمة السّردية وعليه فـــ"**إذا كان نص سردي ينطلق من النّقطة(أ) ليصل إلى(ب) وكيفما كانت طبيعة نقطة البدء والنّهاية، فإن الانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثّانية لا يتم عن طريق قواعد ضمنية. وبناء على هذا يجب التّعامل مع هذا الانتقال كعنصر مبرمج بشكل سابق داخل الخطاطة السّردية.**"[2]الأمر الذي يسهّل عملية الإسقاط المبدئي ورصد التمثّلات السّردية عبر تحوّلاتها المختلفة داخل البناء السّردي المعقّد.

وكما هو معروف لدى الكثيرين هو أنّ أطوار البرنامج السّردي التّي صاغها غريماس تربطها وشيجة متينة بين الاختبارات الثّلاثة المشكّلة للأنموذج الوظائفي البروبي، وهذه الاختبارات كالآتي:

1-الاختبار التّأهيلي: (Epreuve qualifiante)

2-الاختبار الرّئيسي أو الأساسي: (Epreuve Principale)

3-الاختبار التّمجيدي: (Epreuve glorifiante)

1- سعيد بنكراد: السّيميائيات السّردية – مدخل نظري- ، ص:88.

2- المرجع نفسه، ص:55.

وعليه ترتكز الخطاطة في تشكيلتها على مجموعة من الحالات والتّحولات للعوامل، وعليه من دون شك أنّ كل نص سردي يتكون من مجموعة حالات والانتقال من حالة إلى أخرى يقتضي تنظيما دقيقا فـــــــ**"لا يمكن أن يتم عن طريق الصّدفة...بل يجب التّعامل مع هذا الانتقال كعنصر مبرمج بشكل سابق داخل الخطاطة السّردية."**[1]وهذا يسهم في تأثيث فرضيات التحولات وتحققاتها عبر التلاحقات الزمنية المتنوعة.

ومراحل الخطاطة السرديّة مرتّبة بحيث لا يمكن القفز على أيّة مرحلة؛ فهي متسلسلة؛ حيث تستدعي كل واحدة منها الأخرى، وهذه المراحل هي:

أ- **التّحريك**(Manipulation)

ب- **الكفاءة** (Compétence)

ج- **الإنجاز**(Performance)

د- **الجزاء**(Sanction)

وهكذا فـــــــ:**"إنّ التّحليل السّردي عند غريماس يتّخذ من البرنامج السّردي جهازا آليا له مراحل تؤسّسه، وهي أربع: التّحريك** Manipulation**، الكفاءة** Compétence**، الأداء** Performance**، والتّقويم** Sanction**..."**[2] تحقّق بعدين" **الأوّل هو البعد المعرفي وتشكّله مرحلتا التّحريك والتّقويم والآخر هو البعد العملي وتشكّله مرحلتا الكفاءة والأداء."**[3]

ومما ينبغي التّشديد عليه هو مسألة تواشج هذه العناصر الأربع المشكّلة للخطاطة السردية التّي يسير وفقها الذات للحصول على موضوع ما؛ فبالاستناد على سلسلة الحالات وبالاتّكاء على المادة المعجمية نحدّد على الذّات الفاعلة في النّص السردي التّي كانت تسمّى بالشّخصية البطلة

1- سعيد بنكراد: مدخل إلى السّيميائيات السّردية، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 1994، ص:55.

2- نادية بوشفرة: معالم سيميائية في مضمون الخطاب السّردي، ص:42.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

سابقا، ولكنها تتباين عنها في كونها قد لا ترد إنسانا فقد يكون بطل النّص حيوانا أو شخصية مجردة أو مشيّأة أو محسوسة وهذا ما رمى غريماس إلى التشديد عليه.

وهكذا فالذات الفاعلة تخرج عن الحيز البشري إلى ذلك التمثل الذي قد يشكله حضور الحيوان أو شخصية مجردة أوحتى الجماد و المادة.

وقد سمّى سعيد بنكراد مراحل الخطاطة السّردية باللّحظات السّردية وبحسبه"**لكل لحظة من هذه اللّحظات موقعها الخاص داخل السّير الخطي للحكاية، كما أن انتماءها إلى هذا الجزء النّصي أو ذاك يخضع سلفا لمنطق خاص للأحداث بصفتها تسلسلا لا يمكن أن يأتي فيه اللّاحق قبل السّابق...**"[1]

وكأنه بهذا الطرح يبرز موقع الأحداث في النص من خلال التلاحقات الزمنية أي ما يقع بمنطق ومبدأ العلة والمعلول رغم ما يكون من الاختزال السردي في تمثيل الأحداث داخل المعمار الروائي.

ولكن"**ليس من الضّروري أن تجتمع هذه المراحل في النّص السّردي المعطى، لأننا قد نجد بعضها، مما يفسر اختزال بعضها الآخر، والسّبب يكمن في أن كل مرحلة تستدعي الأخرى منطقيا، وهي في مجملها –المراحل الأربع– تشكل ما يسمى بالمقطوعة السّردية**(la séquence narrative)."[2]تلك التي تتأطر بين ثناياها شواكل الأحداث السردية التي تنبني عليها مراحل الخطاطة السردية ضمن ما يتمثل من أحداث تتسلسل وفق منطق معين.

-والآن لنا وقفة عند أطوار الخطاطة السردية بالتّفصيل وهي كالآتي:

1-**التّحريك**(Manipulation):

1- سعيد بنكراد: السّيميائيات السّردية-مدخل نظري-، ص: 89 .

2- نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائية السّردية، ص:58.

ويطلق على التّحريك كذلك بالإيعاز والذّي يقوم بهذا العنصر هو المرسل إليه في محاولة منه لإقناع الذّات إلى اكتساب موضوع قيمتها، وفي هذا الصّدد تساءل نصر الدّين بن غنيسة قائلا: **"انطلاقا من الجزاء، لنا أن نتساءل عن الذّي يدفع الذّات الفاعلة نحو الفعل، إنّها مسألة كينونة فعل الفعل. حينها نصف مجموعة العمليّات السّردية التّي تتموضع حول الذّات الفاعلة حتى تحملها على تحقيق الإنجاز الرّئيس للبرنامج السّردي، وهي غالبا ما تكون عمليّات إقناع."**[1] تتضمن ما يقع منها من تحققات للفعل عبر سلسلة التحركات.

ولما كان التّحريك **"نشاطا يمارسه الإنسان تجاه أخيه الإنسان، بهدف الدّفع به إلى القيام بإنجاز ما. ومن خلال موقعه التّوزيعي بين إرادة المرسل والإنجاز الفعلي لبرنامج سردي ما من طرف المرسل إليه (ذات)...فإنه يستند أساسا إلى الإقناع ويتمفصل هذا الإقناع في فعل إقناعي يعود إلى المرسل، وفعل تأويلي يعود إلى المرسل إليه.**[2]

وهكذا نلفي التّحريك يتمفصل في فعلين أساسيين هما:

1-فعل إقناعي: يجسّد البعد الذهني، والإقناع هنا متعلّق بالمرسل.

2-فعل تأويلي: يجسّد البعد التأويلي، والفعل التأويل هنا يعود على المرسل إليه..

ومنه تمتد الحلقة التواصلية بفعل الإقناع المنبثق من المرسل وفعل التّأويل المنبجس من المرسل إليه ضمن البرنامج السردي عبر توزيعات وتحركات مختلفة.

فكان لابدّ من تقصّي حبل الخطاطة السّردية انطلاقا من رصد حضور المحرّك الذي أثّر في الذّات وجعلها ترغب في الموضوع في ظلّ وجود فعل إقناعي بالدّرجة الأولى.

1-نصر الدّين بن غنيسة: فصول في السّيميائيات، ص:50.

2- سعيد بنكراد: مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص:91 .

وعليه يتبدّى جليّا بأنّ التّحريك لا يقوم به الفاعل بمنأى عن دافع، وإنما يتدخل المرسل في علاقة بالفاعل والذّي يشغل في هذه الحالة دور المرسل إليه المحفّز .

بيد أنه ثمّة أمر، ويكمن في أنّه "**لا يتجاوز الفعل الإقناعي حدود تبليغ فكرة للمرسل إليه عن طريق المعرفة** (Le savoir) **أو الاعتقاد** (Le croire)، **مما يمهّد لظهور برنامج سردي كامل، يدخل الفاعل في دوامة الصّراع لتنفيذ مشروع المرسل، تخوله في ذلك رغبته في فعل الفعل** (Faire-faire) **بمعناه الشّائع "التّحريك"**..."[1]، ومنه ثمة عدّة وشائج رابطة بين المرسل والذّات الفاعلة؛ ونظرا لخصوصية العلاقة بينهما يكون التّحريك على أربعة أشكالها وهي ممثلة في المربع السّيميائي الآتي:[2]

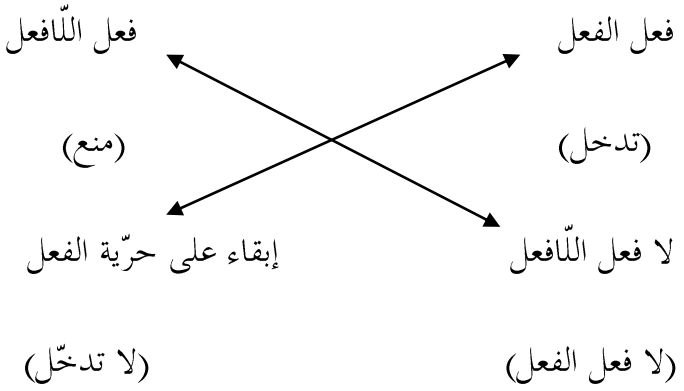

وهكذا فحضور التحفيز كترسيم إقناعي يسهم في تجسيد التوقيع الحدثي وبناء تنبؤات من باب الوقع الاحتمالي لما سيكون ناتجا عن الفعل الإقناعي.

والشّكل الآتي يمثّل هذا الطّور من الخطاطة السّردية[3]:

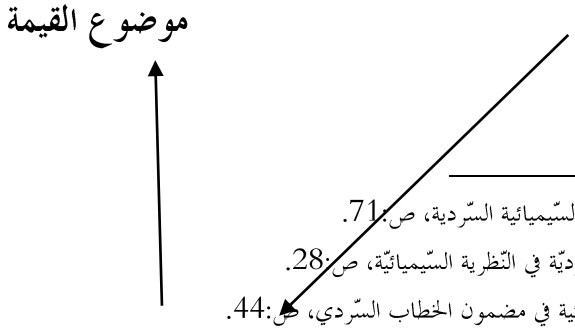

1- نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائية السّردية، ص:71.
2- رشيد بن مالك: البنية السّرديّة في النّظرية السّيميائيّة، ص:28.
3- نادية بوشفرة: معالم سيميائية في مضمون الخطاب السّردي، ص:44.

الفعل الإقناعي **الرّغبة**

المرسل إليه/الفاعل

وهكذا وبناء على المذكور سابقا نلحظ أنّ الذّات تسعى إلى القيام بالفعل؛ وذلك بعد إقناعها من قبل المرسل ، لكن هذا غير كاف بل لابد من أن تكون ذات كفاءة، فانتفاء هذه الأخيرة انتفاء الإنجاز.

2-الكفاءة.(Compétence):

ويطلق عليها كذلك ب:"القدرة" أو"الأهلية". وتمثل الطّور الثّاني في الخطاطة السّردية والغرض منها إظهار"**كينونة الفعل**"[1] ويعنى بها الظّروف اللّازمة لتحقيق الإنجاز؛ أي الكفاءة التّي تمتلكها الذّات الفاعلة لكي تكون لها القابلية لإنجاز الفعل الموكول إليها؛ ولا يمكن للذّات الفاعلة أن تحقّق موضوع الرّغبة إلّا إذا امتلكت الكفاءة اللّازمة، يقول سعيد بنكراد: **"لكي تحقق الذّات إنجازها، عليها أن تمتلك، بشكل سابق، الأهلية الضّرورية لذلك. وفي هذه الحالة يمكن النّظر إلى الأهلية باعتبارها الشّروط الضّرورية السّابقة على الفعل المؤدي إلى امتلاك موضوع ما..."**[2] و**"ليس من الضّروري أن تكتسب دفعة واحدة، أو أن تكتسب في مجملها، وليس من الضّروري أن تمتلكها ذات واحدة، فقد يتم الحصول على هذه الصّيغ تباعا وعلى مراحل، كما قد توزع**

1- آن اينو وآخرون: السّيميائية (الأصول،القواعد، والتّاريخ)،تر: رشيد بن مالك، مرا: عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 2008ص: 236 .

2- سعيد بنكراد: السّيميائيات السّردية-مدخل نظري-، ص: 95 .

على مجموعة من الذّوات المنضوية تحت كون قيمي واحد..."[1]، فحصول الذت على القيّم الجهيّة يكون وفق مراحل محدّدة تفضي بالفاعل إلى اكتساب الكفاءة اللازمة التي تمكّنه من البحث عن الموضوع المرغوب فيه؛ وهذه الصيّغ هي:

1-وجوب الفعل Devoir-Faire

2-إرادة الفعل Vouloir-Faire

3-معرفة الفعل Savoir-Faire

4-القدرة على الفعل Pouvoir-Faire

لذلك و"**في إطار شكلنة فكرة الفعل يرى غريماس أنه لابدّ من اعتبار صيّغ الفعل** (Les modalités) **التّي يعرّفها كإمكان أو ضمنية الفعل** (Virtualité du faire) **إذ هي تمكّن الفاعل القيّام بالعمل الإنجازي الفعلي. فالفاعل لا يقدر على الإنجاز إلا إذا اكتسب معرفة كيفية الفعل**(Savoir-Faire)**أوالقدرة على الفعل** (pouvoir-faire)"[2]

وهكذا تمّ التمييز بين شكلين من الإنجاز :

1-الإنجاز الهادف إلى الحصول على القيّم الجهيّة ونقلها.

2-إنجاز يصبو إلى الظفر بالقيّم الموضوعيّة ونقلها.

والكفاءة "**قد تكون غير كافية أو سلبية على نحو ما يكون الأداء ناجحا أو فاشلا.**"[3]فضلا عن ذلك اهتمامنا ينصبّ في " **عنصر الكفاءة بالفاعل العملي "الموجه" لفاعل الحالة، فهو يجسّد وجود عمليات التّحويل التّي من شأنها أن تربط فاعل الحالة بموضوع القيمة.**"[4]

1- سعيد بنكراد: السّيميائيات السّردية-مدخل نظري-، ص: 96 .

2- جميل شاكر وسمير المرزوقي: مدخل إلى نظرية القصّة، ص:136.

3- رشيد بن مالك: مقدمة في السّيميائية السّردية، ص:21.

4- نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائية السّردية، ص:60.

وقد قسّم غريماس الكفاءة وجعلها كفاءتين، وحضورهما معا يؤدّي إلى كفاءة الفاعل الإجرائي، وهما:[1]

أ-الكفاءة الدّلاليّة: وتكمن في شكلها البسيط في البرنامج السردي الافتراضي.

ب-الكفاءة الكيفيّة: يمكننا أن نصفها كتنظيم مراتبي للكيفيات وتفضي هذه الكفاءة بالانتقال من الحالة الافتراضية إلى مرحلة تحقيق البرنامج السردي.

وهكذا تعتبر الكفاءة شرطا أساسيّا بغية تحقيق الإنجاز، والانتقال من حالتّين مختلفتين؛ أي من حالة الافتراض إلى حالة الوجود "التّحيين"، والتّحيين يتعلّق بالأهليّة، فهو سابق الإنجاز "Performance" ويتجلّى في المرحلة التّي تكون فيها الفواعل منفصلة عن المواضيع فتكون هذه الأخيرة محيّنة وليست في إطار الإنجاز.

وممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّه **"بوسع بعض من الحكايات أن تجعل تصوير اكتساب الكفاءة من لدن الذّات الفاعلة ديدنها. في هذه الحالة، ف:"الكفاءة"تعدّ موضوعا يمكن أن يكون متّصلا أومنفصلا عن الذّات."**[2]

والآن لنا وقفة مع الجدول الّذي يظهر لنا العلاقة التّي تربط بين الجهات الأربع للكفاءة:[3]

كفاءة		لأداء
جهات مضمرة	جهات محينة	جهات محققة

[1]-Greimas , Du Sens ll, p67

2 -نصر الدّين بن غنيسة: فصول في السّيميائيات، ص:46.

3 ينظر:رشيد بن مالك: مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص:21.

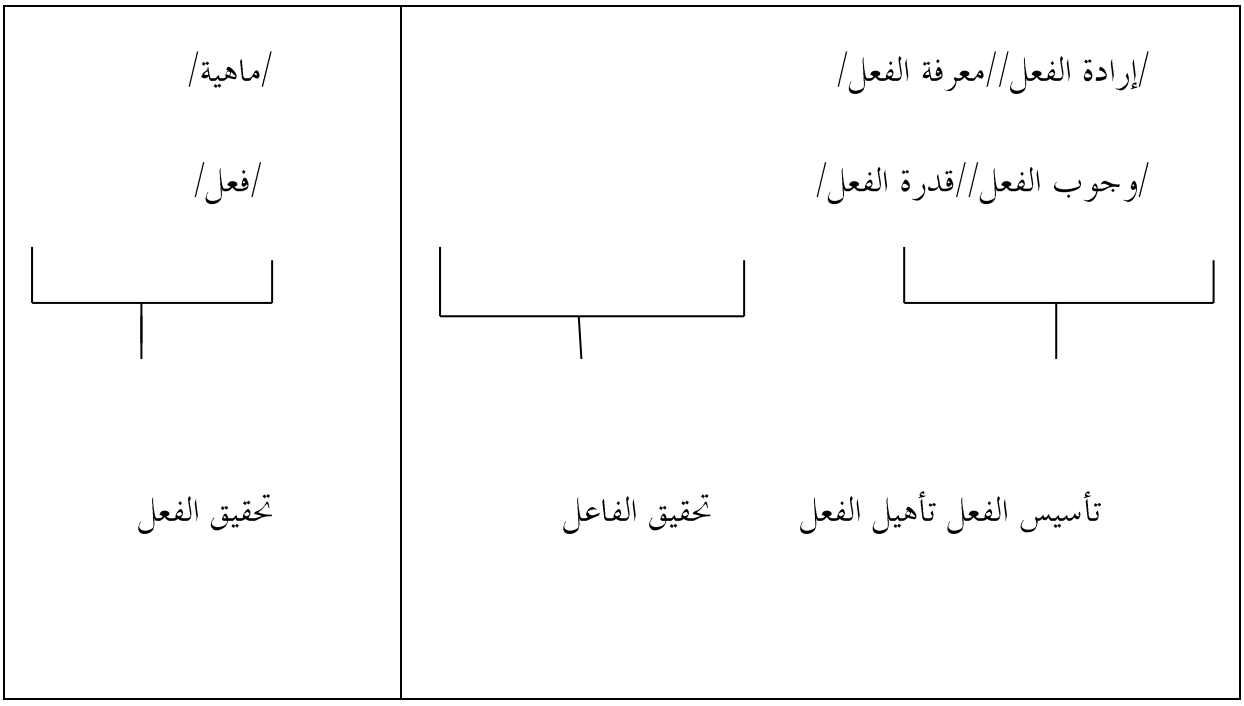

3- الإنجاز(Performance):

يطلق عليه ب"فعل الكينونة"ويمثّل المرحلة الثّالثّة في التّرسيمة السّردية، وهو أكثر من ضرورة، ويشير سعيد بنكراد إلى أن"**الإنجاز يحدد "فعل الكينونة"، وهي حالات تخصّ البطل في مساره السّردي وخضوعه لمجموعة من التّحولات تمس فعله وكينونته. وطبيعته هاته هي التّي تجعل منه ملفوظ فعل يحكم ويحدّد ملفوظ حالة**"[1]

ويشكّل كلّ من "**الإنجاز أوالأداء محور البرنامج السّردي، ففي غيابه ينتفي حدوثه (ب س)، إنه نواته التّي تعمل بداخلها العمليات (الأفعال)، فتتحول الأحوال والماهيات إلى غير ما**

1-سعيد بنكراد : السّيميائيات السّردية-مدخل نظري-، ص: 102 .

كانت عليه قبلا، ومنه جاءت تسميته بفعل الكينونة"[1]، وهكذا يتبدّى لنا مما سبق ذكره أنّ الإنجاز لبنة أساسيّة ضمن لبنات البرنامج السّردي، فغيّابه يفضي إلى عدم تحقّق هذا الأخير.

يقول علي بوكحال في حديثه عن الإنجاز:"**الإنجاز هو فعل يؤدي إلى الحصول على الموضوع، ويعتبر الانجاز أحد الأطوار الأساسية في سلسلة تدرج عناصر البنية السّردية المتماسكة التّي تنتظم فيها البرامج السّردية حيث تلعب الطّاقات** (Qualifications)**التّي يمتلكها الفاعل دورها في إدارة الصّراع وتحقيق الفعل.**"[2]

وعليه فالإنجاز مرتهن بتحقق الفعل ضمن فعاليّة الطّاقة التي تكون للفاعل باعتباره دينامية في الصّراع وتعتبر مرحلة أساسيّة إن لم نقل بؤرة الخطاطة السّردية وفيه يبحث الفاعل عن موضوع قيمته "**ينتقل من حال إلى حال. إذ يظهر المنظور التّلفظي الاتصالي ∩ أو الانفصالي ∪ تبعا لانتقال الفاعل من حالة الانفصال ∪ إلى حالة الاتّصال ∩ بالموضوع في حالة النّجاح أوالعكس؛ أي انتقال الفاعل من وضع اتصال ∩ إلى وضع انفصال ∪ عن الموضوع في حالة إخفاق.**"[3]

وهكذا فالاتصال يكون لازما للنجاح، في حين أنّ الانفصال يلازم الإخفاق في رحلة بحث الفاعل عن قيمته وإثبات وجوده.

ولا غرو في أنّ البعد العملي، الذّي يحمل في طيّاته أهم قطبي البرنامج السّردي وهما ثنائيتا "الكفاءة والأداء"، الكفيلتان بخلخلة النّص السّردي وشحنه بطاقات دلاليّة شتى، وهذا الأمر هو نتيجة مجموعة الحالات والتّحوّلات المنضوية تحت لواء السردية.

4-الجزاء(Sanction):

1-نادية بوشفرة: معالم سيميائية في مضمون الخطاب السّردي، ص:45.

2-بوعلي كحال: معجم مصطلحات السّرد، عالم الكتب للنشر والتّوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2000، ص:24.

3-أحمد طالب: المنهج السّيميائي-من النّظرية إلى التّطبيق-، ص:25.

يعد الجزاء آخر مرحلة في طور الخطاطة السّردية، ويسمى كذلك ب " التّقييم"، أو"التّقويم" وله وشيجة متينة مع بالتّحريك؛ إذ يشكلان معا طوري البرنامج السّردي، ويعرف الجزاء بأنّه حكم معرفي للفعل يضطلع به المرسل الّذي يسعى جاهدا للمحافظة على القيم تجاه الفاعل الإجرائي، مقيّما في ذلك إنجازه، إن كان إيجابيا فسيكافأ عليه وإن كان سلبيّا فسيلاقى بالعقاب المناسب.

وعليه"**يجب النّظر إلى الجزاء باعتباره حكما على الأفعال التّي يتم إنجازها من الحالة البدئية إلى الحالة النّهائية....إنّ المرسل، باعتباره الحلقة الرّابطة الّذي يرتبط الجزاء بالبنية التّعاقدية التّي تميز التّرسيمة السّردية فهو نتيجة للوصلة القائمة بين المرسل والمرسل إليه الفاعل، وذلك بعد تحقيق الأداء المقرر داخل إطار العقد البدائي. يكون الجزاء إيجابيا إما يتوّج بالمكافأة ويكون سلبيا في حالة العقوبة.**[1]

وممّا ينبغي التنويه به هو أنّه " **إذا كان الإنجاز الرّئيس يتطلّب كفاءة مسبقة...فإنّه وبذات المنطق السّردي يستلزم طورا آخر من أطوار البرنامج الرّئيس وهو الجزاء. فبعد حدوث تحوّل للحالات بفعل الذّات الفاعلة، يجب تقييم الحالة النّهائية لهذه العملية، والإقرار بأنّ التّحوّل حدث فعلا، ومكافأة الذّات الفاعلة.**"[2]، فالجزاء لا غنى عنه في البرنامج السردي؛ إذ به يقوّم إنجاز الفاعل الإجرائي.

وميّز غريماس بين نوعين من الجزاء:[3]

1-جزاء تداولي Pragmatique

2-جزاء معرفي cognitive

1 -رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنصوص، ص: 155.

2 - نصر الدّين بن غنيسة: فصول في السّيميائيات، ص:47-48.

3 -Greims et Courtés, Dictionnaire raisonné, p320

1-جزاء تداولي: يعدّ "**التّقييم التّداولي هو حكم معرفي يضعه المرسل الحكم حول تطابقية السّلوكات، أوبشكل أدق البرنامج السّردي للنظام الخلاقي (العدالة مثلا) الذّي تم تحيينه في العقد البدائي سواء أكان هذا النّظام واضحا أومضمرا، من وجهة نظر المرسل إليه الفاعل، يناسب التّقييم التّداولي الجزاء.**"[1]، فعلى المحور التّداولي، يصدر المرسل المقوّم للفعل المنجز حكما معرفيا حول مدى مطابقة أوعدم مطابقة الإنجاز الأخير للعقد الابتدائي.

2-**جزاء معرفي:** هذا النوع من الجزاء يكون سابقا عن الجزاء التداولي، وهو يحمل على الكينونة؛ أي متعلق بملفوظات الحالة، حيث يقوم فيه المرسل بدور المقوّم لإنجاز المرسل إليه، ليرى مدى مصداقيتها في الأخير.

بالإضافة إلى ذلك نجد أنّ التقييم يستدعي "**فعلا يحتلّ الصّدارة في الرّسم السّردي ويحدث تفاعلات تمسّ العلاقات العاملية. يتمفصل هذا الفعل إلى كفاءة وأداء ويحيل على الإيعاز... الذّي يأخذ أشكالا مختلفة تنصهر في التّأثير الذّي يمارسه المرسل في الفاعل في سبيل إقناعه بتنفيذ برنامج معطى.**"[2]، فكلّ إنجاز لابدّ أن يقابله جزاء سواء أكان بالمكافأة أم العقاب.

وأطوار الخطاطة السّردية الّتي تمّ التّطرق إليها سالفا يلخّصها الجدول الآتي:[3]

1- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنصوص، ص:157.

2- رشيد بن مالك: مقدمة في السّيميائية السّردية، ص:35.

3- نادية بوشفرة: مباحث في السيميائيّة السّرديّة، ص: 77.

تحريك	كفاءة	أداء	الجزاء
فعل الفعل مرسل/فاعل عملي فعل المعرفة فعل الإرادة	كينونة الفعل وجوب	فعل الكينونة	كينونة الكينونة علاقة: مرسل/فاعل عملي مرسل/فاعل حالة فاعل ح/فاعل عملي

مهمة إقناعيّة	الفعل إرادة الفعل قدرة الفعل معرفة الفعل	الفعل	
	بعد بعد	معرفي	مهمة تأويليّة

وخلاصة هذه الرّحلة العجلى في جدوى أطوار البرنامج السّردي تبيّن لنا بأن الخطاطة تتجلّى في وحدة مدغمة؛ إذ يحكمها التّواشج المنطقي بين كافّة عناصر العمل السّردي ومستوياته المختلفة، فالتّحريك هو أصل الفعل ويعدّ الأرضية المناسبة لبزوغ طور الكفاءة والأهليّة ويهدي إليها، والأهلية تفضي إلى الإنجاز وهذا الأخير كأداة للفعل يفضي في آخر المطاف إلى التّقويم؛ أي تقييم الأفعال المنجزة من قبل الذّات.

الفصل الثالث

التّحليل العاملي لرواية شبح الكليدوني

الفصل الثالث: التحليل العاملي لرواية شبح الكليدوني

ملخّص شامل للرواية:

تصنّف رواية "شبح الكليدوني "لمحمّد مفلاح ضمن الروايات التاريخية؛ ذلك أنّ مفلاح عرّج فيها إلى أحداث كانت في حقبة الاستعمار الفرنسي للجزائري وخصوصا عندما سلّط الضّوء على يوميات محمّد مفلاح ومحاولته البحث عن تاريخ أجداده المغيّب من قبل الاستعمار وكذا السلطات وصولا بالمثقفين في الجزائر.

حيث يسافر الروائي"محمد مفلاح" بالقارئ في روايته "شبح الكليدوني" إلى تاريخ المنفيين إلى جزيرة كاليدونيا الكائنة في المحيط الهادي بالقرب من أستراليا أثناء الاستدمار الفرنسي للجزائر، محاولا إماطة اللثام ونفض الغبار عن جزء من تاريخ الجزائر المهمش والمغيب من قبل المؤرخين وخاصة التاريخ المحلي، كيف لا؟ والكثير من الحقائق التاريخية للجزائر أثناء الاستدمار الفرنسي تتزف بصمت؛ وذلك لأنها لم تتلق الاهتمام اللازم بها، اهتمام قد ينتشلها من براثين التهميش.

كما تطالعنا روايته أنه تحدّث عن وضع الجزائر الحالي من حيث الوضع الاجتماعي والاقتصادي...الخ محاولا بذلك أن يظهر طبيعة العلاقات الاجتماعية في الجزائر، مجسّدا ذلك في شخوص الرواية.

وعليه وفقا للحياة الاجتماعية التّي كانت سائدة آنذاك، حاول الروائي محمد مفلاح إسقاط بعض من القضايا الاجتماعية على الشخصيّات المحوريّة في النّص، من بين هذه القضايا الفقر الّذي يعدّ آفة اجتماعيّة، هذا الفقر قد يؤدّي إلى نشر الفساد والفوضى في المجتمع مزعزعا استقراره، فضلا عن ذلك تناول قضية التجارة الّتي تزيد من أواصر الترابط بين أفراد المجتمع وهو بذلك كشف لنا عن الواقع المعيش.

وتصبو الشخصية المحورية في الرواية والمجسّدة في "امحمد شعبان" –وهو حفيد الشيخ محمد الكليدوني المنفي إلى جزيرة كاليدونيا– إلى العثور على قبر الجد الشيخ محمد الكليدوني الفار من

المنفى عبر سفينة اتجهت نحو الحجاز، ليعود إلى أرض الوطن مع موكب حجاج المغرب، وقد استطاع محمد شعبان بعد محاولات عديدة ورحلة في جبال الونشريس من العثور على القبر والتحدّث إلى بعض الذين تذكروا قصة المنفيين حارصين على سلامة ضريح الجد. وثمّة موضوع آخر يسعى محمد شعبان إلى معرفته وهو تتبّع تاريخ الأجداد المغيّب وقد استطاع معرفة الكثير من الحقائق التاريخية بالرغم من العراقيل الّتي لاقاها أثناء تنقيبه وحفره عن الحقائق المغيّبة.

تلكم هي أهم المعالم الكبرى التّي يمكن للقارئ أن يقف عندها بعد قراءته للرواية، لكن الشيء اللافت للانتباه في نهاية الرواية هو أنّ محمّد شعبان أصّر على السفر إلى جزيرة كاليدونيا فارّا من قسوة الظروف التّي كان يكابدها آنذاك وبغية الالتقاء بفتاته التي تعرّف عليها عبر الفيسبوك والتّي تدعى بحليمة طايب.

1-التحليل العاملي لرواية شبح الكليدوني:

نبتغي من خلال الفصل التطبيقي من بحثنا هذا دراسة متن روائي جزائري ممثّلا في رواية "شبح الكليدوني" لمحمّد مفلاح من خلال نظرية العامل الغريماسيّة ونعرف من خلالها مدى طواعية الرّواية لطريقة التّحليل العاملي السردي.

وعليه سنحاول أن ندرس رواية **شبح الكليدوني** من خلال تقصّى النّموذج العاملي في حركيّته من خلال الحالات والتّحويلات، ثمّ نبرز بعدها العوامل المشكّلة للرواية.

وممّا لاشكّ فيه هو أنّ السردية انصبّ اهتمامها حول " **مستويات تحليل البنية السّردية للرّواية، وذلك للكشف عن الشّبكة العلائقيّة في نسيج النّص الروائي، والبحث في حيثيات البنية العميقة، من خلال التّحليل العاملي الّذي يرصد لنا عناصر السّرد، ويستنطق البعد المنطقي والدلالي من عمق البنية السردية للرواية...**"[1] لذلك سنعمل في إطار تحديدنا للعوامل المشكّلة لرواية "شبح الكليدوني" لمحمّد مفلاح في التّعويل على"**المستوى العميق لعنصر الشّخصيات، وينظر إليها بوصفها بنية مجرّدة، ليس معطاة في النّحو السّردي ودراسة الشّخصية باعتبارها عاملا، ضمن البنية العامليّة**"[2].

وكما هو معلوم أنّ "**غريماس ينطلق في مفهومه للأنموذج العاملي من رؤية مسبقة لمقال بروب الوظائفي، وخاصة لدوائر الفعل السّبع الّتي استقطبت اهتمامه، فراح يتعمّق في وظائفها ويتبيّن دلالاتها، باحثا عن تصوّر منطقي شامل للأجناس السردية، الأدبيّة منها وغير الأدبيّة، ليعطي البديل الّذي لم يتوصّل إليه بروب، وهو الفارق الجوهري بينهما والمتمثّل في عدم اكتراث هذا الأخير بالأجناس الأدبيّة الأخرى وتحديده لمجال ضيّق في الدّراسة، وهو الحكاية الخرافيّة.**"[3]

1 آسيا جريوي: النموذج العاملي واستنطاق البنية السردية في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج، ص: 48

– كريمة بلخامسة: تحليل الخطاب الروائي في رواية"نجمة"لكاتب ياسين"، ص: 2102

3 – نادية بوشفرة: معالم سيميائيّة في مضمون الخطاب السّردي، ص: 84

وهكذا كان لزاما علينا الوقوف على البنيات العاملية والّتي يمكن تبيّنها من خلال النّموذج العاملي الّذي حاولنا تطبيقه على رواية شبح الكليدوني.

تجسّدت الرّواية في برامج سرديّة وتسعى ذات كل برنامج إلى تحقيق موضوع قيمتها، لذلك سنحاول الإمساك بالبرامج السردية الكبرى دون الصغرى.

ولاريب أن رواية "شبح الكليودني" لمحمّد مفلاح "**لم تحظ بالعناية اللاّزمة، لذا ارتأينا الكشف عن بعض بناها بالاعتماد على أدبيّتها، ومن ثمّ الإسهام جزئيّا في تقديم عمل فنّي من زاوية نظر مختلفة نسبيّا، وذلك قصد تفادي التّوتّرات المنهجيّة الّتي تصبّ في النّتائج ذاتها، مع تقديرنا الكبير لكلّ ما أنجز حول الأديب.**"[1].

وأثناء تحليلنا للرّواية انصبّ اهتمامنا "**على البنى الشاملة دون الوحدات الصّغرى المنتجة للمعنى، ولضبط العمليّة التّحليليّة التحليليّة عملنا على انتقاء الذّوات الكبرى المهيمنة نصّيا وربطها بالبرامج السّردية لتبيان أهمّ الاتّصالات والانفصالات بين الذّوات والموضوعات حتّى يتسنّى لنا توضيح كيفيّة انتشار مختلف القيّم وفق بنى عامليّة متميّزة.**"[2]

ولاشكّ أنّ الهاجس الّذي يعترينا والّذي يقف حجر عثرة في طريقنا هو كيفيّة تحديد الذّوات، فكان لزاما علينا الاتّكاء على "**القواعد العامليّة ولسانيات الخطاب لاستخراج مختلف الذّوات المهيمنة.**"[3]

بالإضافة إلى أنّ "**الكشف عن المنطق العاملي يستدعي دراسة العلاقات التي تنتظم وفق استراتيجيّة سرديّة محدّدة، ووفق نظام نحوي يستدعي التحكّم فيه بدقّة. ولذلك يصبح الملفوظ، كيفما كانت طريقة تمفصله، عبارة عن مجموع العلاقات بين العوامل الّتي تشكّله.**"[1]

1 - السّعيد بوطاجين: الاشتغال العاملي، ص: 8-9

2 - المرجع نفسه ، ص: 10

3 - المرجع نفسه، ص: 20

الأمر الذّي سيساعدنا على رؤيتنا لكيفيّة " **تمظهر فيها مختلف عناصر التركيب العاملي، وكيف تشتغل بالضبط في الب .س الّتي نعتقد أنّنا تعرّفنا بداخلها على الآليّة المناسبة المبرزة للسّرديّة داخل الوحدات الكبيرة الّتي تكون هذه الترسيمة.**"[2]

ولاشكّ أنّ الرواية كأيّة رواية أخرى تحوي على ذوات تحاول الحصول على موضوعات قيمتها وسنوجزها فيما يلي قبل التّفصيل فيها:

(الموضوع الأوّل): امحمّد شعبان يريد التعرف على تاريخ الأجداد.

(الموضوع الثاني): امحمّد شعبان يريد البحث عن قبر جدّه.

(الموضوع الثّالث): الأمّ تريد تزويج ابنها.

1-1-الموضوع الأوّل: البحث عن تاريخ الأجداد

مما لاشكّ فيه هو أنّ "**تحديد العامل-الذات باعتباره موقعا في علاقته بشيء يرغب فيه، يدلّ تركيبيّا على أنّنا بدأنا في تحديد الوحدة الأوّلية الإجرائيّة للتركيب السردي وهي البرنامج السردي (Programme narratif) وهي وحدة تقوم على وجود عامل-ذات في علاقته بموضوع.**"[3]

بيد "**أنّ تحديد العامل-الذات انطلاقا من الموقع الطبولوجي غير كاف لتحديد وجوده السّيميوطيقي، لذلك فإنّ وجوده يتحقّق حين نحدّد علاقته بموضوع- القيمة إنّ قولنا بوجود علاقة تربطه بموضوع- قيمة لا يتّخذ حجمه الدّلالي إلى حين نحدّد القيّم السوسيوثقافيّة الّتي**

1 - السعيد بوطاجين: الاشتغال العاملي، ص: 19

- جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائيّة السرديّة والخطابيّة، تر: جمال حضري، ص:2:31

3 - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي"البنيات الخطابية، التركيب، الدلالة"، ص: 201

يشملها الموضوع، لأنّ العامل –الذّات لا يرغب في الموضوع في حدّ ذاته، ولكنّه يستهدف القيّم الّتي يشملها."[1]

من بين المرامي للبطل "**امحمّد شعبان**" هو التّعرف على ماضي جدّه **محمّد الكليدوني** محاولا تعريّة التاريخ المحلّي لمنطقة **غليزان** أثناء فترة الاستدمار الفرنسي للجزائر الّذي حاول طمسه النظام التعليمي التربوي الجزائري في المدراس وكذا المؤرّخون وكذا الفرنسيّون أنفسهم؛ فهو بذلك يريد أن يقول بأنّ التاريخ المحليّ دائما يعيش بين النّسيان، ومنه فـــــــــــــ "**امحمدّ شعبان**" يحاول دحر سدول الكتمان هاته والتّعرف على أصول جدّه وتاريخه.

وهكذا يعدّ "**امحمّد شعبان**" عامل الذّات **والبحث عن التاريخ المحلّي المغيّب في العهد الكولونيالي** عامل الموضوع، وتتوزّع الجملة النّواة على زمانين: الحاضر، الماضي، وعلى مكانين: منطقة غليزان وكذا منطقة الونشريس، وهذا يشكّل الإطار الزّماني والمكاني البوتقة الّتي تدور فيها الشخصيّة وكذا حياتها.

لكنّ والد "**امحمّد شعبان**" طالبه بالانتظار حتى يكبر للتّعرف على أسرار تسميته بالمنفي ويظهر ذلك جليا في الملفوظ الآتي: "**فانتظر حتّى تكبر يا بنيّ**"[2].

وانطلاقا ممّا سلف ذكره سنحاول الوقوف عند المسار السّردي للرواية "**وهو مسار يتميّز ببرنامج سردي تتّسم حالته الأوّلية بعلاقة الانفصال، لذلك فهو ملزم بالقيّام بفعل لتجاوز حالة الانفصال إلى حالة الاتّصال.**"[3]

1 عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي"لبنيات الخطابية، التركيب، الدلالة" ، ص: 201

2 –محمد مفلاح: رواية شبح الكليدوني، دار المنتهى، الطبعة الأولى، 2015 : ص: 06

3 – عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي"البنيات الخطابية، التركيب، الدلالة"، ص: 201

بالإضافة إلى الموضوع الأوّل الّذي يريد "**امحمّد شعبان**" إنجازه، هناك موضوع آخر ألا وهو "**البحث عن قبر جدّه** " وهو "**محمّد الكليدوني**" ولا يتحقّق هذا الموضوع إلّا بالذّهاب إلى **منطقة الونشريس.**

وهكذا نلاحظ أن عامل الذّات "**امحمّد شعبان**" في علاقة فصليّة بثلاثة موضوعات يريد إنجازها: البحث عن تاريخ أجداده المغيّب ثمّ البحث عن قبر جدّه المنفي وبعدها السّفر الذهاب إلى الونشريس.

ويمكن تمثيل ذلك في المخطط الشكل الآتي:

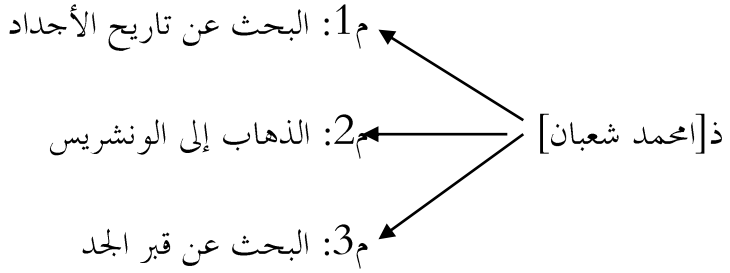

في حين ثمّة رغبات صغرى للذّات تتخلّل الرواية "**غير أنّ هذا لا يعني أنّ الرّغبات الصّغرى عديمة الأهمّية، لأنّه بإمكاننا أن نفرد لها ترسيمات عامليّة أو برامج سرديّة في حالة تعاملنا مع البنى الجمليّة الصّغرى.**"[1]

تبيّن لنا الجملة الأولى أنّ الوظيفة العامليّة للشّخصيّة الرئيسيّة "**امحمّد شعبان**" هي **مرسل إليه وذات** في الوقت نفسه في حين أنّ الوالد الحاج عبد القويّ يعتبران مرسلا. وتمر الذّات عبر برنامجها السّردي بثلاث مراحل وهي:

1-الفرضيّة: البحث عن تاريخ الأجداد

2-التّحيين:البحث عن الوسيلة المثلى للوصول إلى الحقيقة

1 - السعيد بوطاجين: الاشتغال العاملي، ص:43

3-الغائيّة:التّعرف على تاريخ الأجداد المغيّب

وهكذا يأخذ البرنامج السّردي الترسيمة الآتية:

الفرضيّة ← التحيين ← الغائيّة

البحث عن التاريخ البحث عن الوسيلة المثلى للوصول إلى الحقيقة التعرف على تاريخ الأجداد

الذي يهمّنا في هذه الترسيمة السردية هو المرحلة الثالثة والأخيرة منها، وهي مرحلة الغائية؛ إذ كانت جدّ إيجابية؛ وذلك عندما تعرّف امحمّد شعبان على تاريخ أجداده؛ حيث كانت كلّ العوامل الخارجية معه الشيء الّذي جعل المعارضين تأثيرهم ضعيف جدّا عندما كان يهمّ امحمّد شعبان بالبحث عن التاريخ المغيب.

والآن سنحاول رصد أطوار الخطاطة السردية للذّات امحمد شعبان في بحثها عن موضوع قيمتها وهو البحث عن تاريخ الأجداد.

أ-الخطاطة السرديّة للبرنامج السردي للذّات "امحمّد شعبان" وموضوعه "البحث عن أصول الأجداد وتاريخهم المغيّب":

أ-1-التحريك:Manipulation

وفيه سنسعى إلى تبيان طور التّحريك؛ إذ يعدّ "**التّشكيل الابتدائي للرّؤية أو التّصوّر الإيديولوجي الّذي استعمل الأحداث الآتية على تفجيره في مسارات تصويريّة متنوّعة**"[1] من خلال تقفّي المسارين الّذين سلف التعريج إليهما عبر تقفّي الحالات والتّحولات للخطاطة السرديّة، ساعين في ذلك إلى توضيح حركة العامل في الرواية.

ويتواشج التحريك مع التقويم؛ وذلك أنّ العلاقة بين الفاعل الإجرائي[**امحمّد شعبان**] في الرواية مع الموضوع المرغوب فيه [**البحث عن تاريخ الأجداد المغيّب في العهد الاستعماري**]، لا تستوي بعلاقتي الانفصال والاتّصال فقط وإنّما من حيث مدى صدقها؛ إذا قد تتميّز بصفة الصّدق أحيانا أو الكذب أحيايين أخرى، بل وأبعد من ذلك فقد تكون باطلة من الأساس.

وتبرز الخيوط الأولى للرّواية بهيمنة الجمل الاقتضائيّة التّي كانت كعنصر محرّك لعامل المرسل إليه "**امحمّد شعبان**" والّذي تراءى لنا من المقطع الأوّل من الرّواية. وعامل التّحريك هنا تجلّى في معلّمه عندما نادى **امحمد شعبان** بتسمية المنفي وتتجلّى في الملفوظ الآتي:

-**صاح المعلم ذو البدلة البنية بصوته الجهوري:"المنفي..المنفي"**[2]، وهنا تتراءى لنا الخيوط الأولى للتّحريك، مناداته بالمنفي جعلت امحمد شعبان يدخل في دوامة من التساؤل والحيرة التّي جعلته يسأل والده الحاج عبد القوي الّذي طالبه بالانتظار حتى يكبر ويتعرّف على سر تسميته بالمنفي وبعدها طلب منه البحث عن تاريخ الأجداد.

وكذلك إنّ مناداة المعلم ذو البدلة البنيّة للذات امحمّد شعبان كانت بمثابة إرهاصات لفعل التّحول؛ حيث اعترت عامل الذات مجموعة من العواطف من حيرة وتساؤل واستغراب فمناداة المعلم

1 - سعيد بنكراد: مدخل إلى السيميائيّة السّرديّة، ص:93 .

2 - محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:06 .

ل "امحمد اشعبان" بالمنفي جعل هذا الأخير يشعر"**بثقل لقبه وغرابته، لقب مثير لاهتمام كل من يسمعه لأول مرة**"[1]

كما أنّه"**ظلّ حائرا أما لقبه المثير، وصار سجين التّساؤل المحيّر الّذي دفعه إلى عالم الغربة ، وجعله ينتظر من يضيء له جراح هذا الماضي الغامض.**"[2] ويعتبر التساؤل المحيّر كذلك عاملا مرسلا حرّك الذات امحمّد شعبان للحصول على الموضوع الّذي تسعى إليه.

وهكذا أضحت قضيّة معرفة مأساة جدّه امحمد الكليدوني وكذا معرفة تاريخ أجداده في العهد الكلونيالي وكذا معرفة جزيرة كاليدونيا النائية هاجسا يؤرّقه منذ الصغر ويظهر في الملفوظ الآتي:

-**انتظر حتى تكبر يا بنيّ. وطال انتظاره للتعرف على أسرار كثيرة في هذه الحياة الكالحة، منها مأساة والد جدّه وسرّ الجزيرة النّائيّة. منذ تلك الأيّام سكنه شبح المنفي.**[3]

فكانت هذه هي أولى بدايات التحريك الّذي ربط بين الحاضر والماضي؛ إذ انفتح عامل الذات "امحمّد شعبان " على الذّاكرة المنسيّة و"**التحريك يتميّز بكونه نشاطا يمارسه الإنسان تجاه أخيه الإنسان، بهدف الدّفع به إلى القيّام بإنجاز ما من خلال موقعه التوزيعي بين إرادة المرسل وبين الإنجاز الفعلي لبرنامج سردي ما من طرف المرسل إليه [الذات]**"[4]، فلا تحريك إلّا بوجود عامل المرسل الّذي يصبو جاهدا نحو إقناع الذّات نحو إنجاز الفعل للوصول إلى الموضوع المرغوب فيه.

وتستلزم هذه المرحلة التي تشكّل أوّل عتبة من عتبات الخطاطة السردية وجود ذاتين؛ الأولى تدعى بذات الحالة المرسلة والثانية ب: ذات الفعل، وتجلّت الأولى في الرواية في "الحاج عبد القوي"، أمّا الثّانية في "امحمد شعبان ويمكن تمثيل ذلك في المخطّط الآتي:

1 - محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:06.

2 - المصدر نفسه، ص: 07.

3 - المصدر نفسه ، ص:06.

4- سعيد بنكراد: مدخل إلى السّيميائيّة السّرديّة، ص:91 .

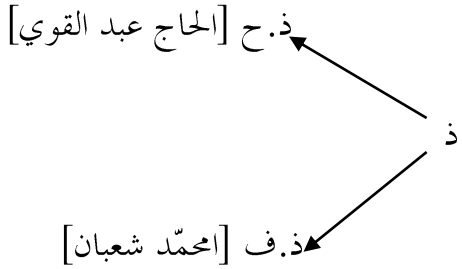

وتقوم الأولى بتحريك الفعل، أمّا الثانية فهي من أجل إنجاز البرنامج السردي الّذي يستلزم بالضرورة البحث عن الموضوع. والرواية توفّرت على ذات الحالة ممثّلة في عامل المرسل "الحاج عبد القوي"بحيث أضحى البرنامج السردي برنامجا مسندا في حين تمثّلت ذات الفعل في "امحمّد شعبان" الّذي يحاول التّعرف على تاريخ الأجداد المغيب في العهد الكولونيالي.

ثمّ تعرف على حليمة كناك بحيث"**عثر على الفيسبوك وبعد بحث طويل على فتاة من جزيرة كاليدونيا الجديدة تدعى حليمة كناك...لقب كناك أثار اهتمامه، واسمها لم يكن إلّا حليمة بنطق فرنسي، فطلب صداقتها ثمّ راسلها باللّغة الفرنسيّة عبر الخاصّ فردّت عليه بسرعة أسعدته..**"[1] ثمّ بعد ذلك "**توطّدت علاقتهما. حدّثها عن الشّيخ امحمّد المنفي فدعته لزيّارة مكان سجن الأشغال الشّاقة وبعض آثاره بمتحف نوميا.**"[2]

فضلا عن ذلك فقد"**تعلّم منها أشياء كثيرة عن الكاليدونين من أصول جزائرية وعددهم لا يقلّ عن عشرين ألف نسمة، ازداد رغبة في معرفة تاريخ والد جدّه. يزوره شبح هذا المقاوم المنفي كلّما حدّثها على الخاصّ في الفيسبوك والده هو من ألقى في نفسه بذرة المنفي...**"[3]

ويتمّ تحريك الذات امحمّد شعبان بتكاتف كل من البعد المعرفي والبعد التداولي، ويتعلّق هذان البعدان بعامل المرسل الذي يقوم بتحريك الذات[امحمّد شعبان] من أجل معرفة أصوله وتتبّع تاريخ أجداده، فكان والده الحاج عبد القوي عاملا مرسلا.

1 – محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:14.
2 – المصدر نفسه، ص:15.
3 – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ينطلق عامل الذات "امحمّد شعبان" لتجسيد موضوع "**البحث عن تاريخ الأجداد المغيّب**" الّذي استفتحت به الرواية، لتبدأ مرحلة التحول ليتعلّق التحريك بعامل المرسل "الحاج عبد القوي الذي جسّد فعل الإقناع من خلال محاولته إقناع الذّات "امحمّد شعبان" للقيّام بالفعل؛ الأمر الّذي جعل الذات امحمّد شعبان يترجم "**الفعل التّأويلي**"والمخطّط الآتي يوضّح ذلك:

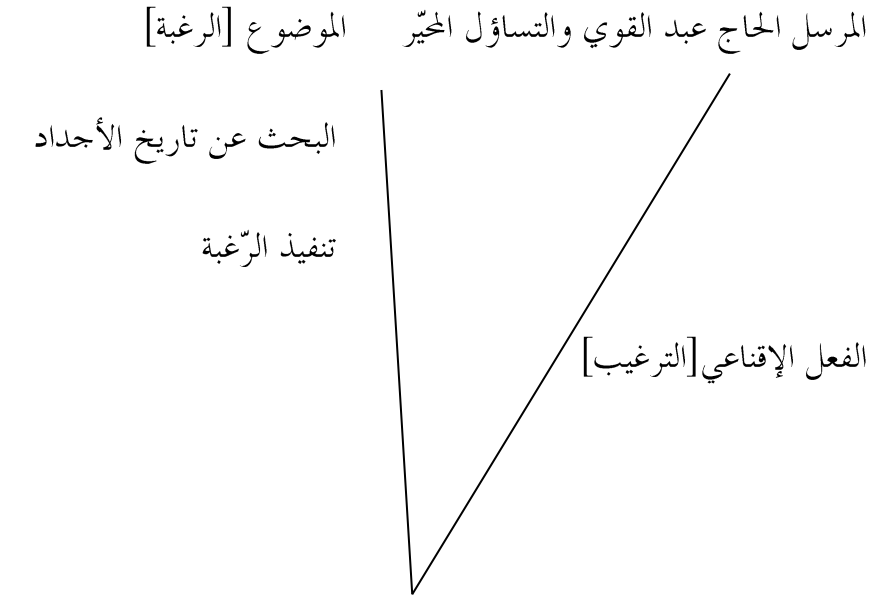

وهنا تجسّدت ثلاثة عوامل: اثنتان في علاقة الرّغبة وهما الذات والموضوع، والثّالث من علاقة التّواصل وهو المرسل"الحاج عبد القوي".

ويمكن لنا أن نوجز التّرسيمة السرديّة للذات امحمّد شعبان في سعيها للتعرف على تاريخ الأجداد المغيب كالآتي:

ف[امحمّد شعبان]∪ م ⟵ ف∩ م

فامحمّد شعبان اجتاحته رغبة في التنقيب ومعرفة تاريخ الأجداد المغيّب، ويظهر بأنّه حقّق ماكان يطمح إليه مجسّدا في ذلك الموضوع المرغوب فيه، مع هذا واجهت الذّات الفاعلة الكثير من المعارضات لكنّها لم تقتنع بالأصوات الضّديدة بل واصلت بحثها لمعرفة الحقائق التاريخيّة المغيّبة .

إذاً، مع كل هذه المعارضات يتحقّق الاتّصال بحضور عامل المرسل المحرّك للذات نحو الموضوع وهو البحث عن تاريخ الأجداد، فتتشكّل علاقة تواصل بين المرسل والمرسل إليه، مع إجبارية وجود علاقة الرغبة بين الذات الفاعلة "امحمّد شعبان" وموضوع القيمة "البحث عن تاريخ الأجداد"، فتتكوّن الترسيمة العامليّة كما هي موضّحة في المخطّط الآتي:

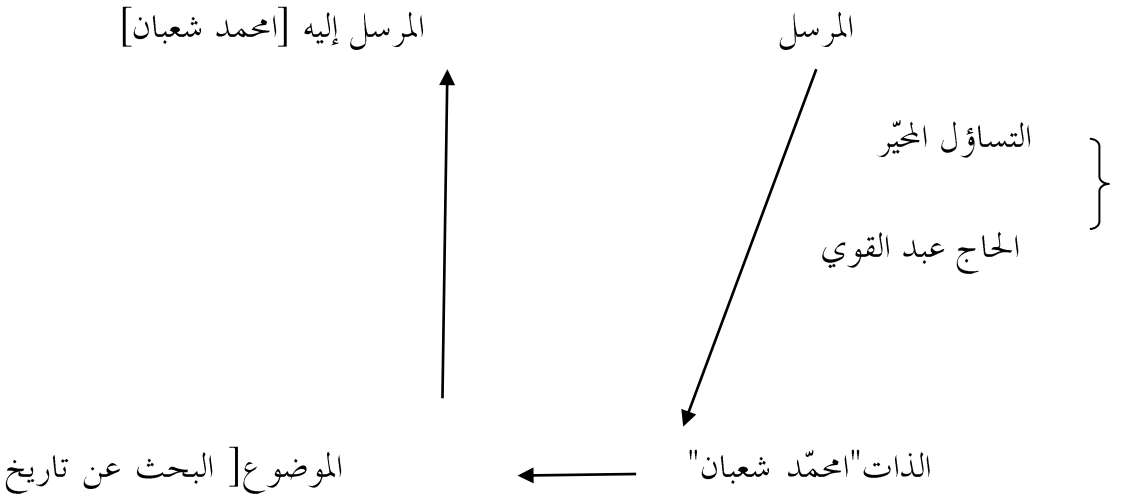

أ-2-الأهليّة: Compétence

علّنا لا نحيد عن جادّة الصواب إذا قلنا بأنّ " **مفهوم التأهيل يعدّ نظريا قابلا للاستثمار على مستوى التّركيب السّردي الّذي يعدّ بدوره إسقاطا تركيبيّا مجرّدا لفعل الذّات البشريّة في علاقتها بالموضوع، لذلك فإنّ التأهيل يصبح مكوّنا من مكوّنات البرنامج السّردي قبل الإنجاز، فالعامل الذّات قبل الفعل والإنجاز، يكون مطالبا بالتّوفر على التأهيل الّذي تحدّده مجموعة من القيّم الجهيّة.**[1]، فالذات لتنجز موضوعها لابدّ لها من أن تمتلك كافّة المؤهّلات الضّروريّة واللّازمة لإنجاز برنامجها السّردي.

1 - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي[البنيات الخطابية-التّركيب-الدّلالة]، ص:241 .

ويحيل النّص إلى وجود وشيجة تربط بين الأهليّة والأداء، والأهلية هي عبارة عن الشروط التي يجب أن تتوفّر في الذّات الفاعلة، للدفع بالفعل إلى التجسيد في طور الأداء الّذي يضبط الحالة النهائية للفعل الّذي حققته الذات.

لذلك "**يبدو بديهيّا أنّ الذات لا يمكنها القيّام بإنجاز إلّا إذا امتلكت مسبقا الكفاءة الضرورية: هكذا يشكّل الاقتضاء المنطقي قبل كلّ اعتبار آخر أساس مكوّن المسار السردي الّذي يسبق الإنجاز، وبالمثل إذا كان الإنجاز رغم القيود المذكورة، يوافق العمل ك "فعل كينونة"، فإنّ الكفاءة يمكن أن تصاغ في نفس السّجل الحدسي كشرط ضروري للعمل، باعتبارها "من يوجد–الكينونة"**[1] فامحمّد شعبان كان يملك الكفاءة اللّازمة الّتي مكّنته من تحصيل الموضوع الّذي رغب فيه.

ويحدّد غريماس الكفاءة في:

1-إرادة الفعل Vouloir de faire

2-وقدرة الفعل Pouvoir de faire

3-معرفة الفعل Savoir de faire

4-وجوب الفعل Devoir de faire

لذلك "**هنا سنحاول أن نتبيّن كفاءة القائم بالفعل، إن كانت بإرادته أم بقدرته أم بمعرفته أم بهذه المقوّمات معا، أم ببعض الأنماط الّتي تدخل في سيّاق المزج بين بعضها واختزال بعضها الآخر، فالأمر يتعلّق بجملة من الموجّهات.**"[2]

1- جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائيّة السرديّة والخطابية، تر: جمال حضري، ص:33 .

2- نادية بوشفرة: مباحث في السيميائيّة السّرديّة، ص:61

والفاعل الإجرائي يمتلك هذه القيّم الصيغيّة كلّها وهي التّي يستطيع من خلالها التعرف على تاريخ الأجداد المغيّب، ليكلّل برنامجه السردي بالنجاح.

1-وجوب الفعل/إرادة الفعل:

ترتكز هذه الموجّهات على قوّة الفاعل بحكم استباقها للفعل، من خلال الوجوب والإرادة الممهّدين لتحقيق الفعل، لذلك أتت في سيّاق مضمر كامن قبل النّشاط الّذي يؤدّيه الفاعل.[1]

ومن خلال هذين العنصرين يدرك الفاعل الإجرائي بأنّه يريد أو يجب عليه أن يجسّد المهمّة الموكولة إليه؛ إذ يتمّ تبليغ هذين العنصرين [وجوب الفعل/إرادة الفعل] من عامل المرسل الّذي قد يعدّ هو كذلك فاعلا إجرائيّا الّذي يقوم بتنفيذ معطى بمنأى عن أيّ ضغط، الأمر الّذي يحقّق الاتّصال.

تطالعنا الرواية بأنّ الفاعل الإجرائي يتوفّر على عنصر الرغبة والإرادة، ويظهر ذلك من خلال الملفوظات الآتية:

-إنّه يريد أن يعرف تاريخه المغيب.[2]

-ازداد رغبة في معرفة تاريخ والد جدّه. يزوره شبح هذا المقاوم المنفي كلّما حدّثها على الخاصّ في الفيسبوك والده هو من ألقى في نفسه بذرة المنفي..."[3]

2-معرفة الفعل/ قدرة الفعل:

تعتبر موجّهات التحيين امتدادا لموجّهات الإضمار، لأنّها تعرّف بمدى قدرة الفاعل على إنجاز الفعل.[1]

1 - المرجع نفسه، ص:62 .
2 - محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:07 .
3 - المصدر نفسه، ص:15.

فنستنتج أنّ ذات **امحمّد شعبان** الفاعلة تتمتّع بقدرات كبيرة، وهي تطمح إلى تحقيق غايتها وتكمن الكفاءة في امتلاك "**امحمّد شعبان**" للرغبة، وهي عبارة عن إحساس يصدر من أعماقه هذا الإحساس ممزوج بروح التحدي للظفر بالموضوع وهو البحث عن أصول الأجداد

ويعرف الفاعل الإجرائي "**امحمّد شعبان**" أنّ تاريخ أجداده مغيّب وليس من السهولة إعادة التنقيب فيه كما يعلم بأنّ عدّة هواجس تلاحقه، ويعرف طريقة معرفة تاريخ أجداده؛ وذلك من خلال عدّة مساعدين بدء من الحاج عبد القوي والرسائل الثلاث وكذا جريدة المبشر فضلا عن قصاصة جريدة المبشر وقوقل واليوتيوب وغيرها.

في مقابل ذلك نجدّ أنّ الفاعل الإجرائي "**امحمّد شعبان**" له القدرة على إنجاز المهمّة الموكولة إليه لأنّه يملك كل قواه العقلية والجسديّة كلّ ذلك كانت كعوامل مساهمة في إنجاز امحمد شعبان لبرنامجه السردي.

ويمكن تلخيص ما سبق في الجدول الآتي:

الكفاءة	الإنجاز

1 - نادية بوشفرة: مباحث في السّيميائيّة السّرديّة، ص:63 .

جهات مضمرة	جهات محيّنة	جهات محقّقة
-إرادة فعل البحث في تاريخ الأجداد -واجب الفعل أمام الشعور بحتمية البحث	-القدرة على فعل البحث -معرفة السبل لتحقيق الموضوع	الوصول إلى الحقائق التّاريخيّة ومعرفة الأجداد

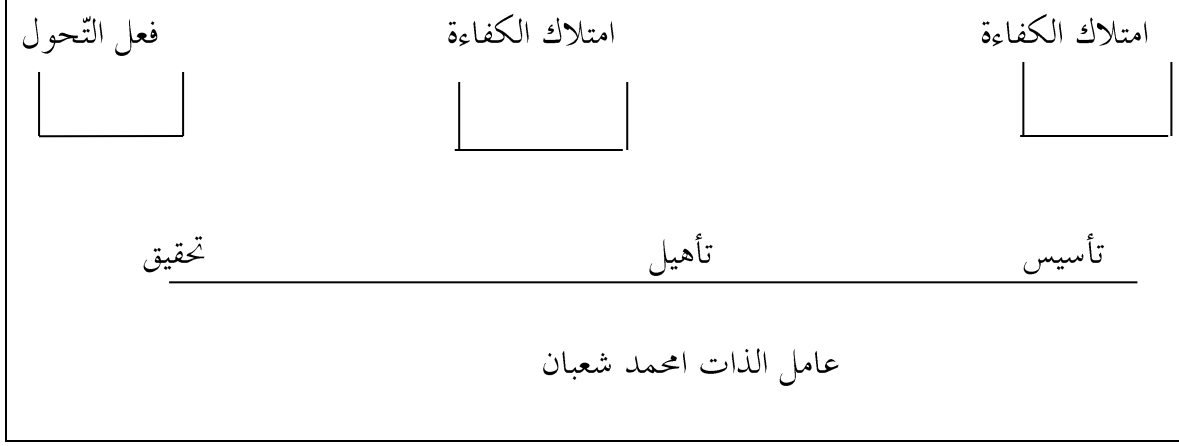

ومن طور الأهلية سنحاول التطرق إلى طور الإنجاز في الترسيمة السردية؛ لأنّه يحدّد لنا أبرز معالم الصراع بين عوامل السرد في الخطاطة السردية، ويضبط لنا مدى الظفر بالموضوع المرغوب فيه من قبل الذات الفاعلة.

أ-3-الإنجاز: La performance

تعدّ مرحلة الإنجاز في البرنامج السردي فعل الكينونة، فهي طور تنفيذ العمل والبدء فيه، لكن نجد أنّ الفاعل الإجرائي "امحمّد شعبان" تقف أمامه الكثير من العوائق الّتي كانت تريد أن تحول بينه وبين الموضوع الذي يسعى إليه، ولا غرو أنّ المعارض الأوّل له هو والدته الّتي ترفض بشدّة ما يصبو إليه ابنها والّتي تريده أن يتزوج ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي:

-والدته المنطويّة على نفسها، لا تريده أن يبدّد وقته في البحث عن هذا الشّبح، فهي تريده أن يكمل نصف دينه قبل وفاتها..[1]

فوالدته حاولت إقناعه بالعدول عن المهمّة التّي يريد إنجازها داعية إيّاه للزواج بالمعلّمة زولة إلّا أنّها فشلت في إقناعه وواصل مهمّته.

فإذا كان البرنامج الرئيس لامحمّد شعبان وهو البحث عن تاريخ الأجداد، فإنّ البرنامج السّردي المضاد للأم وهو منع ابنها من البحث عن تاريخ الأجداد قد فشل؛ لأنّها لم تستطع إقناعه بالعدول عن البحث عن تاريخ الأجداد ومن ثمّة فشلت في تزويجه بالمعلّمة زولا، فتتزلق بذلك الأمّ الحاجة صفية من خانة المعارض إلى خانة المرسل.

وكذلك المعارض يتمثل في العامل فتحي فكاك ويظهر ذلك جليّا في الملفوظ الآتي:

-استغرب رئيس مصلحة الكتاب فتحي فكاك لانشغال زميله بالتّاريخ المحلّي، وحثه على مطالعة ما كتبه المؤرخون عن الجزائر المعاصرة، وذكر له موقفهم المستهجن لكتابة التاريخ المحلي..."[2] لكن لم يستطع أن يقنع **امحمد شعبان** ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي:

-كان رد امحمّد شعبان عنيفا فاتهم هؤلاء المؤرّخين بالكتابة الإيديولوجيّة الّتي أقصت ما أسمته بالتّاريخ المحلّي من مجال التدريس والتأليف[3].

1 - محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:15.

2 - المصدر نفسه، ص:47 .

3 -. محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:47.

فضلا عن المعارضين الذين حاولوا أن يحولوا بين الذات وموضوعها وهو العامل الجماعي والمتمثّل في الباحثين الأكاديميين الّذين غيّبوا التّاريخ المحلي في دراساتهم وأبحاثهم. ويظهر ذلك في الملفوظ الآتي:

-...بعد محاضرة ألقاها الدكتور المنان عن الأندلس ودور العرب في نهضة الغرب. طرح له امحمد شعبان انشغاله بقضية المنفيين فقال له المحاضر بأنه لا يهتم إلا بتاريخ الأمم الراقية، فقضيته دولية واهتماماته حضارية كما ظل يردد بحماسة.[1]

وكذا أحمد الصمّ يعدّ معارضا لـــــــــــ "امحمّد شعبان" في سعيه للبحث عن تاريخ الأجداد ويتجلّى ذلك في الملفوظ الآتي وعلى لسان أمحمد الصّم:

-كان لنا تاريخ أم لم يكن فنحن اليوم في حاجة إلى من يساعدنا لبناء مساكننا القديمة، وتعبيد الطريق، والحصول على القروض لحفر الآبار وتربيّة الأبقار.

-التاريخ يصنع اليوم فدعك من مطاردة أوهام الماضي.[2] لكنّه فشل في إقناع امحمّد شعبان في التّراجع عن فكرته.

ويمكننا أن نحدّد البنية العامليّة للعوامل السرديّة المتضافرة في تشكيل البرنامج السردي كالآتي:

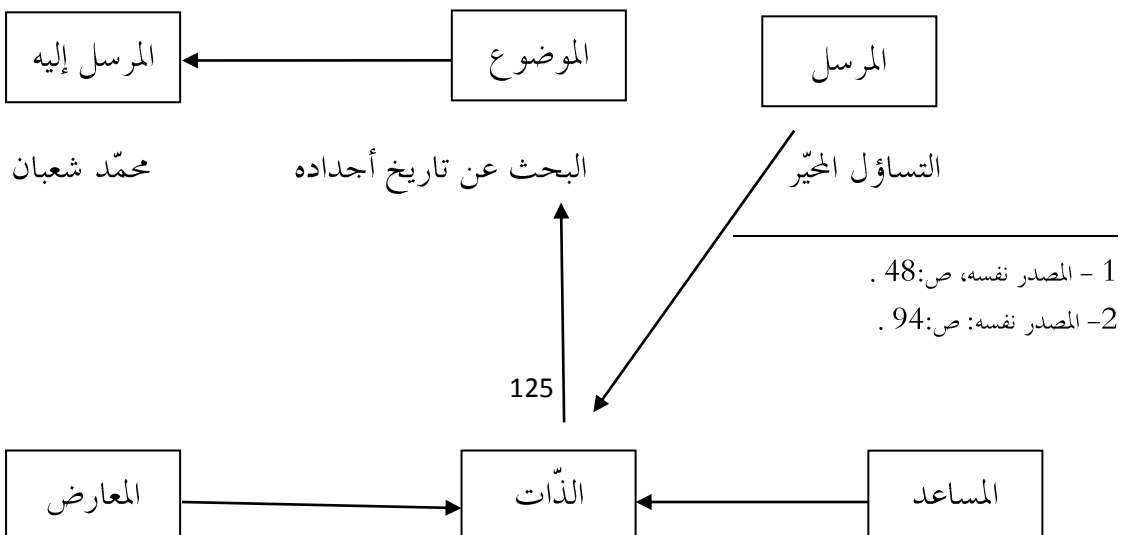

1 - المصدر نفسه، ص:48 .
2- المصدر نفسه: ص:94 .

الوالد الحاج عبد القوي

- عاشور الزكري	امحمّد شعبان	-الأمّ
- الحاج عبد القوي		- فتحي فكاك
- الرسائل الثلاث		- المؤرّخون
- قصاصة من جريدة المبشّر		- أحمد الصمّ
- المشري		-الباحثون الأكاديميون
- أحمد الصّم		
- قوقل واليوتيوب		

وقد تحقّق البرنامج الرئيس للعامل الذات "امحمّد شعبان" وذلك عبر مروره عبر عدّة مراحل وخطوات.

أ-4 -الجزاء: Sanction

وهو آخر أطوار الخطاطة السردية؛ إذ "**يبرز كينونة الكينونة وفي ترابطه مع التّحريك المؤسس للبرنامج السردي المستهدف، يقدّم معالجة للبرنامج المحقق في سبيل تقويم ما تمّ تحويله**"[1]

[1]- ميشال آريفيه وآخرون: السيميائية السردية وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، ص:115

ومنه في مرحلة الجزاء يتم فيها تقييم الأفعال الّتي تمّ إنجازها من المرحلة البدئيّة إلى المرحلة النّهائيّة، وجزاء الفاعل الإجرائي "امحمد شعبان" هو التعرف على تاريخ الأجداد المغيّب.

بناء على هذا بمقدورنا ضبط الحالة البدئيّة والحالة النّهائيّة لعلاقة الذّات الفاعلة "امحمد شعبان" بالموضوع"تاريخ الأجداد" الّتي تتولّد عنها صلات وفصلات بموضوعات القيمة ويمثّلها المخطّط الآتي:

الحالة البدئيّة:

م.ح: ذ.ف ∪ م ⟵ ذ.ف: ذ.ف ∩م

الحالة النّهائيّة:

[ذ.ف ∪ م ⟵ ذ.ف ∩ م]

من خلال المخطّط يتبيّن لنا بأنّ الذات الفاعلة "امحمّد شعبان" كانت منفصلة عن الموضوع "التعرف على تاريخ الأجداد"، ثمّ صارت متّصلة به، الأمر الذّي أفضى إلى نجاح البرنامج السّردي الّذي كان يصبو إليه الفاعل الإجرائي منذ الخيوط الأولى للرواية.

وهذا"**التحوّل من حالة الانفصال إلى حالة الاتّصال بالموضوع وبقيمة يظلّ رهينا بالفعل المحوّل الذّي ينجزه عامل الفعل والّذي يتمظهر من خلال المركّب الثاني للبرنامج السردي بعد التأهيل ..**"[1]

ب/ثنائيات النموذج العاملي للبرنامج السردي للذات امحمد شعبان وموضوعها [البحث عن تاريخ أجدادها المغيبّ]:

1- عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي[البنيات الخطابيّة-التّركيب-الدّلالة]، ص:247 .

تتكوّن هذه التّرسيمة العامليّة من ثلاث مزدوجات من حيث الطّبيعة والدّور العاملي الّذي تقوم به وهي:

ب-1-مزدوجة المرسل-المرسل إليه: Destinateur/Destinataire

إن ما يشدّ الانتباه في هذه التّرسيمة هو ثنائيّة الإرسال فتراوحت بين التّساؤل المحيّر ووالد محمد شعبان وهو "الحاج عبد القويّ"، فيبدو التساؤل المحيّر من الناحية الصرفية عبارة عاملا مجرّدا في حين يعدّ الحاج عبد القوي عاملا مشخّصا ومفراد في الآن نفسه.

وهكذا كان المحرّك لعامل الذات امحمد شعبان هو التساؤل المحيّر وكذا **الحاج عبد القوي** بغية التعرف على ماضي وتاريخ أجداده وفضلا عن حكايات جدّته الّتي عمّقت فيه جرح الماضي ويظهر ذلك من خلال الملفوظات التالية:

-صار سجين التساؤل الحيّر الذّي دفعه إلى عالم الغربة، ويجعله من يضيء له جراح هذا الماضي الغامض. آه ..من تلك الجراح.[1]

-والده هو من ألقى في نفسه بذرة المنفي[2].

-جدّته عمّقت الجرح بحكاياتها عن هموم الماضي المعطوب[3].

-لقد حدّثتك عن جدّي الشّيخ امحمّد المنفي، واليوم أريد أن تطّلع على رسائله الّتي لا تقدّر بثمن، ستجد فيها معلومات هامّة لا بعرفها المؤرّخون ورجال الحكومة. أحبّ أن تعرف كلّ شيء عن جدّي. احذر أن تضيّعها. إنّها كنز ثمين، تساوي كلّ مال الدّنيا. حافظ عليها يا امحمّد.[4]

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:07 .
2- المصدر نفسه، ص:15 .
3- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:15
4- المصدر نفسه: ص:30.

-حان الوقت للبحث عن الحقيقة. اهتم قليلا بأجدادك الصناديد. التفت إلى ماضيهم المجيد..[1]

والّذي يلفت الانتباه في خانة التلقي هو أنّ أنّها تألّفت من ممثّل واحد ويتجلّى في احمد شعبان الّذي سيكون مستفيدا من حالتي الانفصال والاتّصال، وتشغل في هذه الحالة، وظيفة نحوية مزدوجة، كون شخصية احمّد شعبان تشغل خانتين مختلفتين : الأولى هي التلقي، والثانية تكمن في الذّات الموجّهة للرّغبة.

لنكتشف في الأخير أنّ شخصيّة احمّد شعبان هي عبارة عن مرسل إليه وفي الوقت نفسه يعدّ ذاتا باعتبار احمّد شعبان هو من طُلب منه البحث عن تاريخ الأجداد ممّا سيجعل البرنامج السردي يتكّلل بالنّجاح .

ب-2-مزدوجة: الذّات- الموضوع: Sujet/Objet

يتحدّد العامل الذات [**احمّد شعبان**] في علاقته بالموضوع [**البحث عن تاريخ أجداده**] انطلاقا من علاقة الرغبة؛ فاحمّد شعبان يرغب في الحصول على موضوع القيمة [التعرف على ماضي وتاريخ أجداده] و" **تجمع هذه العلاقة بين من يرغب[الذات]، وبين ما هو مرغوب [الموضوع]، وهذا المحور الرئيسي يوجد في أساس الملفوظات السّرديّة البسيطة.**"[2].

ولا شكّ أنّ قيمة الذات "**احمّد شعبان**" لا تتأتّى إلّا من خلال موقعه التّركيبي في علاقته بموضوعه وهو البحث والحفر عن ماضي وتاريخ الأجداد وسرّ تسميّته بالكليدوني.

كما أنّه هناك ذات واحدة تصبو إلى تحقيق موضوع قيمتها والمتمثّل في معرفة أصول جدّه محمد المنفي إلى كاليدونيا، فالذات هنا عامل مفرد ومشخّص في الآن ذاته في حين يغدو موضوعها مفردا ومجرّدا من حيث التّجليّ النّحوي ومن حيث القيمة. لكن الذّات لم تكن وحدها في البحث

1- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2- حميد لحميداني: بنية النّص السردي من منظور النّقد الأدبي، ص:33-34 .

عن موضوعها الفرضي بل كانت لها مساندة فعلية وخاصّة من والده الحاج عبد القوي الذّي يعتبر عامل مساعد في بلوغ الذات لهدفها في مقابل ذلك نجد عامل المعارض والمتمثّل في الوالدة الّتي أرادته أن يبعد تفكيره وأنظاره عن البحث عن ماضي الأجداد وتاريخهم ودعته إلى الالتفاف لموضوع الزواج بحكم خوفها على مستقبله وكذا تريدها أن ترى أحفادها، وكذا لاقى امحمد شعبان معارضات كثيرة من عدّة عوامل كما أشرنا إليها سابقا، إلّا أنّ كلّ مساعيها باءت بالفشل؛ كونها لم تستطع إقناع امحمد شعبان بالعدول عن فكرته.

ب–3– مزدوجة: المساعد/المعارض Adjuvant/Opposant:

مما هو جدير بالتذكر هو "**أنّ ترسيمة غريماس يكون أساسها رغبة الفاعل في تحقيق الهدف من خلال التّحول أو تحقيق اتصال ما يوثّق العلاقة بين المرسل والمرسل إليه من خلال الكشف عن محور الرّغبة التي توجه بالأساس إلى نوعين من القوى، أحدهما قوى داعمة مساعدة وأخرى مقوضة...**"[1]

وبناء على ما تقدّم نستنتج بأنّه "**لا يمكن لأي فاعل ذات مهما كانت قدراته الحركية أن يتوصل إلى مجمل أهدافه بغير العامل المساعد، الذي يقع على عاتقه نصرة أهداف الفاعل الذات، وقد يكون العامل المساعد شخوصا أو مواقف، بل إنّ المواقف هي ناجمة من فاعلية حركة الشخوص**".[2]

وهكذا "**يقوم المساعد بتقديم يد العون للفاعل قصد تحقيق رغبته في موضوع القيمة، أو تسهيل عمليّة الاتّصال –التواصل– به، فيما يقابله المعارض في وظيفة معاكسة لاتّجاه المساعد بخلقه لعدد من العراقيل لأجل إعاقة الفاعل في مساعيه وتحقيق أهدافه.**"[3]

1– ناصر شاكر الأسدي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص:42 .

2 – ناصر شاكر الأسدي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص:83 .

3– نادية بوشفرة: معالم سيميائيّة في مضمون الخطاب السّردي، ص:89.

ومنه فالذات الفاعلة لا تتّجه نحو سهم الرّغبة وموضوع قيمتها بنفسها، وإنّما هناك من يقدّم يد العون حتّى يحقّق مرماه المبتغى منه، و لم يكن لـــــ"**امحمّد شعبان**" أثناء رحلته للبحث عن تاريخ أجداده مساعد واحد بل تعدّد المساندة، فالمساعدون كانوا بمثابة اليد اليمنى له للوصول إلى هدفه.

وعليه يعدّ والده الحاج عبد القوي عامل مساعد للذات امحمد شعبان في البحث عن موضوع قيمتها ألا وهو البحث عن تاريخ الأجداد؛ حيث راح يسلمه ثلاث رسائل كانت موجودة في الصندوق الخشبي ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي:

-ثم التفت الحاج عبد القوي نحو الصندوق الخشبي، وأخرج منه ثلاث رسائل صفراء مغلفة بكاغط مقوى رمادي، وسلمها إلى ابنه قائلا بصوت صارم:

-لقد حدثتك عن جدي الشيخ امحمد المنفي، واليوم أريد أن تطلع على رسائله التي لا تقدر بثمن، ستجد فيها معلومات هامة لا يعرفها المؤرخون ورجال الحكومة. أحب أن تعرف كل شيء عن جدي. احذر أن تضيعها. إنها كنز ثمين، تساوي كل مال الدنيا. حافظ عليها يا محمد.

ثم بلهجة الخائف على المستقبل:

-حان الوقت للبحث عن الحقيقة. اهتم قليلا بأجدادك الصناديد. التفت إلى ماضيهم المجيد..."[1]

ثم أضاف له والده قائلا:"**-اقرأها بجد. إنها مكتوبة بخط جدك المنفي**"[2].

وممّن كان عامل مساندة بالنّسبة ل "امحمّد شعبان" لبلوغ هدفه هوّ"**عاشور الزّكري**" بحيث اطّلع **امحمّد اشعبان** على معلومات عن المنفيين في كاليدونيا الجديدة وكورسيكا ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي:

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:30 .

2- المصدر نفسه، ص:31 .

-قضى المحمّد اشعبان أكثر من ثلاث ساعات في بيت عاشور الزكري، أفاده بمعلومات كثيرة عن المنفيين إلى كاليدونيا الجديدة وكورسيكا، وأمده بوثائق عن المظاهرة الشعبية التي قام بها سكان المنطقة ضد زيارة نابليون الثالث لمدينة غليزان في صيف 1865 قال له إن الإمبراطور لم يكن ينتظر تلك المظاهرة الشعبية المطلبية. تفاجأ الحاكم العام"ماكماهون" بما شاهده في ميدان المدينة، فسارع إلى تهريب نابليون الثالث إلى مدينة مستغانم"[1].

-حدّثه عاشوزر الزكري عن هذه اللحظات التاريخيّة فقال له إنّ الإمبراطور هرب متنكّرا في برنس أحد "السّبايس"، وقد نقله مرافقوه في عربة غير عربته التي دخل بها مدينة غليزان. فرّ إلى مستغانم وهو يشعر بالنّجاة من خطر حقيقي. كاد يقتله المتظاهرون لولا يقظة ماكماهون وحرسه."[2]

و لم يتوقف المحمّد شعبان عند هذا الحد بل"**واطلع المحمد شعبان على وثائق أخرى كان يحويها ملف كتب عليه عنوان"المقاومات الشعبية"، وقد عرف من خلال هذه الوثائق أن قبائل غليزان، وبعد إخماد ثورة سيدي الأزرق بلحاج، تعرضت لكل أنواع القمع، ففرض عليها عسكر الاحتلال الفرنسي كل أنواع الضرائب المجحفة ورحل جل سكانها إلى المحتشدات بعدما استولى على أراضيهم الخصبة، ونفى جل الثوار إلى كورسيكا وكاليدونيا الجديدة."**[3]

وتجلّى كذلك عامل المساعد في قصاصة من جريدة المبشّر ويتجلّى ذلك في الملفوظ الآتي:

-وقرأ في قصاصة من جريدة "المبشر" الفرنسية أن الإمبراطور نابليون الثالث وصل مدينة غليزان يوم 21 جوان 1865 صباحا، وغادرها إلى مستغانم على السادسة مساء من اليوم نفسه، ولم

1- ناصر شاكر الأسدي: التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي، ص:78 .
2- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:79.
3- ناصر شاكر الأسدي: التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي، ص:78 .

تسمح له المظاهرة الشعبية العارمة بتدشين السّد المبني لاستغلال مياهه في سقي أراضي سهل "مينة" التّي اغتصبها الكولون.."[1]

فضلا عن ذلك يكمن عامل المساعد في **قوقل واليوتيوب** ويظهر ذلك في الملفوظ الآتي:

-فتح محرّك "قوقل"وكتب عبارة "المنفيون الجزائريون"، ثمّ شرع في بحث قصير أنجزه كاتب فرنسي عن المنفيين الفرنسيين إلى كاليدونيا الجديدة بعد ثورة كومونة باريس سنة 1871، ووجد في يوتيوب آخر تحقيقا عن المنفيين بعد إخماد ثورة الشيخ المقراني ...[2]

وممّا يمثّل عامل مساعد لامحمّد شعبان الحاج بلقاسم الصم ويظهر ذلك في الملفوظ الآتي:

-كانت جل الأراضي ملكيّة للعرش، وجدّكم الشيخ امحمّد بن عدّة لم يكن يملك إلّا أرض البرواق، طمع فيها المعمّر "فيولا" وأرغمه على التّنازل عنها. كان جدّكم رجلا زاهدا في الحياة تعلّق قلبه بالدّين...ونفي إلى كاليدونيا الجديدة"[3]

وظهر مساعد آخر في ثنايا الرواية وهو مساندة الكهل ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي:

–...انصت امحمّد شعبان باهتمام كبير إلى هذا الكهل الّذي تكلّم بفخر عن جدّه امحمّد الكليدوني وذكر أنّه قاوم عساكر الاحتلال الفرنسي، ثمّ نفي إلى كاليدونيا الجديدة..

ثمّ فرّ منها في سفينة أوصلته إلى ميناء جدّة، وهو ينتسب إلى الجبل الأخضر.[4]

ويمكن إيجاز العوامل المساعدة للذات لامحمّد شعبان في المخطط الآتي:

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص: 79/78.
2- المصدر نفسه، ص: 82/81 .
3- المصدر نفسه، ص:93 .
4- محمد مفلاح: شبح الكليدوني ، ص:102.

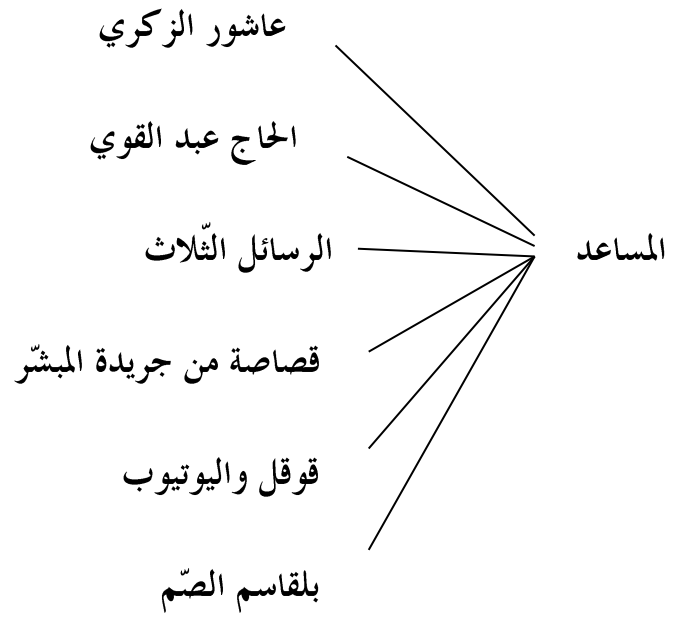

لاشك أن العامل المعارض، يقوم على الفصل في حركة الفاعل الذات وحركة موضوعه، ويميل إلى وضع العقبات اللازمة لتأخير عملية الوصول إلى الهدف...[1] وعلى إثر ذلك سنقوم بإحصاء العوائق التي حاولت أن تحول بين امحمّد شعبان وموضوعه.

والّذي تراءى لنا من خلال البرنامج السردي للذات امحمد شعبان والبحث عن موضوعها تاريخ الأجداد المغيّب هو أنّ العراقيل الّتي واجهتها كانت من عدّة أطراف دون أن تكون ذواتا بالمعنى الحقيقي؛ لأنّها ليست وراء إنجاز برامج سرديّة ضديدة بغية إفشال مخطّطها ما عدا العامل المعارض والممثّل في الأمّ الّتي كان لها برنامج سردي ضديد فانزلقت من خانة المعارض إلى خانة المرسل في البرنامج السردي الضديد.

ومن بين المعارضين نذكر:

صعوبة فك خط الرسائل، ويظهر ذلك في الملفوظ القائل:

-تسلم الرسائل الثلاث من والده ثم بسطها أمام عينيه الحادتين. كانت صفراء مكتوبة بخط مغاربي مائل إلى اليمين. وهمس:

1- ناصر شاكر الأسدي: التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي، ص:753 .

-أخشى أن أجد صعوبة في فكها[1].

وكذلك المعارض يتمثل في العامل فتحي فكاك ويظهر ذلك جليّا في الملفوظ الآتي:

-استغرب رئيس مصلحة الكتاب فتحي فكاك لانشغال زميله بالتاريخ المحلي، وحثه على مطالعة ما كتبه المؤرخون عن الجزائر المعاصرة، وذكر له موقفهم المستهجن لكتابة التاريخ المحلي..."[2]

فضلا عن المعارضين الذين حاولوا أن يحولوا بين الذات وموضوعها ثمّة معارض آخر جماعي ومتمثّل في الباحثين الأكاديميين الذين غيّبوا التّاريخ المحلي في دراساتهم وأبحاثهم.ويظهر ذلك في الملفوظ الآتي:

-...بعد محاضرة ألقاها الدكتور المنان عن الأندلس ودور العرب في نهضة الغرب. طرح له المحمد شعبان انشغاله بقضية المنفيين فقال له المحاضر بأنه لا يهتم إلا بتاريخ الأمم الراقية، فقضيته دولية واهتماماته حضارية كما ظل يردد بحماسة.[3]

وتجلّى المعارض في الرواية كذلك في المؤرّخين الذين أقصوا التاريخ المحلّي من كتاباتهم.

وظهر معارض آخر في ثنايا الرّواية وهو أمّ المحمّد شعبان والتّي حاولت أن تقنعه بالزّواج والابتعاد عن البحث عن تاريخ الأجداد.

وكذا أحمد الصمّ يعتبر معارضا لامحمّد شعبان في سعيه للبحث عن تاريخ الأجداد ويتجلّى ذلك في الملفوظ الآتي:

-كان لنا تاريخ أم لم يكن فنحن اليوم في حاجة إلى من يساعدنا لبناء مساكننا القديمة، وتعبيد الطريق، والحصول على القروض لحفر الآبار وتربيّة الأبقار.

1 - محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:33.
2 - المصدر نفسه ، ص:47 .
3 - المصدر نفسه، ص:48 .

-التاريخ يصنع اليوم فدعك من مطاردة أوهام الماضي.[1]

إضافة إلى ظهور معارض آخر في الرواية وهو مشري ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي:

-..اهتم المحمد شعبان كثيرا بما كان يروى عن موقف مشري من جدّه الشيخ أمحمد المنفي وأحفاده القاطنين بمنطقة بوراي الكاليدونية...، فاستقبله مشري بوجه عابس وقال له إننا لا نعلم شيئا عن هذا المنفي الذي جئت مدينتنا للتعرف على ذريته، وإذا أردت أن ترثه فاعلم أن دوار الشيخ كلّه صار ملكا لأولاد الصّم..[2]

والمخطّط الآتي يوجز لنا المعارضين لعامل الذات امحمّد شعبان في سعيها للبحث عن البحث عن تاريخ الأجداد:

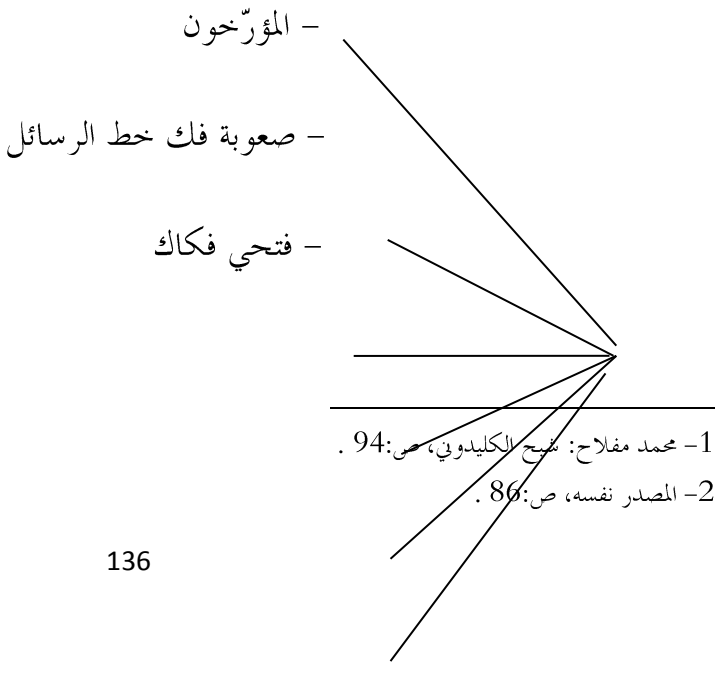

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:94 .
2- المصدر نفسه، ص:86 .

المعارض – الباحثون الأكاديميّون

– أحمد الصّم

– الأمّ

– مشري

و المخطّط الآتي يوضّح كيفية تمفصل العوامل وانتظامها في البرنامج السردي الّذي يلعب فيه امحمّد شعبان وظيفة الذّات:

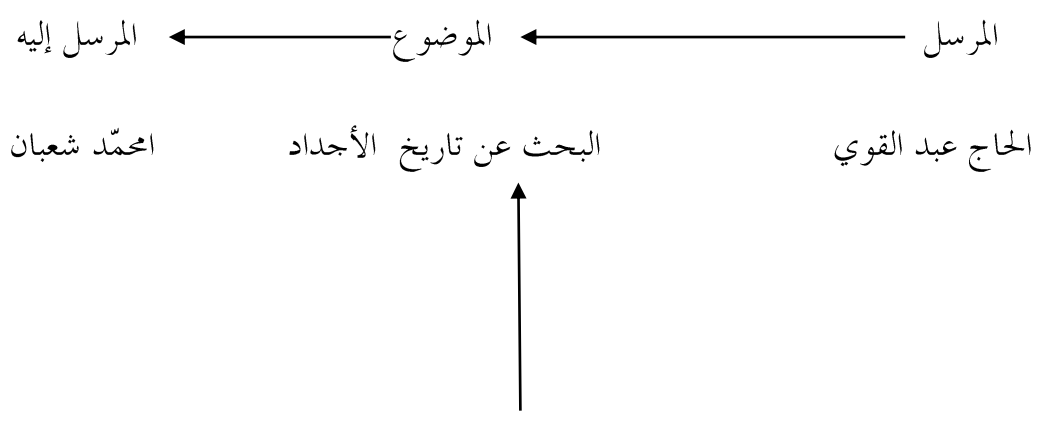

المساند ← الذّات → المعارض

الحاج عبد القوي	محمّد شعبان	الأمّ الحاجة صفيّة
الرّسائل الثلاث التي		الباحثون الأكاديميّون
تسلّمها محمد شعبان من أبيه		صعوبة فكّ الرّسائل
عاشور الزّكري		فتحي فكّاك
قصاصة من جريدة المبشّر		المؤرّخون
		مشري
		أحمد الصّم

ويمكن تلخيص ما تمّ التّطرّق إليه في الجدول الآتي:

الممثل	الدور العاملي	مشخص	مشيأ	مجرد	فردي	جماعي	قيمي
محمد شعبان	ذات/مرسل إليه	×			×		
التعرف على تاريخ الأجداد	موضوع قيمة				×		×

التساؤل المحير	المرسل			×			×
الحاج عبد القوي	مساعد	×			×		
الرسائل الثلاث	مساعد			×			
قصاصات من جريدة المبشّر	مساعد			×			
عاشور الزكري	مساعد	×			×		
المؤرخون	معارض	×				×	
الباحثون الأكاديميون	معارض	×				×	
مشري	معارض	×			×		
الأم	معارض	×			×		

من الجدول يظهر لنا وجود الممثل البشري ويكمن في امحمد شعبان والحاج عبد القوي وعاشور الزكري والمؤرخين وكذا الأم، إضافة إلى الباحثين الأكاديميين ومشري، والممثل البشري ينقسم بدوره إلى الفردي والجماعي وهناك من الممثلين ما هو مجرد مثل: التساؤل المحير، وهناك ما هو مشيأ مثل الرسائل الثلاث، وقصاصات من جريدة المبشر.

1-2-الموضوع الثّاني: البحث عن قبر جدّه

طلب الحاج عبد القوي من امحمد شعبان البحث عن قبر جده بعدما تعذّر الوصول إليه بسبب عدة ظروف كانت حائلا دون تحقيق الحاج عبد القوي لذلك، فالجزائر كانت تعيش عدّة مآس إبان ثورة التحرير ثم لحقتها الأزمات مما أفضى إلى تشوش فكر الجزائري الذي أنساه تاريخه ويظهر ذلك في الملفوظ التالي :

-أهوال الثورة منعتني من البحث عنه، ثم عشنا أزمات متلاحقة تشوش فيها فكرنا فنسينا تاريخنا...[1]

فراح الحاج عبد القوي يحثّ ابنه امحمد شعبان على البحث عن قبر جدهم وأبان له عن عميق سعادته لو حقق له هذا الحلم الذي يراوده ويظهر ذلك في الملفوظ التالي:

- سأكون سعيدا لو تعثر على قبر جدي قبل أن يغيبني الموت.سمعت في صغري أنّه مدفون في جبال الونشريس..."[2]

مضيفا :"**ابحث عنه يا امحمّد. أريد أن أرى قبره قبل وفاتي**"[3]

وهدفه في ذلك هو " **أن تتعرف الحكومة على تاريخ سيدي امحمد المنفي وتضحياته**"[4] وأردف قائلا: "**كان مقاوما كبيرا، عاش منفيّا في كاليدونيا الجديدة، وانضمّ إلى ثورة الكناك، وعاش بينهم، ثمّ فرّ من الجزيرة في سفينة إنجليزيّة تحمل الزّيت إلى أستراليا. وقضى ثلاث سنوات**

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:33 .

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:33 .

في الحجاز. ثمّ رجع إلى الوطن مع موكب حجاج المغرب متنكّرا في زيّ درويش. اليوم نسيته الحكومة والمؤرّخون وكلّ النّاس في هذا الزّمن الغدّار."[1]

بعدها **"شعر امحمّد شعبان بأنّه على خطى طريق الشيخ امحمّد المنفي بعدما سكنته رغبة البحث عن تاريخه وقبره.، شرع في تسجيل بعض ملاحظاته بقلم حبر أسود، وفي نيّته أن يغامر بالسّفر نحو جبال الونشريس الشّاهقة.[2]**

ولتحقيق موضوع القيمة يستلزم على امحمد شعبان الذهاب إلى الدوار وبالضبط إلى الونشريس ، وبالفعل همّ امحمد شعبان بالسفّر، وعند وصوله قال امحمّد شعبان: **"لم أزركم من أجل الأرض. والدي لم يفكّر يوما في هذا الأمر، له رغبة وحيدة يتمنّى تحقيقها قبل وفاته وهي العثور على قبر جدّه."[3]**

جئت هنا للبحث عن قبره، بطلب من والدي الّذي ناهزت سنّه التسعين.[4]

قال الكهل فرحا:

-إنّه جدّنا الشيخ امحمّد الكليدوني.

وعانق امحمّد شعبان بحرارة، وتابع:

-مرحبا بك في الونشريس وفي بيت ابن عمّك البودالي. غدا ستزور قبر الشيخ امحمّد الكليدوني.

صاح امحمّد شعبان وهو في غاية الانفعال: شكرا لك يا سي البودالي

1- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
2- المصدر نفسه، ص:55 .
3- المصدر نفسه: ص:93 .
4- المصدر نفسه ، ص:103 .

ورفع يديه المرتجفتين أمام وجهه، وعلا صوته:

-الحمد لله أخيرا عثرنا على قبرك يا سيدي الشيخ.

مع بزوغ الفجر استيقظ الرّجلان، وغادرا الزاويّة في اتّجاه الجبال الشاهقة.[1]

وهكذا ثمّة علاقة فصلية بين الذات "**امحمّد شعبان**" وبين الموضوع "**العثور على قبر الجدّ**" ولذلك يستلزم خلق علاقة وصلية أخرى بين الذات امحمّد شعبان وجبال الونشريس وهكذا يمكن لنا أن نمثّل العلاقة الفصلية بين الذات والموضوع : ذ∪ م.

ولتحقيق موضوع القيمة يستلزم على امحمّد شعبان الذهاب إلى الونشريس ليحاول امحمد شعبان تحقيق برنامج سردي رديف؛ إذ دفعه إليه هو الحاج عبد القوي وكذا البحث عن قبر الجد، ليتزلق الموضوع وهو "البحث عن قبر الجد" إلى خانة المرسل في البرنامج الرديف المساعد للبرنامج السردي الرئيس، فاستطاع امحمد شعبان الوصول إلى الونشريس بمساعدة سيارته، ويمكننا ضبط العلاقة بين الذات امحمد شعبان والموضوع الذهاب إلى الونشريس كالآتي:

ذ [امحمد شعبان] ∪ م ⟵ ذ [امحمد شعبان]∩ م

فتحقّق الاتّصال بوجود عامل المرسل الممثّل في الحاج عبد القوي وكذا قبر الجد عامل مرسل ثان، فتتشكّل علاقة تواصل بين المرسل والمرسل إليه تمرّ بحتميّة حضور علاقة الرغبة بين الذات[امحمّد شعبان]، والموضوع [الذهاب إلى الونشريس]، فتتشكّل الترسيمة السرديّة للبرنامج الرّديف كالآتي:

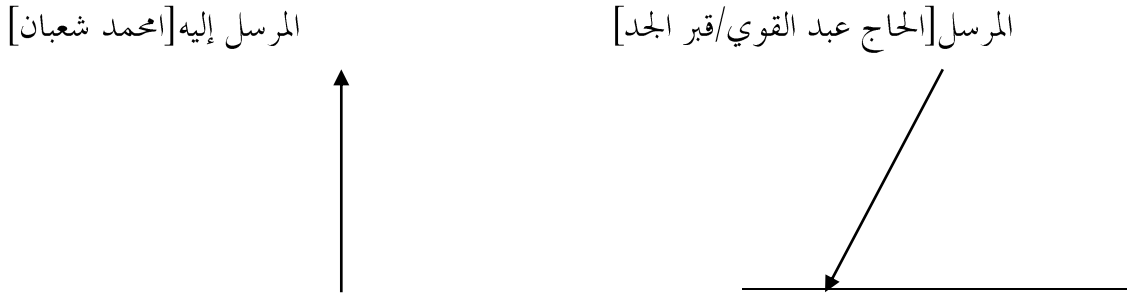

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص: 103

الذات[امحمّد شعبان] ⟵ الموضوع[الذهاب إلى الونشريس]

ويعدّ البرنامج السردي الرديف الممثّل في فاعله الإجرائي امحمد شعبان والموضوع الذهاب إلى الونشريس مساعد للبرنامج السردي الرئيس الّذي تبحث فيه الذات [امحمد شعبان] عن موضوع يتمثّل في "البحث عن قبر الجد"

أ-الخطاطة السّردية للبرنامج السردي لعامل الذات "امحمد شعبان" في بحثه عن قبر جدّه:

يمرّ البرنامج السردي بعدّة مراحل، تؤدّي إلى تجسيده على مستوى النّص السردي ممّا يكتسي بطابع الإجرائيّة، وهذه المراحل هي كالآتي:

أ-1-التّحريك: Manipulation

يعدّ التحريك "**نشاطا يمارسه الإنسان تجاه أخيه الإنسان، بهدف الدّفع به إلى القيّام بإنجاز ما. ومن خلال موقعه التوزيعي بين إرادة المرسل وبين الإنجاز الفعلي لبرنامج سردي ما من طرف المرسل إليه [ذات]...فإنّه يستند أساسا إلى الإقناع ويتمفصل هذا الإقناع في فعل إقناعي يعود إلى المرسل، وفعل تأويلي يعود إلى المرسل إليه**"[1]، وعلى إثر ذلك فالتّحريك يتجلّى بحضور عامل المرسل الذّي يسعى إلى إقناع الذات لإنجاز المهمّة الموكولة إليه، وهذه الأخيرة في الرواية تكمن في البحث عن قبر الجد امحمّد الكليدوني، لذلك تقتضي هذه المرحلة وجود ذاتين وهما ذات الحالة المرسلة وكذا ذات الفعل [امحمّد شعبان]، وتكمن الأولى في الحاج عبد القوي أمّا الثّانية في امحمّد شعبان.

وقلنا فيما سبق تناوله يعدّ التحريك هو اللحظة الأولى نحو توجيه الفاعل الإجرائي للفعل، لوجود أفعال صيغيّة والمتمثّلة في الإرادة والمعرفة، والّتي ستكون لنا وقفة معها في طور الكفاءة

1 – سعيد بنكراد: مدخل إلى السيميائيّة السّرديّة، ص:91 .

ونلاحظ أنّ المحفز والمحرّك لامحمّد شعبان في البحث عن قبر جدّه والده "عبد القوي" الّذي كان محرّكا لذات الفعل ويكمن ذلك في الملفوظ الآتي:

وذلك عندما قال لابنه"**سأكون سعيدا لو تعثر على قبر جدي قبل أن يغيبني الموت.سمعت في صغري أنه مدفون في جبال الونشريس...**"[1]

مضيفا :"**ابحث عنه يا امحمّد. أريد أن أرى قبره قبل وفاتي**"[2]

ويظهر جلّيا من خلال رواية شبح الكليدوني ثمّة انفصال بين امحمد شعبان والموضوع [البحث عن قبر الجد امحمّد المنفي]، ولتحقيق هذه الرّغبة يتطلّب وجود فعل إقناعي من المرسل [الحاج عبد القوي] ويقابله في ذلك فعل تأويلي من الذات [امحمّد شعبان]، وفعلا راح امحمّد شعبان يبحث عن الموضوع بطلب من المرسل وهو والده الحاج عبد القوي.

وامحمد شعبان تملّكته رغبة في معرفة مكان قبر جدّه محمّد الكليدوني ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي:

-شعر امحمّد شعبان بأنّه على خطى طريق الشيخ امحمّد المنفي بعدما سكنته رغبة البحث عن تاريخه وقبره.، شرع في تسجيل بعض ملاحظاته بقلم حبر أسود، وفي نيّته أن يغامر بالسّفر نحو جبال الونشريس الشّاهقة.[3] ولتحقيق طلب والده عبد القوي كان لابدّ على امحمّد شعبان أن يتّصل بجبال الونشريس الشاهقة وذلك بالسّفر إليها.

وهكذا امحمّد شعبان اقتنع بالموضوع وكانت له رغبة ملّحة للحصول عليه، فلم يبد معارضة لطلب والده لأنّه مقتنع تمام الاقتناع بالمهمّة الموكولة إليه.

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:33 .

2 - المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه ، ص:55 .

ونورد كلّ ما سبق تناوله في الخطاطة الآتية:

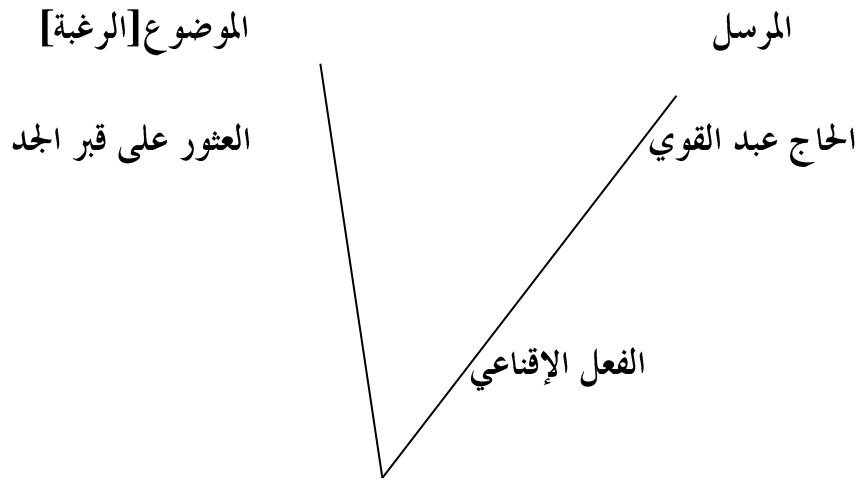

والملاحظ أنّ تحقيق رغبة الذات امحمّد شعبان يتبعها شعورها بالهاجس الّذي أثقل كاهلها.

ويتجلّى القانون المنظّم للسّرد للبرنامج السردي لامحمد شعبان في سعيه للعثور على قبر جدّه من خلال الرواية في ثلاث خطوات:

-**الفرضية:** وتتجلى في الرغبة التي يراد تجسيدها، بحيث عمد"امحمد اشعبان" في تنفيذ طلب والده"الحاج عبد القوي" وهو في العثور على قبر جده"امحمد المنفي"

-**التحيين**:الذّهاب إلى الونشريس

-**الغائية**:كانت النتيجة إيجابية حيث حقّق امحمد شعبان رغبة والده الحاج عبد القوي وهي أنه تم عثوره على قبر جدّه في جبال الونشريس.

وهكذا يمكن إيجازها في المخّطط الآتي:

الفرضيّة ← التّحيين ← الغائيّة

البحث عن قبر الجدّ المنفي البحث عن الوسيلة المثلى للوصول إلى القبر العثور على القبر

لقد حقق بالفعل"امحمد اشعبان"موضوع القيمة الذي كان يودّ تحقيقه، ويرجع الفضل إلى إصراره على تنفيذ طلب والده"الحاج عبد القوي" والمتمثل في العثور على قبر جدّه"امحمد المنفي" المتواجد في جبال الونشريس .

فالحاج عبد القوي هو الحافز الأساسي الّذي حرّك الذات البطل"امحمّد شعبان" للبحث عن الموضوع والرّغبة فيه، لكن أثناء البحث عن الموضوع يتدخّل المعارض الأمّ وبعض سكّان الدّوار كفعل إقناعي يحاول منع الذات من الوصول إلى رغبتها، وبالتالي تقوم بنفي الفعل، ثمّ تدخل في شبه صراع من أجل تنفيذ وصيّة المرسل وهو الحاج عبد القوي، لكن امحمد شعبان تصدّى للعراقيل وواصل مسيرته نحو الموضوع إلى أن جسّده.

أ-2-الكفاءة: Compétence

هي ثاني مرحلة في الخطاطة السردية ويطلق عليها بعضهم بالأهلية، والكفاءة هي عمليّة ضبط الوضعيّة الّتي يكون فيها الفعل المحوّل[للفاعل العملي] لذلك فهي توحي بكينونة الفعل والّتي من خلالها يتوجّب على الذات أن تتوافر على جملة من الشروط من أجل إنجاز المهمّة الموكولة إليها والبحث عن موضوع القيمة المرغوب فيه؛ فهي تمثّل قيّم جهيّة تجعل الذات مؤهلة قبل القفز إلى المرحلة التالية، وهذه القيّم الجهيّة هي: **قدرة الفعل، إرادة الفعل، معرفة الفعل، وجوب الفعل.**

لذلك "**بناء على العلاقة بين الجهات والقيّم الجهية، فإنّ العامل- الذات في سعيه إلى القيّام ببرنامج الاستعمال الأوّل الّذي يبتغي منه امتلاك القدرة، يحصل على شاكلة البرنامج الأساسي ، على الموضوع [Objet].**[1]وتكمن "**أهمّية هذه القيّم هي أنّها تمثّل مجموعة من محدّدات الفعل؛**

1- عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي[البنيات الخطابية-التّركيب-الدّلالة]، ص:242 .

فهي جملة الخصائص الّتي يجب أن تتوفّر قبل الإنجاز. إنّ اتّصال عامل الفعل بهده القيّم يجعل منه عاملا سيميوطيقيّا بالقوّة بحيث يدنو من تحقيق الفعل وإنجاز البرنامج السّردي والحصول على موضوع القيمة."[1]

لكن هذه الصيّغ لم تتحصّل عليها الذات الفاعلة "امحمد شعبان"دفعة واحدة، بل كان الحصول عليها وفق مراحل؛ إذ تمثّلت صيغة الفعل في وجود رغبة جوانية للذات امحمّد شعبان للوصول إلى قبر الجد محمّد الكليدوني ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي:

–شعر امحمّد شعبان بأنّه على خطى طريق الشيخ امحمّد المنفي بعدما سكنته رغبة البحث عن تاريخه وقبره.، شرع في تسجيل بعض ملاحظاته بقلم حبر أسود، وفي نيّته أن يغامر بالسّفر نحو جبال الونشريس الشّاهقة.[2]

وعلم امحمد شعبان كيفيّة وطريقة الوصول إليه بعدما دعاه والده عبد القوي بالسفر إلى الدوار وبالضبط إلى الونشريس، فاكتسبت بذلك الذات القدرة على الفعل وإرادة الفعل للظفر بالموضوع.

إنّ امتلاك الذّات الجهات المضمرة والجهات المحيّنة، كان مؤّهلا لعامل الذّات للقيّام بالإنجاز للحصول على الموضوع المرغوب فيه[العثور على قبر الجد محمّد الكليدوني]، والجدول الآتي يوضّح لنا جهات الفعل للكفاءة:

الكفاءة		الإنجاز

1 – المرجع نفسه، ص:243 .

2 – محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:55 .

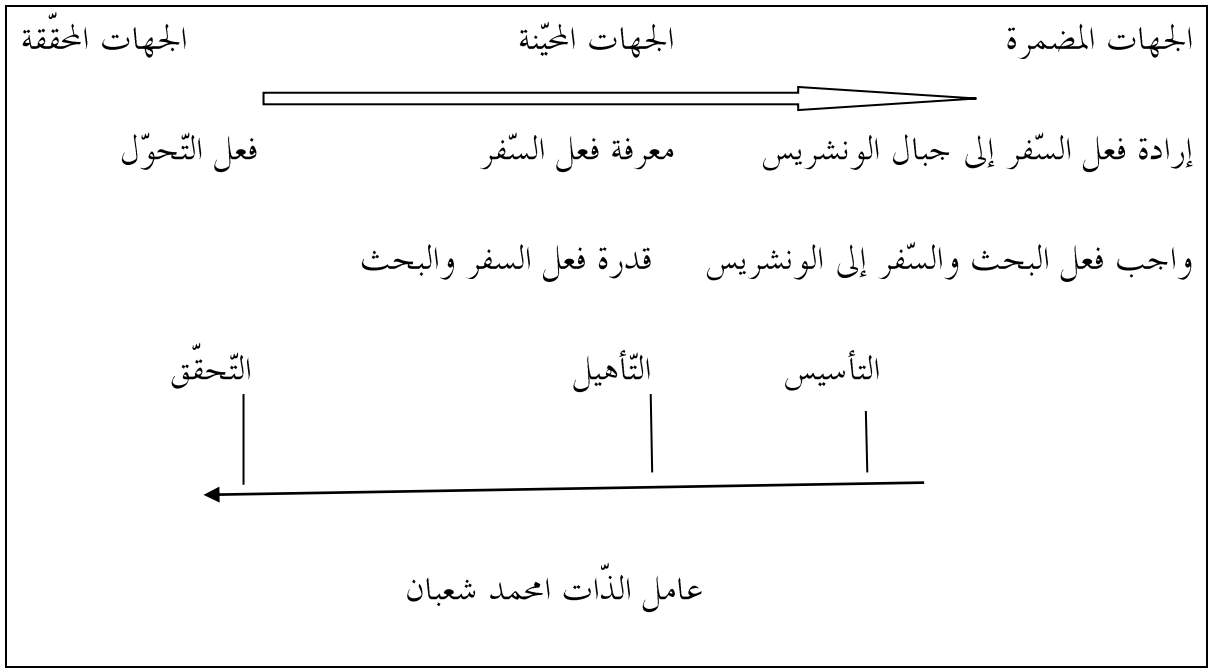

أ-3-الإنجاز:La performance

وهو ما يطلق عليه بالأداء وهو الخطة الّتي يتأهّل فيها عامل الذّات بعد امتلاكه للقيّم الجهية [قدرة الفعل وإرادة الفعل ومعرفة الفعل ووجوب الفعل]، الّتي كانت سببا في إنجاز الفاعل الإجرائي للفعل وهو الظفر بالموضوع المرغوب فيه والمتمثّل هنا في العثور على قبر الجد امحمّد الكليدوني، وقد أرغمه هذا المرور بعدّة خطوات ابتداء من المرحلة الأولى وهي السّفر إلى الدّوار حيث مسقط الجد امحمد الكليدوني بالضبط إلى الونشريس بحيث"**ركن امحمّد شعبان سيارته الكليو الحمراء تحت شجرة بلوط ظليلة لا تبعد كثيرا عن الدرب المؤدّي إلى الدّوار المحاذي للوادي الصّغير، ثمّ نزل منها وهو يلقي نظرات عميقة على الطّبيعة الفاتنة وكأنّه يكتشف لأوّل مرة مثل هذا المكان السّاحر الّذي تلفّه الأشجار الخضراء من الجهات.بدا له الدوار مثل حبّة قمح في كف أخضر خلاب..**"[1]

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:89 .

-شعر بفرح عظيم وهو يفكّر في اللّحظة الّتي يدخل فيها دوّار الشيخ امحمّد المنفي صاحب الكرامات كما يصفه والده...[1]ومنه إنّ أوّل خطوة الّتي خطاها امحمد شعبان نحو الموضوع وهو العثور على قبر الجد امحمّد الكليدوني هو الذّهاب إلى الدّوار الّذي كان يقطنه جدّه ممّا مكّنه من تحقيق إنجاز لا مثيل له مستندا في ذلك على بعض المساعدين خصوصا الشيخ البودالي.

وقد استطاع الفاعل الإجرائي بمساعدة الشيخ البودالي كذلك أن يرسم له المعالم التي من خلالها يمكن الوصول إلى الموضوع المرغوب فيه ويظهر في الملفوظ الآتي:

- عانق امحمّد شعبان بحرارة، وتابع:

-مرحبا بك في الونشريس وفي بيت ابن عمّك البودالي. غدا ستزور قبر الشيخ امحمد الكليدوني."[2]و"**مع بزوغ الفجر، استيقظ الرّجلا ن، وغادرا الزّاوية في اتّجاه الجبال الشاهقة.**"[3]

وأخيرا نلحظ أنّ الفاعل الإجرائي بفعل الخطوات السابقة من الوصول إلى قبر الجد وما يدّل على ذلك الإنجاز الملفوظ الآتي:

-الحمد لله أخيرا عثرنا على قبرك يا سيّدي الشيخ.[4]

أ-4-الجزاء: Sanction

وهو ما يطلق عليه بالتقويم ويشكّل المرحلة الأخيرة في الخطاطة السردية، ويعدّ"**صورة خطابيّة مرتبطة بالتّحريك، إذ فيها تقوّم النتائج المفضيّة إلى نهاية البرنامج السّردي.**"[5] فهو عبارة عن مرحلة تتعلّق بتقويم الفعل المنجز، هذا و"**تبرز هذه التحديدات أنّ الجزاء يتأطّر بصفته مرحلة من مراحل المسار السّردي في النهاية، ويعدّ تقويما وحكما؛ تقويما قائما على الفعل التّأويلي**

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:89.

2- المصدر نفسه، ص:103 .

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5-نادية بوشفرة: مباحث في السيميائيّة السّرديّة، ص:73 .

وحكما إيجابيّا مستندا إلى الجزاء الإيجابي أو سلبا مستندا إلى [العقاب]، وينجزه المرسل ويكون ملزما في النّهاية بإنجاز مجموعة من الأحكام."[1]

وتطالعنا الرواية بأنّ التقييم له صلة كبيرة بملفوظات الحالة، أكثر من صلته بملفوظات التحول والموضوع المتطرّق إليه في الرواية وهو العثور على قبر الجدّ لا يهمّ الذات الفاعلة **امحمّد شعبان** بل يهم كذلك والده وأقرباءه وقد حققّ الفاعل الإجرائي مبتغاه ومبتغى والده الذي تكبّد من خلاله عدّة هواجس أرّقته وممّا جعله ينفصل عن عالمه ومجتمعه وأقربائه ليدخل حياة العزلة.

وعلى الرغم من أنّ امحمّد شعبان تعرّض إلى الكثير من المعارضات من مختلف الأشخاص إلّا أنّه أصر على تحقيق رغبة والده إيمانا منه بأنّه سيحّقق إنجازا باهرا والتقييم هنا ارتبط بالشخصيات معارضة أو مساندة للبطل في الرواية.

ويظهر لنا من خلال الرواية أنّ امحمد شعبان قام بتقييم نفسه بنفسه ويظهر ذاك من خلال الملفوظات الآتية:

-الحمد لله أخيرا عثرنا على قبرك يا سيّدي الشيخ.[2]

-كاد قلب امحمّد شعبان يتوقّف. تنفّس بصعوبة وهو يقترب من ضريح أبيض ذي قبّة خضراء كان يتوسّط قبورا كثيرة، ثمّ انحنى قليلا ولامس الجدار بأنامل يديه المرتعشتين..ثمّ وقف أمام قبر والد جدّه..[3]

-الحمد للّه عثرت عليه بفضل مساعدة سي البودالي.[4]

1- عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي [البنيات الخطابية-التّركيب-الدّلالة]، ص:276 .
2- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:103 .
3- المصدر نفسه، ص:105 .
4- المصدر نفسه، ص:109 .

- أخيرا حقّق حلم والده، سيرافقه لرؤية قبر جدّه...[1]

-...لقد عثرت على قبر جدّنا.[2]

-عثرت على قبر جدّنا المعروف هناك بالشيخ سيدي امحمّد الكليدوني. إنّه في جبال الونشريس، قرب بلدة الرّاجيّة.[3]

وبناء على الملفوظات يمكن لنا تحديد الحالة البدئية والحالة النّهائيّة لعلاقة الفاعل الإجرائي"امحمّد شعبان" بالموضوع المراد تجسيده والّذي ينبثق منه فصلات أو وصلات بين الفاعل والموضوع مشكّلة بذلك أساسا للسرد.

الحالة البدئيّة:

م.ح: ذ.ف ∪ م ⟵ م.ف: ذ.ف ∩ م

الحالة النّهائيّة:

[ذ.ف ∪ م ⟵ ذ. ف∩ م]

إنّ الذات الفاعلة كانت منفصلة عن الموضوع الموضوع المرغوب فيه والمتمثّل في العثور على قبر الجدّ امحمّد الكليدوني لكن في نهاية المطاف اتّصلت به، الأمر الّي أفضى إلى نجاح البرنامج السّردي الّذي كان ينشده الفاعل الإجرائي "امحمّد شعبان".

وكذا الجزاء صدر من سي العبّاس ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي:

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني ، ص:111 .
2- المصدر نفسه، ص: 114 .
3- المصدر نفسه، ص:115 .

-نشكر هذا الرّجل الطّيب الّذي تجشّم كلّ المتاعب للعثور على ضريح سيدي الشّيخ امحمّد الكليدوني..[1]

ب/ثنائيات النموذج العاملي للبرنامج السّردي الذّات [امحمّد شعبان]، وموضوعه[البحث عن قبر الجدّ]:

ويمكن لنا أن نوجز الأدوار العاملية للبرنامج السردي للذات امحمد شعبان وموضوعها "البحث عن قبر الجد" فيما يأتي:

ب-1-مزدوجة:[الذات/الموضوع]

تجمع بين مقولتي الذات والموضوع علاقة الرغبة، إذا يحاول الفاعل الإجرائي والمتمثّل في "امحمّد شعبان" في الحصول على الموضوع المنشود وهو "العثور على قبر الجدّ امحمّد المنفي" و"**الموضوع، بدوره، لا يتحدّد وجوده السيميوطيقي إلّا إذا كان هدفا لعامل يرغب فيه، ليحقّق بامتلاكه له امتلاكا للقيّم الّتي يتضمّنها...**"[2]

تطالعنا الرّواية أنّ الفاعل الإجرائي "**امحمّد شعبان**"هو الرّاغب في الموضوع "العثور على قبر الجدّ" الّذي يعتبر موضوعا مرغوبا فيه؛ إذ سعت الذات الفاعلة إلى تحقيق عنصر الرغبة وهو العثور على قبر الجدّ، وكانت طبيعة العلاقة بين الذات والموضوع في البداية تتّسم بطابع الانفصال لكن بعد قيّام الفاعل الإجرائي بعدّة خطوات مكّنته من الوصول إلى رغبته المرجوّة.

ويمكن تمثيل ذلك في الخطاطة الآتيّة:

الذات[امحمّد شعبان] ∪م ⟵ الذات [امحمّد شعبان] ∩م

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:118 .

2 - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي[البنيات الخطابيّة-التّركيب-الدّلالة]، ص:237 .

ويظهر لنا أنّ هناك ذات واحدة ترمي إلى الحصول على الموضوع وهي امحمد شعبان وتبدو من الناحيّة الصرفة عاملا مفردا ومشخّصا في حين يبدو عامل الموضوع من الناحية الصرفية أنّه قيمي.

ب-2- مزدوجة: [المرسل/المرسل إليه]

تربط بين ثنائيتي المرسل والمرسل إليه علاقة تواصل؛ إذ يمثّل المرسل المحرّك أو المحفّز أو الدّافع وراء قيّام الذات بالفعل لتحقيق الموضوع، ويتجسّد عامل المرسل من خلال الرواية في الوالد الحاج عبد القوي الّذي أمر ابنه امحمّد شعبان بالبحث عن قبر الجدّ امحمد المنفي و لم يبد عامل الذات معارضة بل راح يبحث عنه حتى وجده في جبال الونشريس محّققا بذلك البرنامج السردي.

وثّمة مرسل واحد يدفع المرسل إليه وممثّل في "الحاج عبد القوي" ويبدو من الناحيّة الصرفية بأنّه عامل مفرد ومشخّص في الوقت نفسه، في حين يبدو المرسل إليه "امحمّد شعبان" بأنّه عامل مشخّص ومفرد كذلك.

ب-3- مزدوجة: [المساعد/المعارض]

تمثّل عامل المساعد لعامل الذات في بحثه عن مكان قبر الجدّ الكهل وهو البودالي ويظهر من خلال الملفوظ الآتي:

-مرحبا بك في الونشريس وفي بيت ابن عمّك البودالي.غدا ستزور قبر جدّك الشّيخ امحمّد الكليدوني.[1]

-توقّف الشيّخ البودالي عند رأس صخرة ضخمة، وصاح:

-انظر إلى هناك.ضريح سيدي امحمّد.[2]

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:103 .

2- المصدر نفسه، ص:105 .

–جئت للبحث عن قبر جدّ والدي. الحمد للّه عثرت عليه بفضل مساعدة سي البودالي.[1]

من خلال الملفوظات يتراءى لنا بأنّ السي البودالي كان عاملا مساعدا في تحقيق الذات لموضوع رغبتها وهو العثور على قبر الجد "امحمّد الكليدوني".

في حين ظهر عامل المعارض وممثّل في الأمّ وكذا بعض سكان الدّوار وكذا الدّروب الوعرة.

ويمكن تمثيل ذلك في الخطاطة الآتيّة:

المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه

الحاج عبد القوي — البحث عن قبر الجد — امحمّد شعبان

↑

المساند ← الذات → المعارض

الشيخ البودالي — امحمّد شعبان — الأم، الدروب الوعرة، بعض سكان الدّوار

ويمكننا إيجاز كل ما تقدّم في الجدول الآتي:

الممثّل	الدور	مشخّص	مشيأ	فردي	مجرد	جماعي	قيمي
الحاج عبد القوي	مرسل	×					

1- محمد مفلاح: الشبح الكليدوني، ص:109 .

البحث عن قبر الجد	موضوع						×
امحمّد شعبان	ذات/مرسل إليه	×		×			
الشيخ البودالي	مساعد	×		×			
بعض سكان الدوار	معارض	×				×	
الأم	معارض	×		×			
الدروب							×

ونلحظ من خلال الجدول حضور الممثل البشري ويكمن في الحاج عبد القوي وامحمد شعبان والشيخ البودالي وبعض سكان الدوار والأم وكذا حضور الممثل القيمي ويتجلى في الموضوع البحث عن قبر الجد.

1-3-الموضوع الثالث: تزويج الابن

تسعى الأم جاهدة إلى إقناع ابنها امحمد شعبان من أجل الزواج بالمعلمة زولة، ولكن ولدها يصرّ على الرّفض وعدم الزّواج لأنّ له اهتمامات أخرى اعتبرها أكبر أولوية من الزواج تحت طائل السفر إلى الخارج وبالأخص إلى جزيرة كاليدونيا. ويظهر ذلك من خلال الملفوظات الآتيّة:

-لا تريده أن يبدّد وقته في البحث عن هذا الشّبح ، فهي تريده أن يكمل نصف دينه قبل وفاتها.."[1]

-تمنت أن يتزوج ولدها بالمعلمة زولة التي تجاوزت سنها الثلاثين، كانت شابة نحيلة سمراء ذات جمال هادئ. لم يلتفت إليها يوما. نقابها صار في نظره سورا منيعا لأي اقتراب منها. حدثته والدته عن أمنيتها فرفض اقتراحها بشدة، وأخبرها بأنه يفكر في الهجرة إلى الخارج..."[2]

ويمكن لنا أن نجسّد الفعل الإقناعي من خلال المخطط الآتي:

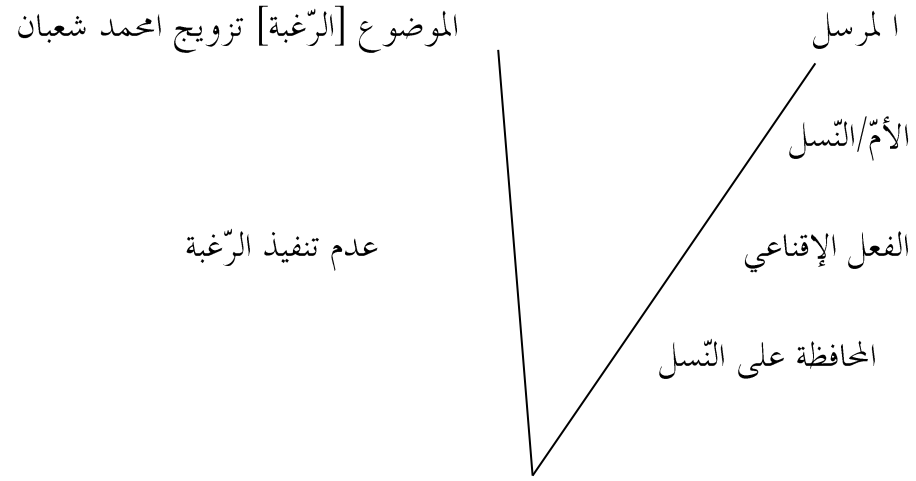

الفاعل [المرسل إليه]"امحمد شعبان

وقد كان العامل المساعد في ذلك المعلمة فريدة العمياء كما كان يطلق عليها امحمد شعبان ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي:

- المعلمة فريدة العمياء كانت تنصحه بالزواج قبل وفاة والديهما، وكانت مثل أمه تمتدح أخلاق زولة زميلتها المتنقبة"[3]

1- محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:15.
2- المصدر نفسه، ص:35 .
3- محمد مفلاح: شبح الكليدوني ، ص:45 .

ويمكن تلخيص ذلك في الأزواج العاملية الآتية:

أ–الفئة العاملية: [المرسل/المرسل إليه]:

تعدّ الأمّ الدافع الأساسي التي ترغب في إقناع ابنها بالزواج والكف عن البحث عن موضوعه الأوّل وهو قبر الجد والثاني يكمن في تاريخ الأجداد المغيّب، وتبدو الأم على المستوى الصرفي عاملا مفردا ومشخّصا في الوقت ذاته، وظهر دافع آخر في ثنايا الرواية لإقناع الذات بالزواج وهو النسل ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي:

–.يتعجّب من رغبة والدته في زواجه بالمعلّمة زولة لإنجاب الأطفال"[1]

ويبدو المرسل الثاني[النسل] من الناحية الصرفية عامل مجرّد وقيمي، أمّا في خانة التلقي التي تكّونت من ممثل واحد وهو امحمّد شعبان الّذي يبدو من الناحية الصرفية عامل مشخّص ومفرد الّذي سيبقى منفصلا عن الموضوع الّذي دفعته إليه الأمّ وكذا النّسل.

ب– الفئة العامليّة: [الذات/الموضوع]:

لاشكّ أنّ الذات في الترسيمة السردية الثانية تجلّت في الابن **امحمّد شعبان** ، الذي حاولت الأمّ إقناعه بالزواج من المعلمة زولة فيما يتجلى الموضوع في الزّواج الّذي لم يتحّقق؛ إذ أضحى امحمّد شعبان في علاقة انفصال معه ويمثّلها المخطّط الآتي:

المرحلة البدئيّة المرحلة النّهائيّة

ذ.ف .∪ م ⟵ ذ.ف .∪ م

وتبدو الذات من الناحية الصرفية عامل مشخّص وفردي، في حين يبدو الزواج عامل مجرّد وقيمي.

1 – المصدر نفسه ، ص:71 .

ج-الفئة العامليّة الثالثة: [المساعد/المعارض]

لاقت أمّ محمّد شعبان مساندة لكنّها ليست كبيرة وعامل المساندة يكمن في المعلّمة فريدة، مع هذا لم تنجحا في تزويج محمّد شعبان لأنّ عامل المعارض كان كفيلا بأن يحول دون زواج الابن ويتجلّى عامل المعيق في انشغال محمّد شعبان في البحث عن أصول الأجداد وكذا عن قبر جدّه، وكذا يظهر عامل المعارض من خلال خوف محمد شعبان من الارتباط مرة ثانية بعدما غدرت به صليحة الحلواجي ويظهر ذلك من خلال الملفوظ الآتي :

-كاد يتزوّج صليحة الحلواجي ولكنّها غدرت به. فرّت مع المهندس دحمان الجزيري مخلّفة جرحا عميقا في ذاته القلقة. زهد في الزّواج، ثمّ كرهه...[1]

وبناء على ذلك نقدّم الترسيمة العامليّة في الشّكل الآتي:

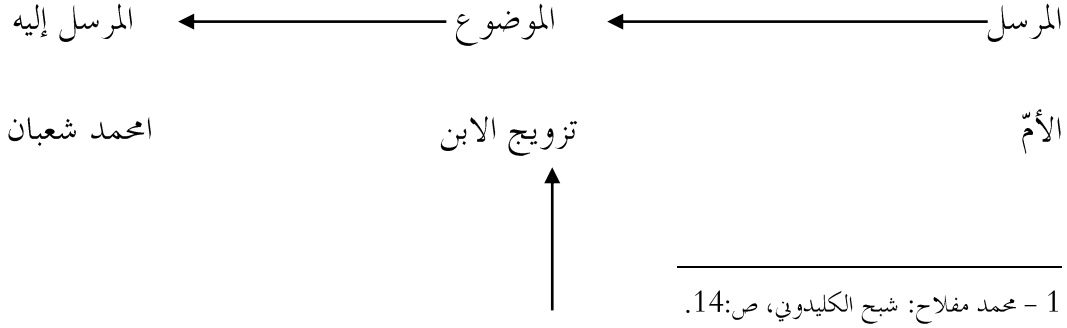

1 - محمد مفلاح: شبح الكليدوني، ص:14.

مستقبل الابن ونسله

المساعد ← الذات → المعارض

المعلّمة فريدة امحمد شعبان البحث عن تاريخ الأجداد

امحمد شعبان

الخوف من الارتباط

البحث عن قبر الجدّ

ويمكن تلخيص ما تقدّم في الجدول الآتي:

الممثّل	الدور	مشخّص	مشيّأ	فردي	جماعي	مجرّد	قيمي
مستقبل الابن ونسله	مرسل					×	×

الأمّ	مرسل	×		×			
تزويج الابن محمّد شعبان	الموضوع					×	×
المعلّمة فريدة	مساعد	×		×			
البحث عن التّاريخ المغيب والبحث عن قبر الجد امحمد المنفي	معارض معارض	 ×		 ×		×	×
امحمّد شعبان الخوف من	معارض					×	×
الارتباط							
امحمّد شعبان	ذات	×		×			

يتراءى لنا من خلال الجدول أنّ عامل الذات والمساعد مفردان، ومشخّصان في حين الموضوع مع عامل المرسل مجرّدان، بالإضافة إلى عامل المعارض مجرّد تارة ومشخّص ومفرد تارة أخرى.

وهكذا من خلال هذا التّطبيق حاولنا الإحاطة بالبنى العامليّة الشّاملة ورصد حركة العوامل من خلال مسعاها في إنجاز برامجها السّرديّة.

خاتمة

خاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ...

من سنن الوجود أنّ الحياة محكومة بثنائية حتميّة تفرض حضورها في كل مظاهره، هذه الثنائية هي البداية والنهاية، وتعد خاتمة البحث المحطة الأخيرة التي انتهى إليها جهدي البحثي، وممّا ينبغي التشديد عليه هو أنّ الخاتمة تعدّ سندا تتبلور فيه نتائج البحث حيث لا نريد من خلالها إرخاء سدول البحث بقدر ما نرمي من خلالها إلى فسح المجال للباحث بغية طرح الكثير من الإشكالات المتعلّقة بنظريّة العامل السردية لغريماس.

لقد أفاض العمل التحليلي الذي ابتغيناه من أجل تقديم قراءة نقدية في رواية شبح الكليدوني لكاتبها محمد مفلاح .حيث توصلنا لمجموعة من النتائج نذكر منها:

- نضّد غريماس نظريته العاملية السردية بناء على دراسات سابقيه فقد استفاد من اللسانيات وكذا من الإرثين الأنثربولوجي وكذا الشّكلاني وخصوصا دراسة فلادمير بروب لمائة حكاية. وكذا إيتيان سوريو وصولا إلى تسنيير، حيث تجاوز البعد التقليدي للشخصيّة واستعاض به بما يسمى بالعامل؛ لأنّه أشمل فقد يكون إنسانا أو جمادا أو مجرّدا أو محسوسا.

- تكشف لنا ترسيمات هذا البحث عن النّموذج العاملي ومختلف العلاقات المشكّلة له، بحيث تمّ تعليق الدراسة في المستوى السّطحي بالضّبط في المستوى السّردي من خلال تحديد بعض الأدوار العاملية المشكّلة لصرح النموذج العاملي.

- يتجسّد النموذج العاملي من ثلاث علاقات وهي: علاقة الرغبة الّتي تجمع بين الذّات والموضوع، في حين أنّ علاقة التواصل أو ما يسمى الإبلاغ تجمع بين المرسل والمرسل إليه، وأمّا علاقة الصراع فتشج بين المعارض والمساعد.

– تدخل رواية الشبح الكليدوني لمحمد مفلاح ضمن الروايات التاريخية، فنلحظ الروائي هنا تجاوز الأطر الأدبية ليعرج إلى فترة من تاريخ الجزائر المغيب أثناء الاستدمار الفرنسي، وبالضبط عندما تناول قضية المنفيين الجزائريين إلى جزيرة كاليدونيا، فهو بذلك حاول دحر سدول الكتمان عن التاريخ المحلي ونخص بالذكر في هذه الرواية تاريخ غليزان.

– يتشكّل البرنامج السردي من خلال سلسلة الحالات والتّحويلات، ولإنجاز الموضوع لابدّ على الذات الفاعلة المرور عبر مراحل الخطاطة السرديّة، وقد توصّلنا من خلال تحليل رواية "شبح الكليدوني" وفق ميكانيزمات النموذج العاملي على الذوات الكبرى التي أرادت إنجاز البرامج السرديّة وهي كالآتي: الذات امحمد شعبان يودّ إنجاز برنامجين رئيسيين، الأوّل يتعلّق بموضوع التعرف على تاريخ أجداده، والثاني بالبحث عن قبر الجد والثالث رديف متعلّق بموضوع الذهاب للونشريس، أمّا الأمّ تسعى إلى تزويج الابن "امحمّد شعبان".

– يظهر لنا من خلال الرواية أنّ امحمد شعبان استطاع تجسيد برامجه الثلاث في حين فشلت الأمّ في برنامجها وهو تزويج الابن.

– تحقّق فعاليات التحليل العاملي مما يعكس كفاءة بناء النص الروائي وتأطير فضاءاته لدى الروائي "محمد مفلاح" الذي أجاد تصوير شخصياته.

وأخيراً، فإن هذا البحث، ما هو إلا جهد متواضع، يُضاف إلى الجهود التي بُذلت من أجل دراسة الرواية الجزائرية، وإسقاط نظرية العامل السردية عليها.

نأمل أن نكون قد أسهمنا ولو بالشيء اليسير في فتح المجال أمام الباحثين لمواصلة الدراسة والتنقيب في هذا التّخصص، ونعتذر عن النقص والتقصير وإن كان الكمال لله وحده،كما نرجو أن يكون هذا البحث بداية الانطلاق لبحوث علمية أخرى مستقبلا.

الملاحق

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام:

1-محمّد مفلاح:

هو روائي وقاص وباحث في التّاريخ والتراث، من مواليد 28ديسمبر 1953، بولاية غليزان، شرع في نشر مقالاته الأدبيّة منذ السبعينات من القرن الماضي بملحق "الشعب الثقافي" الّذي كان يشرف عليه الروائي الطاهر وطّار، وفي الفترة ذاتها ظهرت له العديد من القصص القصيرة بالجرائد والمجلّات الوطنيّة، وقد نشر بعضها سنة 1983، ومازال يسيل حبره أعمالا إبداعية إلى يومنا هذا.

إصداراته:

أوّلا-في الرواية:

1-الانفجار ط1سنة 1983أمّا الثانية فكانت سنة 1984

2-بيت الحمراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986

3-زمن العشق والأخطار، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، 1986

4-هموم الزمن الفلاقي، مجلّة الوحدة، ط1، 1984.

5-الانهيار، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

6-خيرة والجبال، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

7-الكافية والوشّام، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1،2002، ودار المعرفة، الجزائر، ط2،2009.

8-الوساوس الغريبة، دار الحكمة،2005 .

9-عائلة من فخار، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط1،2008.

10-شعلة المايدة، دار طليطلة، ط1، 2010.

11-هوامش الرحلة الأخيرة، دار الكتب، ط1،2012

12-همس الرمادي، دار الكتب،ط1، 2013.

13-سفر السالكين، دار الكوثر، ط1، 2014

ثانيا: في القصّة القصيرة

1-مجموعة السائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1983.

2-مجموعة أسرار المدينة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1991.

3-الكراسي الشرسة[قصص]، منشورات مديريّة الثقافة لولاية معسكر، 2009.

4-قصص الهواجس والأسرار الصّغيرة، تضمّ لمجاميع القصصيّة الثلاث، صدرت عن دار الكوثر،2013.

ثالثا: قصص للأطفال والفتيان

1-معطف القط مينوش، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1990.

2-مغامرات النملة كحلية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1990.

3-وصيّة الشيخ مسعود، ط1، المؤسسة الوطنية للنشر والصحافة [إناب]سنة 1992.

4-اللؤلؤة ، دار الساحل، ط1، 2013.

5-قصص الحيوانات، دار قرطبة، ط1، 2013.

رابعا:كتب في التاريخ والتراجم:

1-شهادة نقابي، دار الحكمة،2005

2-سيدي الأزرق بلحاج رائد ثورة 1864م المندلعة في منطقة غليزان، دار هومة، 2005

3-أعلام من منطقة غليزان، دار هومة، سنة 2006

4-شعراء الملحون بمنطقة غليزان[تراجم ونصوص]، دار هومة، سنة 2008

5-غليزان: مقاومات وثورات من 1500إلى 1914، دار الأديب، سنة 2010

6-مراكز التّعليم العربي الحر في مدينة غليزان، دار قرطبة، سنة 2011

7-جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، دار قرطبة، سنة 2011

8-من تاريخ الطريقة الرحمانية في منطقة غليزان وضواحيها، دار القدس العربي، سنة 2014

9-تجربة في الكتابة، دار الكوثر، سنة 2015

2– ألجيرداس جوليان غريماس: A.J.Greimas:

ولد عام 1917 بتولا في روسيا، هو لساني وباحث في السيميائيات السردية من أصول ليتوانيّة، يعدّ مؤسس السيميائيّات البنيويّة انطلاقا من لسانيات دي سوسير وهايلمسلف، وهو رائد مدرسة باريس السيمائية من أهم مؤلفاته:كتاب **Du Sens** و**sémantique structurale**

3–فلادمير بروب:Vladmir Propp

ولد بسان بيتر سبورغ في 29أفريل1895 وتفي في المدينة ذاتها في 22أوت1970، باحث روسي متخصص في الفولكلور ، ينتمي إلى المدسة البنيويّة، اشتهر بدراساته للحكاية الشعبيّة الروسية محدّدا بنيتها. وله مؤبف مشهور وهو مورفولوجية الحكاية العجيبة.

4–كلود ليفي ستروس:Claude Lévi-Strauss

عالم اجتماع وأنثروبوبوجي فرنسي، ومن أهم البنيويين المعاصرين، وأكثرهم شهرة، حتّى البنيوية ترتبط باسمه ارتباطا وثيقا، فلقب بعميد البنائيين، أو شيخ البنيويين، أو البنيوي الأول، أو رائد البنيوية المعاصرة.

من أهمّ مؤلّفاته هي:

1–لحياة العائلية والاجتماعية لهنود النامبيكوارا . (La vie familiale et sociale des 1948 Nambikwara)

2- الأنتروبولوجيا البنيوية(ج.1) . 1958(Antropología estructural) .

3-ا لأنتروبولوجيا البنيوية(ج.2) . 1973(Antropología estructural) .

5–جورج دوميزال:Georges Dumézil

هو عالم أنثربوبوجي فرنسي، ولد بباريس عام 1898م، درس بمعهد لويس الأكبرثم التحلق بمدرسة المعلّمين، ثمّ واصل دراسته الجامعيّة بجامعة باريس، فأنجز رسالة دكتوراه تحت عنوان:

Le festin d'immortalité: Etude de mythologie comparée indo-européenne.

وقد كانت أبحاثه لها عميق الأثر في مشروع غريماس السيميائي.

6–رولان بارث:R.Barth:

فيلسوف فرنسي، وناقد أدبي ودلالي ومنظّر اجتماعي، وله تأثيرات أدّت إلى تطوّر علم الدّلالة، وقد اشتغل على البنيوية وما بعد البنيويّة، ويعدّ باحث بارز في التيار المعروف بما بعد الحداثة.

7–فرديناند دي سوسير.F.de Saussure

عالم لغوي سويسري شهير، يعدّ أب المدرسة البنيويّة في علم اللسانيات ومؤسس علم اللغة الحديث، وعني بدراسة اللغة الهندية، وعدّ اللغة ظاهرة اجتماعيّة، ومن أشهر مؤلّفاته: بحث في الألسنيّة العامّة، والّذي ترجم إلى عدّة لغات.

8–رومان جاكبسون: R.Jakobson

هو عالم لغوي وناقد أدبي روسي، يعدّ من أهم روافد المدرسة الشّكليّة الروسية، وأحد علماء اللغة في القرن العشرين بفضل جهوده الكبيرة في تطوير التحليل التركيبي للّغة والشعر والفنّ.

ثبت المصطلحات

ثبت المصطلحات

المقابل بالأجنبي	المصطلح باللغة العربية
Organon	النّسق
énoncé narratif	الملفوظ السّردي
énoncé élémentaire	الملفوظ الأوّلي
isomorphisme hypothéque	التّشاكل الافتراضي
La phonologie	الفونولوجي
Modèle phonologique	النّموذج الصّواتي
Structure	البناء
Fonction	الوظيفة
Signe	علامة
Langue	اللغة
Performance	الأداتيّة
actant	عامل
valeurs modales	قيّم الجهة
valeurs descriptives	القيّم الوصفيّة
immanence	المحايثة
véridiction	التّصديق
Le signe	الدّليل
Le paradigme	الاستبدال
Les relations syntagmatiques	العلاقات النّسقيّة النّظميّة
Expression	التعبير

contenu	المحتوى
Forme	شكل
Substance	جوهر
Sh éma	خطاطة
norme	معيار
usage	استعمال
Adjuvant	مساعد
Opposant	معارض
Sujet	فاعل
Destinateur	مرسل
Destinataire	مرسل إليه
Méfait	إساءة
Objet de valeur	موضوع قيمة
Verbe	فعل
Spectale	مشهد/فرجة
Syntaxe pure	تركيب خالص
acteur	ممثّل
Element de syntaxe structurale	عناصر التركيب البنيوي
sujet opérateur	عامل الفعل
Sujet d état	عامل الحالة
deep structure	البنية العميقة
objet du désur	موضوع الرغبة
cognitif/persuasif	معرفي/إقناعي

énonciation	تلفّظ
énoncés narratifs élémentaires	ملفوظات سردّية
énoncés de faire	ملفوظات الإنجاز
Faire transformateur	الإنجاز المحوّل
Sujet d état	ذات الحالة
Communication Relation De	علاقة تواصل
Manipulateur	محرّك
Judicateur	مقوّم
Système axiologique	مجموعة من القيّم
Subordination irréversible	تبعيّة غير معكوسة
opposition	تعارض
Etre	كينونة
Avoir	ملك
fait transformateur	فعل تحويلي
énoncé de faire	ملفوظ الفعل
sujet de faire	فاعل الفعل
Sujet opérateur	فاعل إجرائي
Programme narratif	برنامج سردي
Programme narratif de basse	برنامج سردي قاعدي
Programme narratif annexe	برنامج سردي ملحق أو ثانوي
d état disjonctif Enoncé	ملفوظ حالة منفصل
parcour narratif	مسار سردي
Schéma narratif	خطاطة سرديّة

Epreuve qualifiante	اختبار تأهيلي
Epreuve Principale	اختبار رئيسي أو أساسي
Epreuve glorifiante	اختبار تمجيدي
Manipulation	التّحريك
Compétence	الكفاءة
Performance	الإنجاز
Sanction	التقييم
la séquence narrative	مقطوعة سرديّة
dimension pragmatique	بعدان عمليّان
La dimension cognitive	البعد المعرفي
Structure actionnelle	بنية عامليّة/فعليّة
Structure contractuelle	بنية تعاقديّة
Faire persuasif	فعل إقناعي
Le savoir	المعرفة
Le croire	الاعتقاد
Faire-faire	فعل الفعل
Virtualité du faire	ضمنية الفعل
Savoir-Faire	كيفيّة الفعل
pouvoir-faire	القدرة على الفعل
Transformation conjonctive	تحويل متّصل
Transformation disjonctive	تحويل منفصل
Actualisation	التحيين
Sujet	ذات

Objet	موضوع
Parcours	مسار
modèle actioncial	النّموذج العاملي
Pouvoir- Faire	قدرة الفعل

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

أولا: المصادر:

1-محمد مفلاح، رواية شبح الكليدوني، دار المنتهى، ط1، 2015.

2- المعاجم:

1- بوعلي كحال: معجم مصطلحات السّرد، عالم الكتب للنشر والتّوزيع،الجزائر، الطبعة الأولى،2000.

2- جيرالدّ برنس: قاموس السّرديات، تر: السّيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1،2003

3- جيرالدّ برنس: قاموس السّرديات، تر: السّيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، الطبعة الأولى،2003.

4- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنصوص-عربي-إنجليزي-فرنسي-،دار الحكمة، النّاشر: السّيد أحمد ماضي، فيفري ،2000.

5- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص-عربي-إنجليزي-فرنسي-،دار الحكمة، دون طبعة ،2000.

6- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2010، ص:199.

7- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرّواية،-عربي، إنجليزي، فرنسي -، مكتبة لبنان ناشرون، دار النّهار للنّشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002.

ثانيا: المراجع:

1- المراجع العربية:

1- أحمد رحيم كريم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث،دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان،مؤسسة دار الصادق الثقافية، الطبعة الأولى ،2012.

2- أحمد طالب: المنهج السّيميائي-من النّظرية إلى التّطبيق- دار الغرب للنشر والتّوزيع.

3- أحمد يوسف: الدّلالات المفتوحة -مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة-، منشورات الاختلاف ، الجزائر، الدار العربيّة للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،2005.

4- أحمد يوسف: السّيميائيات الواصفة المنطق السّيميائي وجبر العلامات، ، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطّبعة الأولى، 2005.

5- آسيا جريوي: النّموذج العاملي واستنطاق البنية السردية في رواية "سيّدة المقام" للكاتب واسيني الأعرج [دراسة في التّركيبة السّرديّة والخطابيّة]، دار علي بن زيد للطباعة والنّشر، بسكرة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2017.

6- السّعيد بوطاجين،الاشتغال العاملي-دراسة سيميائية"غدا يوم جديد" لابن هدوقة-منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2000.

7- أميرة الكولي: البنى الحكائية في الأدب الشعبي"دراسة في ضوء المنهج البنيوي، دار التنوير الجزائر،2013

8- تّمام حسان، اللغة ونظام الأنظمة، ينظر عبد السلام المسدي، اللّسانيات من خلال النّصوص، الدّار التونسيّة للنّشر، الطبعة الأولى، جوان، 1984.

9- جميل حمداوي: السّيميولوجيا بين النّظرية والتّطبيق، مؤسسة الوراق للنشر والتّوزيع، عمان،الطبعة الأولى،2011.

10- جميل حمداوي: مستجدات النقد،ط1، بدون دار نشر، د ط، دت.

11- حسن بحراوي: بنية الشّكل الرّوائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطّبعة الأولى، 1990.

12- حميد لحمداني: أسلوبية الرواية (مدخل نظري)، منشورات سيميائية أدبية لسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.

13- حميد لحميداني: بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثاقي العربي للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، آب 1991.

14- رشيد بن مالك: السيميائية السردية، دار مجدلاوي للنشر والتّوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2006.

15- رشيد بن مالك: مقدمة في السّيميائية السّردية، دار القصبة للنّشر والتوزيع، دون طبعة، 2002.

16- سعيد بنكراد: السّيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، سوريا، الطّبعة الثّالثة، 2012.

17- سعيد بنكراد: سيميولوجية الشخصيات السردية –رواية" الشراع والعاصفة" لحنا مينة نموذجا-دار مجدلاوي،عمان، الطبعة الأولى،2003.

18- سعيد بنكراد: مدخل إلى السّيميائيّة السّردية، منشورات الاختلاف، الطّبعة الأولى ،1994.

19- سعيد بنكراد: مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الثّانية.

20- سعيد يقطين: الكلام و الخبر-مقدمة السرد العربي- ، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء.

21- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الرّوائي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان/ الدّار البيضاء، المغرب، الطّبعة الثّالثة، 1997.

22- سعيد يقطين: قال الراوي-البنيات الحكائية في السيرة الشعبية-، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997.

23- سمير المرزوقي وجميل شاكر: مدخل إلى نظريّة القصّة تحليلا وتطبيقا، الدّار التونسيّة للنّشر والتّوزيع، ط1، 1985.

24- شكري، الماضي: فنون النثر العربي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1996.

25- صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية(دراسة)، دار الهدى للطباعة والنشر التوزيع، الطبعة الأولى،عين مليلة، الجزائر،2006 .

26- عبد العالي بوطيب: مستويات دراسة النّص الروائي، مقاربة نظرية، الأمنيّة، الرباط، الطبعة الأولى، 1999م.

27- عبد اللّطيف محفوظ: البناء والدّلالة في الرّواية(مقارنة من منظور سيميائية السّرد)،منشورات الاختلاف، الجزائر، الطّبعة الأولى، 2010.

28- عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي: معرفة الآخر[مدخل إلى المناهج النّقديّة الحديثة]، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب ، .1996

29- عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابيّة-التركيب-الدّلالة)، شركة النّشر والتّوزيع المدارس، الدّار البيضاء، دون طبعة، دون تاريخ.

30- عزت محمّد جاد: نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، دون طبعة، 2002.

31- فاطمة الطّبال بركة: النظرية الألسنيّة عند رومان جاكبسون(دراسة ونصوص) ، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثّانيّة، 1993.

32- كريمة بلخامسة: تحليل الخطاب الرّوائي في رواية"نجمة"لكاتب ياسين، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، طبعة 2016.

33- مجموعة من الكتاب: طرائق تحليل السّرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب،الرّباط، طبعة 1992.

34- محمد أديوان: النّص والمنهج، منشورات دار الأمان، الرّباط، المغرب، الطّبعة الأولى ، دون تاريخ.

35- محمّد الناصر العجيمي: في الخطاب السّردي-نظرية قريماس-، الدار العربيّة للكتاب،تونس،1991.

36- محمّد بشير بويجرة: محنة التأويل زخم المرجع وفتنة الوقع :قراءة في أوديسا الصحراء تلك المحبة،منشورات مختبر مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر – جامعة وهران،دار القدس العربي،2011.

37- محمّد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجيّة التّناص- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطّبعة الثّالثة، 1992.

38- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي،المركز الثقافي العربي،الدارالبيضاء، الطبعة الثّالثة، 2002.

39- نادية بوشفرة: مباحث في السيميائيّة السردية، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو، 2008.

40- نادية بوشفرة: معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع .

41- ناصر شاكر الأسدي: التّحليل السّيميائي للخطاب-قراءة في حكايات كليلة ودمنة لابن المقفع-دار السّياب للطباعة والنّشر، لندن، الطبعة الأولى ،2009.

42- نصر الدّين بن غنيسة: السّيميائيّة السّردية بين النظرية والتطبيق-محاضرات- جامعة بسكرة، دون تاريخ.

43- نصر الدين بن غنيسة: فصول في السّيميائيات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطّبعة الأولى،2011.

44- نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، دون طبعة، القاهرة.

45- نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة الحديث ومناهج البحث اللّغوي، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندريّة، دون طبعة، 2006.

46- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، الطّبعة الثانيّة، 2009.
السردية في النّظرية السّيميائية، دار الحكمة، الجزائر، الطّبعة الأولى،2001.

47-عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات مختبر الخطاب الأدبيفي الجزائر، دار الأديب، وهران، الجزائر،2006.

48- عقاق قادة: الخطاب السيميائي في النقد المغاربي-دراسة-، دار الألمعيّة للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى، 2014.

2- **الكتب الأجنبية**:

1- A. A.J.Greimas, Sémantique structurale de Méthode, imprière, larousse, Paris, 1996

2- A.J Greimas, Du sens ll. Ed, Seuil, Paris, 1983.

3- Claude Levis Strauss. Anthropologie structurale deux Edition, plon.1973 p 158-159.

4- J. Courtés, Introduction à la sémiotique narrative et discurcive, Hachette, université, 1976, p62

5-Greimas et courtés, Dictionnaire raisonné, op, cit, t , i,1979
6-Groupe D'entrevernes, Analyse sémiotique des texte, Editions Toubkal première, édition marocaine,1987.

3-الكتب المترجمة:

1- آن اينو وآخرون: السّيميائية (الأصول، القواعد، والتّاريخ)، تر: رشيد بن مالك، مرا: عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطّبعة الأولى، عمان، الأردن، 2008.

2- تزفيطان تودوروف: مقولات السّرد الأدبي، تر: الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتّحاد كتّاب المغرب، الرباط، الطبعة الأولى، .1992

3- جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائية السرديّة والخطابيّة، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، الجزائر، الطّبعة الأولى، 2007.

4- جيزيلفالانسي "النّقد النّصي"، ضمن كتاب مدخل إلى مناهج النّقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، الشّنوفي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 221، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو، 1997.

5- دليلة مرسلي وآخرون: مدخل إلى السيميولوجيا "نص، صورة"، تر: عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دون طبعة، 1995.

6- رولان بارث: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصّة، تر: منذر عيّاشي، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الأولى، 1993.

7- فلادمير بروب: مورفولوجية الخرافة، تر: ابراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى ،1986.

8- ليفي ستراوس: الأنثربولوجيا البنيوية ج2 ،تر: مصطفى صالح، منشورت وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق،1983.

4-المجلات والدوريات:

1- مجلة دراسات جزائرية (دورية محكمة يصدرها "مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر)،ع5/4،جامعة وهران،2007..

2- مجلّة السرديات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ع1، جانفي،2004.

3- مجلة سمات، مركز النشر العلمي، جامعة البحرين، مج1، ع1، ماي 2013

4-مجلة التّعليميّة، المجلّد الرّابع، ع11جوان 2017.

5-مجلة الأقلام ، ع 6/5 ، 1993.

6-مجلّة علامات، مكناس، المغرب، ع6، أكتوبر 2000.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع **رقم الصفحة**

إهداء

شكر وعرفان

مقدّمة ..... أ- ب

مدخل: اللّغة والسرد والرّواية

1-اللّغة 07

2-السرد 09

3-السردية 12

4-الرّواية 14

الفصل الأوّل: الروافد الفكريّة لنظريّة العامل السرديّة

-تمهيد 19

1-الرّافد الفلسفي 23

2- الرافد اللساني 25

أ-تصوّر دي سوسيرF. De Saussure 26

1-اللغة والكلام Langue/parole 27

2-مبدأ الاختلافLa déffirence 27

3-الملفوظ السّرديénnoncé narrative 29

ب-مدرسة براغ"تصور رومان جاكبسون R.Jakobson 33

ج-تصوّر نعوم تشومسكيNaom Chomsky 35

1-الكفاءة والأداء Compétence/Performance 36

د-تصوّر لويس هيمسليفLouis hejmslev 38

أ-التعبير والمحتوىContenu/Expression 40

ب- مبدأ المحايثة:Emmanence 42
3-الروافد المعرفيّة: 45
أ-أعمال جورج دوميزيلGeorges Dumézil 46
ب-تصور فلادمير بروبVladmir Propp 47
ج-أعمال كلود ليفي ستروس C.levie Strauss 52
د-نموذج إيتيان سوريوE.Souriau 53
ه-نموذج تسنييرTesniere 59

الفصل الثّاني: النموذج العاملي والتّرسيمة السّرديّة

1-مدرسة باريس السيميائيّة 64
2-الشخصيّة من منظور غريماس 66
أ-مفهوم العامل 66
ب-مفهوم الممثّل 71
3-النّموذج العاملي 73
أ-النموذج العاملي من حيث هو نسق 77
1-محور الرّغبة[ذات/موضوع] Sujet/Objet 77
2- محور الإبلاغ[المرسل/المرسل إليه]Destinateur/Destinataire 81
3-محور الصراع[المساعد/المعارض]Adjuvant/Opposant 83
ب-النموذج العاملي من حيث هو إجراء 86
1-التحليل السردي بين الحالات والتّحويلات 87
2-البرنامج السرديProgramme narrative 89
3-مضاعفة البرنامج السردي 90
4-أقسام البرنامج السردي 91
أ- البرنامج السردي القاعدي"الأساسيProgramme narrative de basse 91
ب- البرنامج السردي للاستعمالProgramme narrative d usage 91

5-الخطاطة السردية وأطوار البرنامج السردي La séquence narrative et les programme narratif phases du 92
أ-التحريكManipulation 95
ب-الكفاءةCompétence 97
ج-الإنجازPerformance 100
د-الجزاءSanction 102
1-جزاء تداولي 103
2-جزاء معرفي 103

الفصل الثالث: التحليل العاملي لرواية شبح الكليدوني

تمهيد: ملخّص شامل عن الرواية 107
1- التحليل العاملي لرواية شبح الكليدوني 109
1-1- الموضوع الأوّل: البحث عن تاريخ الأجداد 111
أ-الخطاطة السرديّة للبرنامج السردي الذّات "امحمّد شعبان" وموضوعه "البحث عن أصول الأجداد وتاريخهم المغيّب": 115
أ-1- التحريك:Manipulation 115
أ-2-الأهليّة: Compétence 119
أ-3-الإنجاز: La performance 124
أ-4- الجزاء: Sanction 127
ب/ثنائيات النموذج العاملي للبرنامج السردي للذات امحمد شعبان وموضوعها[البحث عن تاريخ أجدادها المغيبّ]: 128
ب-1- مزدوجة: [المرسل-المرسل إليه] Destinateur/Destinataire 128
ب-2- مزدوجة:[الذّات- الموضوع] Sujet/Objet 129
ب-3- مزدوجة : [المساعد/المعارض] Adjuvant/Opposant 130
1-2- الموضوع الثاني: البحث عن قبر الجدّ 140

أ-الخطاطة السّردية للبرنامج السردي لعامل الذات "امحمد شعبان" في بحثه عن قبر جدّه: 143
أ-1- التحريك: Manipulation 143
أ-2- الكفاءة: Compétence 146
أ-3- الإنجاز: La performance 148
أ-4- الجزاء: Sanction 149
ب/ثنائيات النموذج العاملي للبرنامج السّردي الذّات [امحمّد شعبان]، وموضوعه[البحث عن قبر الجدّ]: 152
ب-1- مزدوجة :[الذات/الموضوع] 152
ب-2- مزدوجة: [المرسل/المرسل إليه] 153
ب-3- مزدوجة: [المساعد/المعارض] 153
1-3- الموضوع الثالث: تزويج الابن 156
أ-الفئة العاملية:[المرسل/المرسل إليه]: 157
ب-الفئة العاملية [الذات/الموضوع]: 157
ج-الفئة العاملية [المساعد/المعارض] 158
الخاتمة 162
الملاحق
فهرس الأعلام 166
ثبت المصطلحات 171
قائمة المصادر والمراجع 177
فهرس الموضوعات 185
ملخّص الأطروحة

الملخّص باللّغة العربية:

تعد الشخصيّة أهم لبنات الرواية الأساسيّة والعنصر المحرّك للّأحداث داخـــل الصرح الروائي؛ لذلك تأتي هذه الدراسة للإبانة عن استراتيجيّة بناء هذه الركيزة الهامّة في رواية "شبح الكليدوني" لمحمّد مفلاح؛ وذلك بالاستعانة بما أفرزته جهود الباحث السيميائي غريماس من خلال إسقاط عناصر الترسيمة السرديّة وكذا تمفصلات النموذج العاملي على المتنً الروائي.

لذلك قسّمنا هذه الدراسة وفق خطة مكوّنة من مدخل وفصلين نظريين وفصل ثالث تطبيقي،فأمّا المدخل فخصّصنا للحديث عن اللغة الروائية وكذا عن السرد والسرديّة ثمّ ختمناه بالرواية، وأمّا الفصل الأوّل من البحث فعرّجنا فيه إلى الروافد الفكريّة لنظرية العامل السردية والّتي تمثّلت في الرافد الفلسفي والرافد اللساني ممثّلا في تصوّر دي سوسير ورومان كابسون ونعوم تشومسكي وتصور هيامسليف، وأمّا الرافد المعرفي فتجلّي في أعمال جورج دوميزيل وكذا فلادمير بروب وسوريو إضافة إلى تسنيير، في حين أنّ الفصل الثاني خصّصناه للتعريف بمدرسة باريس السيميائيّة وكذا إبراز مفهومي العامل والممثّل إضافة إلى التعريج إلى علاقات النموذج العاملي الثلاث المشكّلة له، فضلا عن ذلك تطرّقنا إلى البرنامج السردي وأهمّ مراحل الخطاطة السرديّة، أمّا الفصل الثالث من الدراسة وهو الأهم فقمنا فيه بملخّص لرواية "شبح الكليدوني" لمحمّد مفلاح ثمّ استخرجنا أهم البرامج السردية الشاملة وكذا عرّجنا على أهمّ المحاور العامليّة المشكّلة للرواية.

Absact:

The character is considered as one of the most important elements in any novel or literaty work, In addition to that, it is recoginzed as being the core of the event in anny narrative space. For this reason, this study aims at unveiling the strategy behind Mohamed Meflah' s novel "Chabeh El kalidouni" , by means of semiotics theoris, suchas Greimas works, through the plot's analysis.

This is why, we have divided this study according to the following plan: an intoductionary chapter, literature review chapters and a pratical chapter. As for the entrance we devoted to talk about the narrative language as well as the narration and narrative and then sealed it with the novel. As this research highlights, we have dealt with different theories, including the philosophical and the linguistic paradigms, such as the contributions of De Saussure, Jackobson and Chomsky. However, the ideological paradigm, is represented in Dumézil work. Also the second chapter is devoted for shed light on the factor and the

actor's concepts. In addition to, highlighting the concept of the factor and the representative with regards to the relationship of the three samples. In addition, we tackled the narrative and the most important stages of narration morover, the third chapter. is devoted to the study of the novel of Mohamed Meflah "The Caledonian Ghost" then extracted the most important inclusive programs as well as the crucial contributing axes that build the novel.